
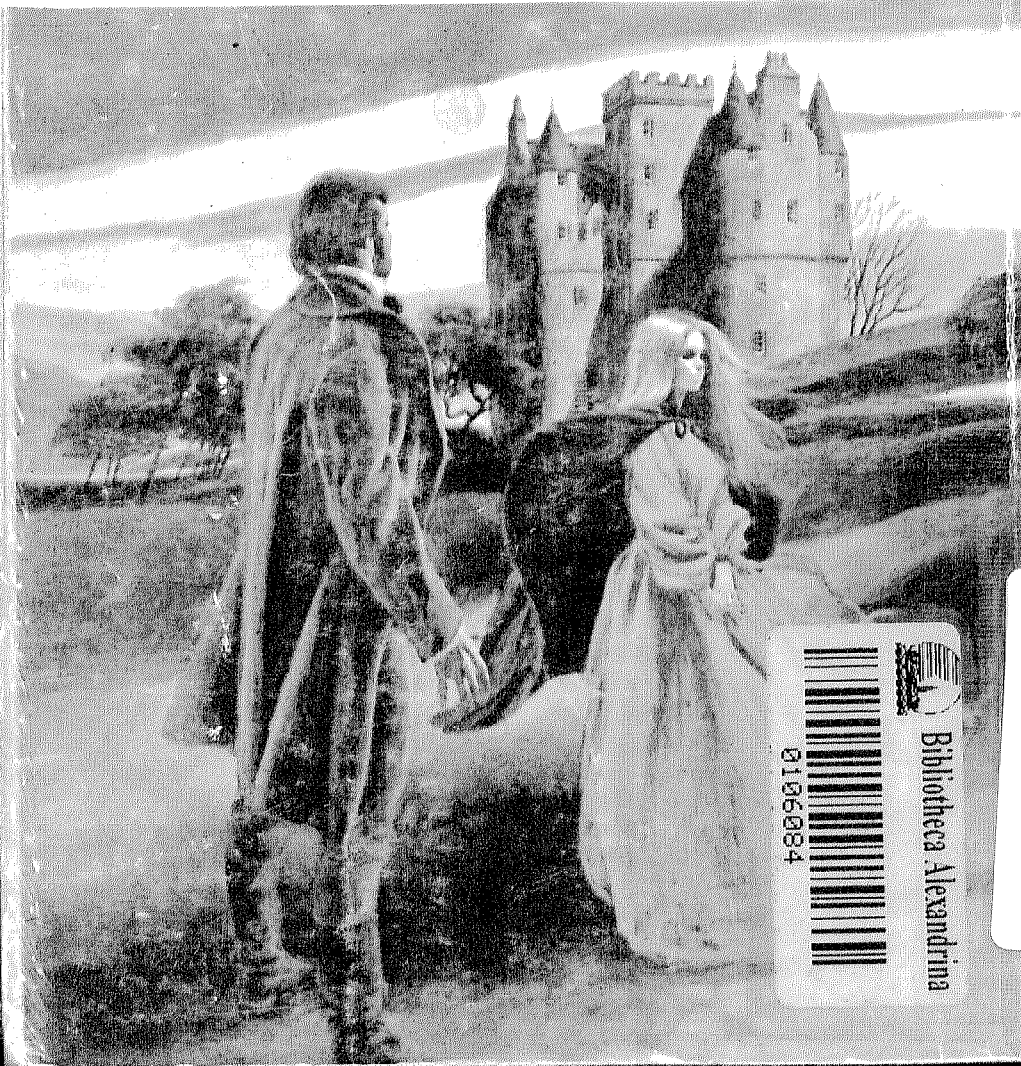


# الكونت دي مونت كريستو

التكملة العاشرة للحبيب

اسكتة توماس



0106084

Bibliotheca Alexandrina

الکونټ ډي مونت کريپټو

9354

القصر العالمية للجميع

843  
50  
5

18.0.1957

# الكورت دي مونت كريستو

## اسكندر توماس



General Organization of the Alexandria Library (G.O.A.L.)

د. فؤاد فريد

843

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية	
843	رقم التصنيف
ت. و. ك.	منشورات
٣٩٤١٣	رقم التسجيل

### القصة العربية

المكتبة الحديثة  
دار الشرف العربي - بيروت

لقبوه «  
ابنه الذي  
دوماس «  
قرية فرنسية  
كوتريه «  
خاملا ، ثم  
في مكتبة  
بالبارون «  
وكيل نيابة  
الثورة الفران  
الصحف ،

ويعد اسد  
رواياته الى  
كريستو «

واشتهر  
متاعه أكثر  
كان دائم الأ  
ويتلقاها بال

وقد روى  
النافذة «  
له عاتبه على  
معى سوى ق

وطلب الي  
فتبرع بضعة  
بدلا من واحا

وذهب ذا  
لصديقه «  
نظر المؤلف ،  
تمثيلية له ه  
قائلا : « هذا

## مؤلف الرواية



لقبوه « بالكبير » تمييزاً له من ابنه الذي يحمل اسمه نفسه «اسكندر دوماس» . وقد ولد سنة ١٨٠٢ في قرية فرنسية تدعى « فيلير - كوتريه » وقضى بها أعوامه الأولى خاملاً ، ثم انتقل الى باريس وعمل في مكتبة دوق أورليتز ، ثم اتصل بالبارون « تايلور » ومن طريقه عرف وكيل نيابة اسمه « فيلناف » كان قبل الثورة الفرنسية يكتب في كثير من الصحف ، فاتخذه أستاذا ومرشداً

ويعد اسكندر دوماس الكبير أكثر الكتاب الروائيين إنتاجاً ، وقد ترجمت رواياته الى أكثر اللغات الحية ، ومن أشهرها رواية « الكونت دي مونت كريستو »

واشتهر طول حياته بالاسراف الشديد ، حتى لقد حجز الدائنون على مناعه أكثر من مرة برغم كثرة ما كان يربحه من مؤلفاته . على أنه مع ذلك كان دائم الفكاهة والابتسام ، لا يبالي ما يقع فيه من الأزمات المالية ، ويتلقاها بالسخرية التي كانت من لوازمه

وقد روى ابنه أنه قال له يوماً : « انك يا أبى كأنما ترمى أموالك من النافذة » فأجابه : « لا بأس ! . فهناك من يلتقطونها ! » . وقال لصديق له عاتبه على اسرافه : « كيف أكون مسرفاً مع أنني جئت الى باريس وليس معى سوى قطعة ذهبية واحدة ما زلت محتفظاً بها حتى الآن ؟ ! »

وطلب اليه يوماً أن يساهم في التبرع بنفقات جنازة أحد المحضرين ، فتبرع بضعف المبلغ المطلوب قائلاً : « هذا لكى تدفونوا اثنين من المحضرين بدلاً من واحد ! »

وذهب ذات ليلة الى مسرح الكوميدي فرانسيز لمشاهدة تمثيلية شعرية لصديقه « اسكندر سوميه » . وهناك رأى أحد النظارة نائماً فلفت اليه نظر المؤلف مداعباً . ثم حدث في الليلة التالية أن كانا فى المسرح يشاهدان تمثيلية له هو ، فلفت سوميه نظره الى متفرج نائم فى المكان نفسه فأجابه قائلاً : « هذا الشخص هو نفسه الذى رأيناه أمس لم يستيقظ بعد ! »



## الربان الشاب

فى يوم ٢٤ فبراير سنة ١٨١٥ سجل فنار « نوتردام دى لا جارد » اقترب السفينة « فرعون » من الميناء قادمة من أزير ، فتريستنا ، فنبولى . . .  
وحين دارت السفينة حول جزيرة « قصر ايف » خرج قائدها الى ظهرها ، وسرعان ما امتلأت أرصفة « سان جرمان » بالمتفرجين . ولم ينتظر أحدهم وصول السفينة الى الميناء ، فقفز الى زورق صغير وانطلق به الى عرض البحر للقائها هناك

وكان على ظهر « فرعون » شاب يقف الى جوار قائدها فلم يكده يلمح راكب الزورق حتى ترك موقفه ومضى مسرعا الى حاجز السفينة حيث أطل منه ملوحاً بقبعته فى صمت

كان شابا وسيما ، طويل القامة نحيفا ، تتراوح سنه بين الثامنة عشرة والعشرين ، ذا عينين سوداوين وشعر فاحم فى لون جناحى الغراب . . . وفى هيئته العامة ما يدل بوضوح على الهدوء والعزم المألوفين فى الرجال الذين تمرسوا بالاحطار منذ نعومة أظفارهم

وصاح به الرجل الذى فى الزورق وهو يدنو من السفينة :  
- أهذا أنت يا ادمون ؟ ماذا جرى ؟ ما سبب هذه الكتابة التى تبدو عليك ؟!

فأجاب الشاب : « لقد أصبنا بخطب جليل يا مسيو موريل . فقد فقدنا عند ( سيفيتا فيشيا ) قائدا الشجاع الكابتن ليكلير . مات متأثرا بالحمى المخية ، وكان منظر احتضاره رهيبا يفتت الألباد . . . والآن حين تصعد الى السطح سوف تجد فى خدمتك مسيو دانجلر العامل المنوط به شحن السفينة ، وسوف يتكفل بكل ما تريد ! »

وأمسك المسيو موريل ، وهو صاحب السفينة ، بالجلب الذى دلى اليه ، ثم تسلقه الى ظهرها

وكان دانجلر شابا فى نحو الخامسة والعشرين من عمره ، ذا وجه منفر . . . وكان مكروها من البحارة بقدر ما كان ادمون دانتيس محبوبا منهم . . . فلما رأى صاحب السفينة ابتدره قائلا :

- هل سمعت يا مسيو موريل بالخطب الذى وقع ؟ لقد كان القبطان ليكلير النعس بحارا من الطراز الاول ، وهذا ما أهله لان يضطلع بقيادة سفينة تابعة لمؤسسة لها مكائتها مثل مؤسسة « موريل وولده » !

فقال له المسيو موريل وهو يرمق ادمون دانتييس بنظرة ذات معنى :  
- هذا صحيح ، ويلوح لى أيضا أن صديقنا ادمون - نائب القبطان -  
يفهم تلك التبعة جيدا !

فقال دانجلر وهو يحدج زميله ادمون بنظرة تفيض بالكراهية :  
- نعم يا سيدي ، ولهذا لم يكد القبطان يلفظ نفسه الاخير حتى تول  
هو القيادة دون أن يستشير أحدا ، ثم مكث بالسفينة يوما ونصف يوم فى  
جزيرة ( البيا ) بدلا من القدوم الى مارسيليا مباشرة !

وهنا قال دانتييس مبررا موقفه : « ألتمس المدرة يا مسيو موريل .  
وعلى أية حال فالسفينة الآن تلقى مراسيها ، وأنا فى انتظار ما تأمر به ! »  
فقال موريل : « ا ت أريد الا أن أعرف لماذا توقفت فى جزيرة البيا ؟ »  
فأجاب دانتييس : « كان ذلك استجابة لآخر تعليمات القبطان ليكلير ،  
فقد أعطاني وهو يحضر طردا صغيرا كي أوصله الى المارشال برتران ! »

- لقد فعلت الصواب يا دانتييس بتنفيذك وصية القبطان ليكلير والتوقف  
فى البيا ، ولو أن ذلك قد يجلب عليك المتاعب فيما لو علمت السلطات أنك  
قد حملت طردا الى المارشال !

- وكيف يجلب ذلك على المتاعب يا سيدي ، وأنا لم أعرف شيئا عن  
محتويات الطرد الذى حملته ؟

- هل لك أن تأتي لتناول العشاء معنا ؟

- شكرا لك يا سيدي على هذا الشرف الذى تسبغه على ، لكننى أرجو  
التفضل بأعفائي من هذه الدعوة . ان زيارتى الأولى ينبغى أن تكون لأبى  
- اذن فسوف ننتظرك بعد أن تفرغ من زيارة أبيك

واحمر وجه الضابط الشاب ، ثم قال وهو يغالب حياؤه :

- مرة أخرى أرى نفسى مجبرا على الاعتذار يا مسيو موريل ، فبعد  
الفراغ من هذه الزيارة تبقى أمامى زيارة أخرى أنا فى أشد الشوق الى  
القيام بها !

فابتسم صاحب السفينة وقال : « أنت على حق يا دانتييس . ان هناك  
من تتربص وصولك بلهفة لا تقل عن لهفة أبيك . وأعنى بها «مرسيديس»  
الحسنة ! »

وهنا ازداد احمرار وجه دانتييس وقال فى تلعثم : « أشكرك يا سيدي ،  
ولهذه المناسبة أرجو أن تسمح لى بإجازة لبضعة أسابيع »

فقال له المسيو موريل : « اذن أنت تعتزم اتمام زواجكما ؟ »

فاوماً موافقا وقال : « وسنسافر بعد ذلك الى باريس »

فقال المسيو موريل : « حسنا ! . لك الاجازة التى تريدها يا دانتييس  
على أن تعود بعد ثلاثة أشهر »



ثم ربت كتف الشاب واستطرد قائلاً :

« ان » فرعون « لا تستطيع أن تبجر بغير قبطانها !  
فضغط الشاب يد صاحب السفينة وقال وقد اغرورقت عيناه بالدموع  
لفرط تأثره : « آه مسيو موريل ! انى أشكرك باسم أبى ٠٠ واسم  
مرسيديس ! »

وشد المسيو موريل على يد الشاب مهناً ومودعا ، وقال له :  
« انك شاب كفؤ طيب القلب ولن أعوقك عن الذهاب الآن ، ولتصحبك  
السلامة ! »

وعلى أثر ذلك مضى دانتيس الى شارع ( دى نوای ) فى حى (لاكانابير)  
٠٠ وهناك دخل منزلاً صغيراً الى يسار ممر ( دى ميان ) . وصعد سلمه  
المعتم عدوا الى الطابق الرابع ، حيث تمهل أمام باب نصف مفتوح ، يرى  
الناظر خلاله جميع محتويات الحجرة التى يفضى اليها

وهناك فى تلك الحجرة كان يجلس والد دانتيس ، فما كاد يلمح ابنه  
حتى أطلق صيحة فرح ، ثم خف الى استقباله واحتضنه مرتجفاً من شدة  
الانفعال . ولحظ الشاب شحوب وجه أبيه فسأله فى انزعاج : « ماذا بك  
يا أبى العزيز ؟ هل أنت مريض ؟ أين تحتفظ بنبيذك ؟ »

فاجاب الشيخ المسن : « لا فائدة من الانكار يا بنى ٠٠ لم يعد عندي  
نبيذ ! »

فتساءل دانتيس وقد شحب وجهه : « ماذا ؟ ليس عندك نبيذ ؟ هل  
كنت فى حاجة الى نقود يا أبى ٠٠؟ لقد أعطيتك مائتى فرنك حين رحلت  
منذ ثلاثة أشهر ! »

« نعم ، هذا صحيح يا ادمون ، لكنك نسيت الدين الصغير الذى كان  
علينا لجارنا « كادروس » الحياط ٠٠ لقد ذكرني به وأندرنى ان لم أدفعه  
بان يطالب به المسيو موريل ٠٠ وهكذا خشيت أن يصيبك الرجل بأذى  
فدفعت له دينه ١٠٠ ! »

فقال دانتيس متعجباً : « دفعت كل الدين الذى فى ذمتى لكادروس ،  
دفعت مائة وأربعين فرنكا !؟ »

فتتمتم الأب المسن موافقاً ، بينما واصل دانتيس كلامه قائلاً :  
« اذن فقد عشت ثلاثة أشهر بستين فرنكا !؟ ان هذا ليحزننى كثيراً  
يا أبى ! »

وسكت الشاب فجأة اذ سمع وقع خطي شخص قادم ، ثم ظهر «كادروس»  
عند الباب ، وكان شاباً فى نحو الخامسة والعشرين من عمره تحيط بوجهه  
لحية سوداء ، وفى يده قطعة من القماش يتنهاى لحياتها ٠ ولم يكد يلمح  
دانتيس حتى ابتدره قائلاً : « أهذا أنت يا ادمون ؟ انك فيما سمعت  
مستمع بالخطوة عند المسيو موريل فى هذه الايام . لكنك أخطأت برفض

دعوته الى العشاء ، فلكى يصير المرء قبطانا ينبغي أن يتقرب بالزلفى الى رؤسائه .

فاجابه دانتيس : « أرجو أن أصير قبطانا بغير هذه الوسيلة ! »  
فقال كادروس : « ان أصدقائك القدامى جميعا على أية حال ستسرحهم هذه الترقية وأنا أعرف يقينا من سيكون أشدهم سرورا ! »

فالتفت الأب الشيخ الى الحياض متسائلا : « أتعنى مرسيدس ؟ »  
وسارع ابنه الى الاجابة قائلا : « نعم يا أبى العزيز ، ولهذا أرجو أن تأذن لى فى أن أذهب لزيارة أسرتها الآن »

فقال أبوه على الفور : « هذا واجب يسرنى أن تؤديه يا بنى العزيز ، فلنبارك السماء لك فى زوجتك كما باركت لى فىك ! »

ثم عانق الفتى أباه وأوما الى كادروس برأسه . . . وغادر المسكن . . . بينما مضى كادروس بعد لحظة ليلحق بصديقه البحار « دانجلر » ، الذى كان فى انتظاره ، فابتدعه هذا قائلا : « هيه ؟ هل أشار الى أمله فى أن يعين قبطانا ؟ »

فاجاب كادروس : « لقد تكلم عن هذا الأمر كما لو كان شيئا مقررًا ! »  
فغمغم دانجلر : « لو كان للانسان أن يختار ، لآثر الغيبى أن يظل حيث هو ، بل لآثر أن يهبط درجة عن مرتبته الحالية ! »  
ولما سأله كادروس عما يعنيه ، أجاب قائلا :

— لا شيء ! . كنت أحدث نفسى !

ثم تنهد واستطرد قائلا : « هل ما يزال يحب تلك الفتاة التى تنتمى الى عشيرة كاتالان ؟ »

فقال كادروس : « نعم ، انه ما زال يحبها بكل مشاعره . . . ولكن اذا لم اكن مخطئا فسوف تنور عاصفة فى ذلك الحى . . . فما من مرة رأيت فيها مرسيدس تأتي الى المدينة الا كان معها شاب أسمر طويل القامة ، مفتول العضلات ، فاحم العينين ، تبدو عليه الشراسة . . . وهى تدعوه بابن العم ! »  
فسأله دانجلر : « متى يذهب دانتيس لزيارة فتاته ؟ »

فاجاب . « لقد انطلق لاداء هذه المهمة قبل أن أحضر اليك مباشرة ! »  
فقال له : « اذن . . . يحسن أن نمضى الآن الى هناك لنجلس فى حانة (لاريزرف) حيث نشرب قدحا من نبيذ (مالقا) وننتظر ما يجد من الانباء ! »

## اتهم خطير

كانت القرية التي تقطنها عشيرة « كاتالان » تقع على بعد مائة خطوة من الحانة التي جلس فيها دانجلر وصديقه كادروس يحتسيان النبيذ . وكانت هذه العشيرة الغامضة قد هاجرت منذ زمن بعيد من وطنها الأصلي « اسبانيا » واستقرت في تلك البقعة من الارض الشبيهة باللسان الممتد في البحر . وقد لبث القوم حوالي ثلاثة قرون أو أربعة لا يختلطون بأهل مرسيليا ، وانما يتزاوجون فيما بينهم ويحافظون على تقاليد بلادهم الاصلية ولغتها وزبها

وفي بيت من بيوت تلك القرية ، كانت تجلس شابة حسناء ذات شعر فاحم كالقهرمان الاسود ، وعينين مثل عيني الغزال . وقد أسندت ظهرها الى الجدار . . . وعلى قيد ثلاث خطوات منها جلس على مقعد هناك شاب طويل في العشرين أو الثانية والعشرين من عمره ، وأخذ يحدها بنظرات ملؤها القلق والحيرة . . . ثم قال لها :

— ما هو ذا عيد الفصح قد اقترب مرة أخرى يا مرسيدس ، فعماذا تترين في مسألة زواجنا ؟

فقالته له الفتاة : « لقد أجبت عن هذا السؤال مائة مرة يا فرناند ، وما زلت أؤكد لك أني أحبك كأخ ، وأرجو ألا تسألني أكثر من هذا الحب الاخواني ، لان قلبي ملك لآخر أنت تعرفه وهو « ادمون دانتييس ! »

وهنا حدق فرناند في وجه الفتاة ثم سألها وهو يصير بأسنانه : « واذا فرضنا أنه مات فماذا يكون رأيك ؟ »

فقالته : « اذا مات ادمون فاني أموت أيضا ! »

وفي تلك اللحظة هتف صوت طروب من الخارج :

« مرسيدس ! مرسيدس ! »

فصاحت الفتاة وقد تورد وجهها غبطة وكادالحب يجعلها تقفز من مكانها:

« آه ، هذا هو ! »

وعندئذ اندفع فرناند الى الخارج وقد شحب وجهه وارتجفت أوصاله . . . وهتف يحدث نفسه وهو يعدو ويشد شعر رأسه كالمجنون « آوه ، من يخلصني من هذا الرجل ؟ يا لي من تعس ! »

وفيما هو كذلك سمع صوتا ينسأديه : « فرناند ! فرناند ! الى أين  
تعدو هكذا ؟ »

فتوقف الشاب فجأة ونظر حواليه . فرأى كادروس جالسا مع دانجلر  
الى منضدة تحت تكعيبية خشبية خارج الحانة الجاورة للمنزل  
وقال كادروس وهو يوميء الى صديقه : « أترى يا دانجلر ؟ ان فرناند  
شاب شجاع طيب من عشيرة كانلان ، وهو يحب فتاة تدعى مرسيدس ..  
ولكن يبدو أن هذه الفتاة تحب نائب قبطان السفينة فرعون ! »  
فقال فرناند : « ان الأمر يكاد يدفئني الى هاوية اليأس »

فقال له كادروس : « لماذا تستسلم لليأس بدلا من أن تفكر في حل  
لمشكلتك . لم أكن أعتقد أن هذا دأب عشيرتك !؟ »

فزفر فرناند زفرة حرى وقال :

— انى على استعداد لان اطعن خطيبها ذاك بسكين ، لكنها أكدت لى أنها  
لو وقع له أى مكروه فستقتل نفسها !

وهنا قال دانجلر : « هناك حل ناجح لا يقل أثره عن أثر موت ذلك  
الخطيب .. لو أن جدران السجن مثلا حالت بين ادمون ومرسيدس ، لآدى  
هذا الى انفصالهما ومنع زواجهما .. وهكذا ترى أن لا حاجة بك الى قتله ! »

فتنهذ فرناند مرة أخرى وقال : « ومن لى بالوسيلة التى تكفل القاء  
دانتييس فى غياهب السجن ؟ هل لديك هذه الوسيلة ؟ »

فقال : « يخيل الى أنه بعد رحلة كالتى قام بها أخيرا ، وعرج فيها على  
جزيرة ( البيا ) يمكن بسهولة أن تزج به السلطات الملكية فى السجن بتهمة  
أنه من أتباع بونابرت ! »

فهتف فرناند متحمسا : « حسنا ! .. سأشى أنا به الى السلطات الملكية »  
فقال دانجلر مقاطعا : « كلاً ! .. لو قررنا اتخاذ هذه الخطوة لكان الافضل  
أن نأخذ هذه الريشة — كما أفعل الآن — ونغمسها فى هذا الحبر ، ثم نكتب  
الاتهام الذى نتفق عليه باليد اليسرى ، كيلا يعلم أحد بان لنا يدا فى الأمر ! »  
ثم كتب دانجلر بيسراه السطور التالية ، وقرأها بعده فرناند بصوت  
هامس :

« من صديق للعرش والدين الى فخامة النائب العام لصاحب الجلالة الملك  
.. ان من يدعى ادمون دانتييس ، نائب قبطان السفينة ( فرعون ) وصل  
هذا الصباح قادما من أزمير بعد أن مر بنابولى وبورتو فيراجو . وقد عهد  
اليه ( مورا ) فى مهمة حمل خطاب الى الغاصب ( نابوليون بونابرت ) ..  
كما عهد اليه هذا الغاصب حين اجتمع به فى حمل رسالة منه الى جماعة من  
أنصاره ذوى الخطر فى باريس .. وسوف تجدون الدليل الذى يثبت هذه  
الجريمة عند القبض عليه ، لان خطاب الغاصب ما زال عنده ، أو عند أبيه ،  
ان لم يكن فى غرفته الخاصة بالسفينة ! »

ثم قال دانجلر معقبا : « هذا عظيم ! » والآن يبدو انتقامك معقولا ، فهو لا يمكن أن يرتد اليك . وما علينا الآن الا أن نخلّف هذا الخطاب ، ثم نكتب على المظروف ( الى النائب العام لصاحب الجلالة ) وبذلك ينتهى كل شيء ! »  
وما أتم دانجلر عبارته حتى كان قد انتهى فى الوقت نفسه من كتابة العنوان . . . بينما قال كادروس مؤكدا : « نعم ، وبذلك ينتهى كل شيء ! »  
وكان هذا قد استطاع باجهد فواه الذهنية الى آخر ما تحتمل أن يتابع عبارات الخطاب أثناء تلاوة فرناند اياه ويفهم مدى فطاعة النتائج التى قد يفضى اليها الاتهام . . . فعاد يكرر قوال صديقه دانجلر : « نعم ، بذلك ينتهى كل شيء ! لكنها تكون فعلة دنيئة تجلب العار ! »

ثم مد الرجل يده محاولا انتزاع الخطاب من يد دانجلر ، فلم يمكنه هذا من الوصول اليه وقال له وهو يبعد الخطاب من متناول يده : « ان الامر مزاح ، واني لاؤول من يحزن اذا وقع أى مكروه لصديقنا الهام دانتييس ! وعلى هذا فما أنذا أمزقه وأتذف به الى الارض بين المهملات والقاذورات ! »  
ثم نهض دانجلر بعد أن ألقى الخطاب فى ركن من أركان الحانة ، وأخذ طريقه ومعه صديقه كادروس عاكدين من حيث جاءوا . وبعد أن مشيا خطوات التفت دانجلر الى الخلف فرأى فرناند يلتقط الخطاب ويضعه فى جيبه ثم يمضى نحو المدينة !



## زفاف الى السجن

أعدت العدة في اليوم التالي لزفاف مرسيدس الى دانتيس ، وهناك في الطابق الثاني من حانة القرية التي اجتمع فيها المتآمرون في اليوم السابق ، امتلأت الشرفة بالمدعوين الى المأدبة قبل أن يحين الموعد المحدد لها بساعة كاملة . . وكانوا خليطاً من بحارة السفينة « فرعون » زملاء دانتيس ، وليف من خاصة أصدقائه ، وقد ارتدى الجميع أحسن ثيابهم

وحيثما لاح موكب العروسين هبط المسيو موريل ليستقبله ، امعانا في تكريم القبطان الجديد ، في أسعد مناسبات حياته ، وتبعه جمع من الجنود والبحارة ، وكانوا قد علموا منه بنياً اختيار « دانتيس » قبطانا للسفينة فرعون خلفاً للقبطان ليكلير ، فتضاعفت فرحتهم بهذا الاختيار



وحيث بلغت العروس منتصف المائدة الكبرى وقفت والتفتت الى أبيها قائلة : « أرجو أن تتكرم يا أبي بالجلوس الى يميني » . ثم أومات الى فرناند بابتسامة لطيفة وقالت : « أما عن يساري فساجلس ذلك الذي طالما كان بمثابة أخ لي ! »

وكانما أثارت عبارتها وابتسامتها اللواعج الكامنة في صدر الفتى فشحب وجهه على أثر ذلك شحوبا مخيفاً وتقلصت شفثاه ، وبدا في منتهى الاضطراب !

وهناك في الجانب الآخر من المائدة كان دانتيس بدوره يتولى معاونة ضيوفه الممتازين على الجلوس ، فأجلس المسيو موريل الى يمينه ، ودانجلر الى يساره . . ثم أوما الى بقية المدعوين فجلسوا حيثما راق لهم أن يجلسوا وفيما هم يأكلون قال دانتيس يخاطبهم :

— أي أصدقائي الأعزاء . . يسرنى أن أخبركم أننا بفضل نفوذ المسيو موريل حصلنا على إذن بالتجاوز عن المهلة القانونية المشروطة لمقد القران ، وعلى هذا سوف ينتظرنا عمدة مارسيليا في الساعة الثانية والنصف في قاعة البلدية . أي بعد حوالي ساعة ، ولن تمضي ساعة أخرى حتى يتم الزواج . وفي صباح غد أسافر الى باريس لانجاز المهمة الموكولة الى ، وسوف أعود الى هنا في أول مارس ، وفي اليوم التالي أقيم المأدبة الحقيقية



وساح وكيل النيابة : « ادمون دانتيس .. انى اقبض عليك باسم القانون »

للزواج ، حيث يسعدني أن أدعوكم جميعا اليها منذ الآن !  
وبعد حين سمع صوت مرسيدس العذب وهي تقول :  
- هلا تحركنا ؟ لقد دقت الساعة الثانية ، ولم يبق الا ربع ساعة على موعد الذهاب الى البلدية !  
وفي تلك اللحظة سمعت على الباب ثلاث طرقات ٠٠ وصاح صوت عال من الخارج : « افتحوا باسم القانون ! »  
ثم فتح الباب ، ودخل منه محقق من وكلاء النائب العام ، يتبعه عدد من الجنود ، وصاح المحقق على الفور :  
- ادمون دانتيس ، اني آقبض عليك باسم القانون !٠٠ وسوف تملن بالاسباب التي دعت الى ذلك في بداية التحقيق !  
وساد القاعة على أثر ذلك سكون رهيب ، ثم هبط دانتيس السلم خلف المحقق يتبعهما الجنود ٠٠ وكانت أمام الباب عربة استقلها برفقة المحقق واثنين من الحراس ٠٠ ثم درجت بهم العربة عائدة الى مارسيليا  
وصاح المسيو موريل بيقية المدعويين قائلا :  
- انتظروني هنا جميعا ، سأهرع الى مارسيليا ثم أعود لانيثكم بالحبر اليقين عن تطور الامور  
وفي الوقت نفسه كان اللقاء القبض على دانتيس موضع تعليقات مختلفة اللهجة من جانب بعض المدعويين ، فقال أحدهم يسأل دانجلر : « وما رأيك في هذا الحادث ؟ »  
فأجاب دانجلر : « أعتقد أن دانتيس لا بد قد اتهم بتهريب مادة تافهة من المواد المنوع دخولها الى هذه البلاد »  
وهنا قال والد الشاب في صوت متهدج : « الآن تذكرت ٠٠ لقد ذكر لي ابني المسكين أمس أنه أحضر لي صندوقاً صغيراً من البن وآخر من التبغ ، وأخيراً هتف واحد من المدعويين كان مطلاً من الشرفة :  
- أخبار طيبة ! أخبار طيبة ٠٠ هذا هو المسيو موريل قد عاد .  
لا شك الآن أننا سنسمع منه نبأ الافراج عن صديقنا دانتيس !  
وهرعت مرسيدس والوالد الشيخ ليستقبلا صاحب السفينة عند الباب ويستطلعاً منه الانباء ٠٠ لكن هذا خاطب الحاضرين بقوله في لهجة جادة :  
« ان الأمر قد اتخذ اتجاهاً أخطر مما كنت أظن أيها الاصدقاء ٠٠ ان دانتيس متهم بانتمائه الى حزب بونابرت ! »



في الوقت الذي جرت فيه تلك الاحداث المتلاحقة في مادبة زفاف مرسيدس الى دانتيس ، كانت هناك في أحد القصور الارستقراطية الواقعة



في شارع «جران كور» تجاه نافورة «ميدوزا» حفلة زفاف أخرى ، يشهدها جمع من صفوة المجتمع الرفيع في مرسيليا

وفي هذه الحفلة نهض رجل مسن يحلى صدره بصليب « سان لويس » ، مقترحا شرب نخب صحة الملك لويس الثامن عشر . ولم يكن ذلك الشيخ سوى المركيز دي سانت ميران . وكانت المركيزة زوجته امرأة ذات وجه عبوس ومظهر مترف جليل ، برغم الخمسين سنة التي انصرفت من عمرها . . . فقالت معلقة :

— آه ، لو كان أولئك الثوريون هنا الآن لما استطاعوا الا أن يعترفوا بأن الملك هو حقا راعينا « لويس المحبوب » بينما غاصبهم التعسكان دائما وسوف يكون في كل حين عقبريهم الشرير « نابليون العين » . . . ألسنت على حق يا مسيو فيلفور ؟

والفتت هذا الى المركيزة حين سمعها تذكر اسمه وقال في هدوء :

— أسالك المذرة يا سيدتي ، انني في الواقع ، وأعتذر مرة أخرى عن ذلك ، لم أكن أتتبع النقاش !

وهنا قالت « رينيه دي سانت ميران » وهي شابة حسناء يكلك هامتها تاج من الشعر الكستنائي الجميل وتزين وجهها عينان كأنهما تسبحان في بللور سائل :

— لا بأس يا أمي العزيزة . . . لقد كنت أنا المستولة عن شغل انتباه المسيو دي فيلفور بحيث لم أدعه يصغي الى حديثك . . . والآن يا مسيو دي فيلفور ، دعني أذكرك بأن أمي تخاطبك !

وعلى أثر ذلك عادت الأم تكرر رأيها فقالت : « كنت أقول يا فيلفور ان أنصار بونابرت ليس لهم حماستنا وتفانينا في الاخلاص »

فقال الشاب : « ان لهم مع ذلك ما يعتبر عوضا عن هذه الصفات الرائعة ، وأعني بذلك تعصبهم لسيدهم الى أقصى حد . . . ان نابليون يكاد يكون معبود أتباعه ، وليس هذا لأنه زعيم ومشرع للقوانين فقط ، بل لأنه نموذج مجسم للمساواة ! »

— هل تعلم يا فيلفور أنك تتكلم بلهجة ثورية مخيفة ؟ لكنني أعذرک ! فمن المستحيل أن ننتظر من ابن الجيروندى أن يكون معصوما من آثار الحميرة القديمة !

وعندئذ اصطبغ وجه فيلفور بحمرة القرمز ، ثم أجاب محدثته قائلا « صحيح يا سيدتي أن أبي كان من أنصار الجيرونديين ، لكنه لم يكن بين أولئك الذين صوتوا طالبيين اعدام الملك . أما عن نفسي فقد وضعت جانبا كل اعتبار ، حتى اسم أبي ، وتصلت من مبادئه السياسية . لقد كان — بل يحتمل أنه ما زال حتى الآن من أتباع بونابرت ، وهو يسمى نفسه ( نوارتييه ) . . . أما أنا فعلى العكس منه ملكي متحمس ، وقد خلعت على

نفسى لقب دى فيلفور ٠٠ وعلى كل حال فلندع مخلفات الوباء الثورى حتى تذهب وتزول من تلقاء نفسها ! »

فأجابته المركيزة : « من صميم قلبى أرجو أن ينسى الماضى الى الأبد . وكل ما أطلبه أن يكون دى فيلفور فى المستقبل حازما لا يلين فى مبادئه السياسية . ولتثق بأنه لو وقع فى يدك أى شخص متآمر على الحكومة فإن واجبك يقضى بأن تعاقبه عقابا صارما ، ولاسيما أنك معروف بالانتماء الى أسرة كانت من أنصار الجيرونديين ! »

فقال فيلفور : « اننى يا سيديتى ، بحكم مهنتى والزمن الذى نعيش فيه ، مضطر الى أن أكون صارما . لقد توليت توجيه محاكمات علنية عدة بنجاح تام ، وأوقعت بالعندين العقاب الذى يستحقونه ، لكننا لم نقض على الخطر بعد ! »

وهنا هتفت حسناء شابة ، هى ابنة الكونت سالفيو والصديقة الحميمة للآنسة دى سانت ميران :

— أواه ! بريك يا مسيو دى فيلفور حاول عقد بعض المحاكمات الكبيرة أثناء وجودنا فى مارسيليا ، فانى لم أدخل محكمة فى حياتى ، ويقال انها متعة مسلية !

فأجاب الشاب : « نعم انها تكون مسلية بلا شك ، اذا اعتبرنا مشاهدة مآسى الحياة تسلية ! وعلى كل حال كونى على ثقة من أنه لو سنجحت أية فرصة قريبة فلن أتردد فى دعوتك لكى تحضرى احدى المحاكمات ! »

وفى هذه اللحظة دخل خادم وهمس فى أذن فيلفور ، فهض هذا معتذرا من مغادرة القاعة قليلا ، لعمل طارئ ، ثم عاد بعد لحظات متهلل الوجه ، وقال ردا على استفسار من الآنسة دى سانت ميران :

— لقد دعيت لتولى التحقيق فى مسألة خطيرة قد تنتهى على يد الجلاذ ، واذا صحت المعلومات التى تلقيتها فان هناك مؤامرة «بونابرتية» ، وسأقرأ لكم الخطاب الذى حوى الاتهام

ثم تلا عليهم الرسالة التى أعدها دانجلر وكادروس وفرناند فى حانة القرية ، متهمين فيها ادمون دانتييس بالمرور على جزيرة ( البيا ) حيث يقيم نابليون منفيا ، وتوصيل رسالة اليه ! ولم يكذ فيلفور يفرغ من القراءة حتى هتفت الفتاة « رينيه » مصففة وهى ترنو لخطيبها فى لهفة واشفاق :

— أوه يا فيلفور ، كن رحيما فى يوم خطبتنا هذا !

فأجابها هبتسما : « ارضاء لك يا عزيزتى رينيه ، أعذك بأن أظهر كل التسامح الذى فى طاقتى ، ولكن اذا كانت التهمة ثابتة على هذا المتآمر البونابرتى فينبغى أن تأذنى لى فى أن أقدم رأسه للمقصلة ! »

وغادر فيلفور المكان على الفور قاصدا الى بيته ، الملحق بقصر العدالة ،

وهناك جلس الى مكتبه مكتئبا . . وبعد لحظة أدخل عليه دانتييس ، وقال  
فى هدوء ردا على سؤال المحقق : « اسمى ادمون دانتييس »

— هل خدمت فى عهد الغاصب ؟

— كنت على وشك الانخراط فى سلك البحرية الملكية حين سقط بونابرت

وعندئذ خاطبه فيللفور وهو يخرج الخطاب من جيبه ويعرضه عليه :

« سيدي ، هل تعرف لك أعداء ؟ »

فأجابه هذا بعد أن قرأ الخطاب ، وقد غامت على وجهه سحابة قاتمة :

« كلا يا سيدي ! لست أعرف هذا الخط »

ثم أضاف وهو ينظر الى المحقق نظرة امتنان :

— انه لمن حسن حظى أن يحقق معى رجل مثلك ، فهذا الخطاب لا يصدر

الا من عدو حاسد !

فقال له فيللفور : « الآن حدثنى بصراحة ، حديث الرجل الى رجل يهتم

بأمره : أى نصيب من الحقيقة فى الاتهام الوارد فى هذا الخطاب المجهول

المصدر ؟ »

فأجاب دانتييس : « لا شئ البتة ! . سأروى لك الوقائع على حقيقتها . .

عندما غادرنا نابولي أصيب القبطان ليكلير بحمى مخية . وفى نهاية اليوم

الثالث اذ أحس بدمر أجله استدعانى وقال لى : ( يا عزيزى دانتييس ، أقسم

أمامى لتؤددين المهمة التى سأكلفك بها . . ان قيادة السفينة سوف تؤول

اليك بعد موتى ، يوسفك نائبى ، وأنا أريد منك أن تعرج بالسفينة على

جزيرة البيا ، وأن تهبط الى البر فى ميناء ( بورتو فيراجو ) ثم تسأل عن

مكان الماريشال الاكبر وتسلمه هذا الخطاب ، واذا أعطاك ردا عليه خطابا

آخر فلتحمله الى حيث يطلب منك . . ولتذكر دائما أن رغبات الانسان

المحتضر مقدسة ، علاوة على أن الرغبات الاخيرة الصادرة الى بحار من رئيسه

تعتبر بمثابة الأمر ! ) . . وهكذا أبحرت الى جزيرة البيا ، وهناك أمرت جميع

البحارة بالبقاء على ظهر السفينة ونزلت وحدى الى البر ، وسلمت الرسالة

للماريشال الاكبر ، فزودنى برسالة لأحملها الى شخص فى باريس ! »

فقال فيللفور على الفور : « اذا كنت قد ارتكبت ذنبا فهو ذنب عدم

الحيطة ، الذى جعلك تطيع أوامر رئيسك . . فلتهمل أمر الخطاب الذى

أحضرتة من البيا ، وعدنى بشرفك أن تحضر متى استدعيناك ، والآن اذهب

الى أصدقائك ! »

فتساءل دانتييس فرحا : « اذن فأنا مطلق السراح يا سيدي ؟ »

فقال فيللفور : « نعم ، ولكن أعطنى ذلك الخطاب أولا ! »

فأجاب : « لقد أخذوه منى حين فتشونى ، وها أنذا أراه ضمن الاوراق

التي أمامك ! »

ثم تناول دانتيس قبعته وقفازيه وهم بالخروج ، لكن المحقق استوقفه قائلاً : « انتظر دقيقة ٠٠ الى من كتب الخطاب ؟ »

فقال : « الى مسيو نوارتييه ، بشارع كوك هيرون بباريس ! »  
ولو أن صاعقة سقطت فى الحجرة ، لما كان ذهول فيللفور أشد منه لدى سماعه هذا الاسم ٠٠ فقد شحب وجهه شحوبا مخيفاً ، ثم سأل محدثه :  
« هل أطلعت أحدا على هذا الخطاب ؟ »

فأجاب : « كلا يا سيدي ! وأقسم بشرفى !

— أليس لك علم بشئ مما فيه ؟

— كلا ٠٠ وأقسم بشرفى يا سيدي !

وعغم فيللفور محدثاً نفسه : « آه لو علم محتويات هذا الخطاب ، وأن نوارتييه هو الذى ، اذن لهلك ! »

ثم أضاف محدثاً دانتيس : « لم يعد فى وسعى يا سيدي — كما كنت أؤمل — أن أطلق سراحك فوراً ، لكننى سأجاهدكى أجعل مدة اعتقالك أقصر ما يمكن ، ذلك لأن التهمة الرئيسية ضدك هى هذا الخطاب ، وسترى الآن ما أنا صانع به »

ثم اقترب من المدفأة ، وألقى الخطاب فى النار ، وانتظر حتى احترق عن آخره ، ثم قال مستطرداً : « ها أنت ذا ترى أنى أحرقت الخطاب ٠٠ وسوف أحجزك حتى المساء فى قصر العدالة ، فاذا استجوبك أحد غيرى فقل له ما ذكرته لى ولكن حذار أن تشير بحرف الى هذا الخطاب ، وثق بأنك ان أطلعت هذه التعليمات فلا ضير عليك قط ! »

فنتهد دانتيس وقال : « اطمئن يا سيدي ، لن أشير اليه بحرف ! »  
وإذ ذاك دق فيللفور الجرس ، فلما ظهر أحد الجنود على الباب همس فى أذنه ببضع كلمات ٠٠ ثم قال يخاطب دانتيس : « اتبعه » ٠٠ ولم يكده الباب يفتح بعد انصرافهما حتى ألقى فيللفور بنفسه متهاكاً على مقعده وراح فى شبه اغماء ٠ فلما أفاق راح يحدث نفسه قائلاً : « لو كان النائب العام موجوداً فى مارسيليا اليوم لهلك ، ولدمر هذا الخطاب اللعين كل آمالى ٠٠ أوأه يا أبى ، الى متى يظل ماضيك يعرقل مستقبل ونجاحى ؟ »

وفجأة أضاء وجهه خاطر مباغت ورفت على فمه ابتسامة ، وتحجرت عيناه من الانهماك فى التفكير ، وقال يحدث نفسه : « هذا يكفى ! من هذا الخطاب الذى كان سيقضى على سوف أجمع ثروة من الملك ٠٠ والآن الى العمل الذى فى يدي ! »

□

أما دانتيس فقد خرج يتوسط حامية حراسه الى حيث كانت عربة تنتظر

فى الخارج فصعد سلمها وجلس بين اثنين من جنود البوليس ، بينما جلس فى مواجهتهم جنديان آخران ٠٠ ثم بدأت المركبة سيرها فوق الطريق المرصوف بالاحجار ٠٠ وحين وقفت آخر الامر طلب الحراس منه أن يهبط ، وتقدمه بعضهم الى رصيف يفضى الى البحر فأركبوه قاربا انطلق بهم قلى الماء تدفعه مجاديف أربعة من البحارة !  
وتساءل دانتيس : « الى أين تأخذوننى ؟ »

ولم ينلق أى جواب ، لكنه حين تطلع حواليه وقعت عينه على الصخرة السوداء الكئيبة التى يقوم عليها سجن قصر « ايف » ٠٠ وبدت له القلعة الموحشة التى كانت مادة لا بشع الأساطير المخيفة خلال أكثر من ثلاثمائة عام !

وأحس دانتيس كأنه فى حلم ، وهو يصعد سلم القلعة ، ثم حين أغلق الباب الضخم بينه وبين عالم الاحرار ٠٠ بل انه لم يتنبه وهو داخل حتى الى المحيط ، ذلك الحاجز الرهيب الذى ينظر اليه المسجونون نظرة يأس بالغة ٠٠ وقاده حارس الى زنزانه تكاد تقع تحت مستوى الارض ، وكانت جدرانها العارية المبللة ببخار البحر كأنها مشربة بالدموع ، يضيئها مصباح خافت الضوء موضوع فوق كرسي صغير بغير ظهر ٠ وخاطبه الحارس قائلا :  
« هذه غرفتك التى ستقضى فيها الليلة ٠٠ فالوقت متأخر ، وحاكم السجن نائم ، وقد ينقلك غدا الى غرفة أخرى ٠٠ واليك طعامك من الخبز والماء ، وهو كل ما يستطيع السجن ان يطعم فيه ٠ طابت ليلتك ! »

وبقى دانتيس وحيدا فى الظلمة والسكون ، يحس كأن أشباحا وظلالا تتنفس على جبهته الملتهبة ٠٠ وعند ظهور أول طلائع الفجر عاد اليه السجنان يحمل أمرا بترك السجن حيث هو ٠٠ فوجد دانتيس واقفا فى الوضع الذى تركه فيه أول الليل ، وكأنما تحول الى تمثال جامد ، وقد تفرحت أجنانه من البكاء ٠٠ لقد قضى الليلة واقفا بلا نوم ٠٠

واقرب السجنان منه فلم يبد على دانتيس أنه تنبه الى اقترابه ٠٠ ثم سأله هذا : « ألم تنم ؟ »

فقال : « لست أدرى ! »

فسأله : « أنت جائع ؟ » فكرر الاجابة نفسها ٠ وحينئذ سأله الحارس :  
« ألا تريد شيئا ؟ » فلما أجاب بأنه يريد أن يرى الحاكم ! ٠٠ هز السجنان كتفيه وغادر المكان صامتا بعد أن أغلق باب الزنزانه كما كان

وعندئذ انفجر دانتيس باكيا ، ثم ألقى نفسه على الارض وراح يسائل نفسه : « أية جريمة ارتكبتها حتى أعاقب على هذه الصورة ؟ »

وانقضى اليوم على هذا المنوال ٠٠ لم يكد يدوق طعاما ، وانما راح يدور فى الزنزانه كالوحش الحبيس ، ويلوم نفسه على أنه جلس ساكنا مستسلما فى الزورق أثناء نقله الى السجن ، فى حين كان يستطيع أن يقفز الى البحر

هيبغ الشاطيء بفضل براعته المشهود بها في السباحة .. وهناك يخفى  
ففسه حتى تصل أية سفينة فيستقلها هاربا الى اسبانيا أو ايطاليا ، حيث  
يلحق به أبوه ومرسيديس

ولن يحيره التفكير في الوسيلة التي يكسب بها عيشه هناك ، فالبحارة  
الإفذاذ أمثاله يجدون ترحيبا حيثما حلوا ، وهو يتقن الايطالية والاسبانية  
كأبائهما !

وكاد يجن ندما على أنه وثق بوعد فيلفور ، فألقى بنفسه في حلق فوق  
القش المفروش على أرض الزنزانة وأغمض عينيه لعله ينام !

وفي الصباح التالي دخل عليه السجنان بصحبة جاويش وأربعة من الجنود،  
وقال السجنان لهم على الفور : « هيا .. لقد أمر حاكم السجن بنقل هذا  
السجين الى الطابق الأسفل ، ليودع مع أمثاله من المجانين هناك ! »

وأمسك الحراس بدانتيس ، فتبعهم مستسلما ، وبعد أن هبط خمس  
عشرة درجة من السلم ، فتح أمامه باب قبو معتم ، ثم ألقى فيه وحده وأغلق  
الباب كما كان !

وتقدم دانتيس ماذا ذراعيه في الظلام الخالك حتى لمس الجدار ، فارتقى  
الى جواره يائسا وحدث نفسه قائلا : « حقا .. لقد صدق السجنان .. ان  
الخيوط الذي يفصلني عن الجنون المطبق صار الآن أوهى من خيط العنكبوت ! »



## بارقة أمل

كان قد انقضى عام على استرداد الملك لويس الثامن عشر عرشه بعد هزيمة نابليون في معركة وتارلو

وذهب المفتش العام للسجون ليزور قصر « ايف » ٠٠ وسمع دانتيس وهو في زنزانه يقبو ذلك السجن جلبة الاستعداد لزيارة المفتش العام فأدرك أن ثمة شيئا غير عادى يجرى فى عالم الأحياء ، وان لم يدرك كنهه بالضبط !

وهبط الزائر السلم الى الطابق الأسفل ، المظلم الموحش ، فلم يملك أن هتف : « أوه ! من يستطيع أن يعيش هنا ؟ »

فأجابه حاكم السجن الذى يرافقه : « يعيش هنا متأمر خطير ، لدينا تعليمات مشددة بأن نراقبه بمنتهى الدقة والصرامة ، لجرأته وشدة بأسه ، وانه الآن لا يشبه بمجنون ، ولن يمضى عام آخر حتى يكون جنونه قد اكتمل ! ٠٠ وفى الزنزانه السفلى التى سنهبط اليها بسلم آخر لا يزيد طوله على عشرين قدما ، يوجد راهب سجين كان يرأس أحد الأحزاب الايطالية . وهو هنا منذ سنة ١٨١١ ، وقد جن بعد سنتين من دخوله السجن . وهو يضحك أحيانا ويبكى أحيانا ٠٠ وقد نحل جسمه فى البداية ، ثم بدأ الآن يمتلىء ويصير بدينا . ولعله يروك أن تراه ، فان جنونه مسل الى حد كبير ! »

وفيما كان دانتيس مستلقيا فى ركن من القبو سمع وقع خطى بالبواب ، ثم صوت المفتاح يدار فى القفل ، فهب واقفا متربصا ، وما كاد المفتش يدخل حتى هتف يخاطبه فى ضراعة تثير الاشفاق : « أريد أن أعرف أية جريمة ارتكبتها ؟ أريد أن أحاكم ، فاذا ثبتت اذانتى أعدم رميا بالرصاص ، والا أطلق سراحي ٠٠ »

فأجابه المفتش : « سوف نرى ٠٠ »

ثم التفت الى الحاكم وهمس قائلا : « ان حالة هذا المسكين تفتت قلبي ، ويجب أن تعرض على الأذلة التى تثبت جريمته ! »

وخرج المفتش وأغلق الباب من جديد، ولكن بقى مع دانتيس فى زنزانه هذه المرة رفيق جديد هو الأمل الذى بعثته فى نفسه كلمات المفتش العام وسأل حاكم السجن ضيفه المفتش : « هل تريد الاطلاع على السجل أولا

أم تتابع الجولة لزيارة القبو الآخر؟ ان الراهب السجين الذى فيه يتخيل أنه يملك كنزا هائلا . وقد عرض فى العام الاول أن يدفع مليون فرنك مقابل الافراج عنه ، وفى العام التالى عرض مليونين . . . وهكذا دواليك . وهو الآن فى عامه الخامس . وسوف يعرض عليك خمسة ملايين ! »



وهناك فى وسط ذلك القبو رأى الزائران شيخا لا تكاد أسماه البالية تغطى جسده . ولم يتحرك حين سمع جلبة الداخلين بل استمر مشغولا بأعماله الحسابية الخاصة بكنزه ، حتى اذا أضاعت المشاعل القبو رفع رأسه وحدق قليلا فى الزائرين ثم أسرع فى لف غطاء الفراش حول جسمه !  
وسأله المفتش : « ماذا تريد يا سيدى ؟ »

فأجاب : « سيدى ، أنا الراهب فاريا ، ولدت فى روما وعملت عشرين عاما سكرتيرا للكاردينال سيادا ، وقد اعتقلت سنة ١٨١١ لسبب لا أعلمه . ومنذ ذلك التاريخ وأنا أطلب الافسراج عنى ، تارة من الحكومة الفرنسية وتارة من الحكومة الايطالية . . . وانى مستعد لأن أدفع فى مقابل الافراج عنى خمسة ملايين من الجنيهات ! »

فأجابه المفتش : « يا سيدى العزيز ، ان الحكومة غنية وليست فى حاجة الى ملايينك ، فاحتفظ بها حتى يفرج عنك ! »

فقال الراهب السجين : « اذا لم يفرج عنى ويقتب هنسا حتى أموت ، فسوف يضيع الكنز . انى أعرض عليك ستة ملايين ، وسأقنع بالباقي فى مقابل أن ترد الى حريتى . . . انى لست مجنوننا ، والكنز الذى أتحدث عنه موجود حقا، وأنا على استعداد لان أوقع على تعهد بالارشاد الى مكانه ، فاذا لم تجدوه فأعيدونى الى هنا . . . ولست أطلب أكثر من ذلك ! »

فقال المفتش : «انها خطة بارعة ، فلو طلب جميع السجناء ذلك لا تبيحت لهم فرصة رائعة للفرار ! »

ثم خرج الزائر ومرافقه ، وأغلق السجنان الباب دون السجنين !

ووفى المفتش بوعده لدانتيس ، ففحص سجله ، ووجد فيه هذه العبارة :  
« بوتابرتى عنيف شديد الخطر ، قام بدور ايجابي فى فرار الغاصب من البيا . . . ! » ولم يستطع المفتش ازاء هذه التهمة الا أن يكتب على هامش السجل معلقا : « لا شىء يمكن عمله فى أمره ! »



فى نهاية العام التالى وصل الى السجن حاكم جديد ، وكان عسيرا عليه أن يعرف المسجونين بأسمائهم لأن عددهم يزيد على الخمسين ، فصار يرمز



الى كل برقم زنزانته . وكان رقم القبو الذى يعيش فيه ادمون دانتيس ٣٤  
٠٠ وفى الوقت الذى بلغ فيه اليأس بالسجين الشاب غايته حتى دفعه  
الى التفكير فى الانتحار ، فوجيء ذات ليلة بسماع صسوت أجوف صادر  
من وراء الجدار الذى ينام الى جواره ، وكأنه صوت آلة حديدية تدق الاحجار  
٠٠ فحدث نفسه قائلا : « لا شك فى أن هناك سجينًا آخر يحاول الفرار ،  
آه لو استطعت مساعدته ! »

ومضى ادمون الى ركن قبوه فتناول حجرا ودق به الجدار ثم انتظر قليلا  
فلما لم يسمع شيئا أفعم قلبه بالأمل فى نجاح مساعدته لذلك السجين  
زميله المجهول . ونهض فنقل فراشه من مكانه وأخذ يبحث عن شيء يثقب  
به الجدار حتى ينتزع حجرا منه ، ولكنه لم يجد ما يصلح لذلك غير آنية  
شراية ، على أن يحطمها ويستخدم قطعة مدببة منها فى الغرض المطلوب !  
وكان أمامه الليل كله يعمل أثناءه ، برغم أن الظلام كان يعوقه الى حد ما  
٠٠ وحين وجد الجدار شديد الصلابة أعاد الفراش الى مكانه ليخفى آثار  
المحاولة وآثر الانتظار الى الصباح . أما زميله فقد دأب على عمله طيلة الليل  
ولما أشرق النهار وجاء السجان الى دانتيس بالطعام ، أخبره بأن الآنية  
وقعت فانكسرت .٠٠ فما كان من هذا الا أن ذهب لاحضار أخرى دون أن  
يعنى بجمع شظايا الآنية المكسورة !٠٠

وبعد ثلاثة أيام نجح دانتيس ، بفضل مراعاته منتهى الحذر ، فى ازالة  
طبقة الاسمنت التى تكسو الجدار والكشف عن حجر كبير وراءها .٠٠ وصار  
عليه أن يحفر حول الحجر حتى يستطيع اقتلاعه من مكانه . ولكن بماذا  
يحفر ؟٠٠ ان الآنية الخزفية تعجز عن ذلك . وهنا خطر له أن يضع الآنية  
الحديدية التى يحضر له فيها السجان الحساء أمام الباب بحيث يدوسها هذا  
بقدمه حين يدخل لأخذ الصحف الفارغة ، فتنكسر !٠٠ فلما تم له ذلك  
وفق الحطة التى رسمها طلب الى الحارس أن يدع بقايا الآنية المكسورة الى  
الصباح ، وصادف هذا الطلب هوى من نفس السجان الكسول فقبل !  
وكاد دانتيس يجن فرحا .٠٠ فلما خرج زحزح الفراش من مكانه وأهوى  
بمقبض الآنية المدبب على جوانب الحجر .٠٠ فلم تمض ساعة حتى أمكن  
اقتلاعه من مكانه ، وانفتحت فى الجدار ثغرة سعتها قدم مكعب ونصف قدم  
٠٠ واذا ذاك أخذ دانتيس المخلفات التى نتجت عن ثقب الجدار ودفنها فى  
شقوق الجدران .٠٠ ثم أعاد فراشه الى مكانه ليخفى آثار فعلته ونام قريـ  
العين !

وبعد مجهود مماثل دام بضع ليال ، فوجيء دانتيس فى ذات ليلة بسماع  
صوت كأنه صادر من تحت الارض ، فوقف شعر رأسه دهشة واجفالا .٠٠  
ثم قال له صاحب الصوت : « لا تحفر أكثر من ذلك . ولكن قل لى فقط  
ما ارتفاع ثغرتك ؟ »

فهمس قائلا : « انها فى مستوى أرض الحجر ! »

- وعلام يفتح باب حجرتك ؟

- على ممر يؤدي الى فناء السجن !

- أعتقد أن الجدار الذي تنقبه هو جدار السجن الخارجي ، فلتتوقف عن العمل حتى أتصل بك • أنا السجن رقم ٢٧ • وسأتصل بك غدا •• !

وفي الصباح التالي سمع دانتيس ثلاث طرقات •• فركع على ركبتيه وراح ينصت • ثم قال له ذلك السجن :

- هل خرج سجانك ؟

- نعم، وهو لن يعود قبل المساء •• ومن ثم فأمامنا اثنتا عشرة ساعة للعمل

وبعد لحظة انهار الجزء من الارض الذي كان دانتيس متكئا عليه بيديه ، بينما كان رأسه في الثغرة •• فارتد الى الخلف في الوقت الذي هوت فيه كتلة من الاحجار والارض فاخفت في حفرة انفتحت تحت الثغرة التي فتحها هو •• ثم من أعماق هذا الممر رأى رأس رجل يبرز أولا ثم يتبعه جسمه •• واذا السجن رقم ٢٧ قد صار معه في زنزانته !

وأخذ دانتيس زميله السجن بين ذراعيه معانقا ، بل كاد يحمله نحو النافذة كي يرى ملامح وجهه •• كان رجلا ضئيل الجسم ، ابيض شعره من الآلام ، ذا عين نافذة تكاد تكون مدفونة خلف حاجبه الأغير الغزير • وكانت له لحية طويلة تصل الى صدره • أما وجهه التحيل وخطوط ملامحه الجسورة فتتم عن رجل ألف أن يستخدم قواه الذهنية أكثر من قواه الجسمية وعلم دانتيس من زميله أنه انتزع بعض « شناكل » سريره كي يستعين بها على حفر الطريق الذي سلكه من زنزانته الى زنزانه جاره ، وطوله نحو خمسين قدما

فهتف دانتيس ، شبه مذعور : « خمسون قدما ؟ »

- نعم ، هي المسافة بين حجرتك وحجرتي • ولكنني لسوء الحظ أخطأت تبين اتجاه الطريق الذي حفرته ، بسبب نقص الادوات الهندسية اللازمة •• فبدلا من أن ينتهي بي الى الجدار الخارجي المطل على البحر ، قادني الى الممر الذي تنفتح عليه حجرتك • وهكذا ذهب جهدي كله هباء ، فان الممر يطل على فناء مزدحم بالجنود !

يقال دانتيس : « هذا صحيح ، لكن الممر الذي تتحدث عنه لا يحد غير جانب واحد من زنزانتي • وهناك ثلاثة جوانب أخرى ، فهل تعرف شيئا عن موقعها ؟ »

- هذا الجانب ينتهي الى الصخر الصلب •• وهناك جانب آخر ينتهي عند الجزء الاسفل من مسكن حاكم السجن ، ولو نقبناه لوصلنا الى زنزانات مغلقة • أما الجانب الرابع والآخر من زنزانتك فهو يطل على مكان مفتوح يمر فيه الحراس بلا انقطاع ، ويسهرون على حراسته ليل نهار •• ومن هذا تتبين الاستحالة المطلقة في الفرار عن طريق زنزانتك ؟

وبعد أن قضى السجينان فترة يتشاوران في تأمل عميق ، هتف دانتيس فجأة : « لقد وجدت ما كنت تبحث عنه ٠٠ ان المر الذي سلكته من زنزانتك يمتد هنا في اتجاه الرواق الآخر ، ولا يرتفع عنه أكثر من ١٥ قدما ٠ واذن ينبغي أن نثقب جدار الممر لفتح ثغرة جانبية في منتصفه ٠٠ وفي هذه المرة سنضع خططك بحيث تجيء أقرب الى الصواب ، فسوف نهبط في الرواق الذي وصفته ، فنقتل الحارس الذي يحرسه ونلوذ بالفرار ! »

— لحظة واحدة يا صديقي العزيز ٠٠ لقد جعلت دأبي حتى الآن أن أعلن الحرب ضد الظروف ، لا البشر ٠٠ لم أجد بأسا أو خطيئة ما في أن أثقب جدارا أو أحطم درجة من سلم ، ولكني لا أستطيع اقناع نفسي بسهولة بأن أثقب قلبا حيا أو أنتزع حياة ٠٠ فتعال زرني في زنزانتي يا صديقي العزيز وسوف أريك عملا أدبيا كاملا ، هو ثمرة أفكارى وتأملاتى طيلة حياتى !

— على أى شيء كتبت مؤلفك هذا ؟

— على قميص من قمصانى ٠ لقد اخترعت تركيبا يجعل التيل مثل ورق البرشمان في نعومته وسهولة الكتابة عليه

— ولكن ، مم صنعتت الحبر الذى كتبت به ؟

— كانت في زنزانتي يوما ما مدفأة ، تغطيها طبقة كثيفة من « الهباب » ، فأخذت قليلا منه وأذيته في جزء من النيسد الذى كانوا يحضرونه الى كل يوم أحد ٠ وأؤكد لك أن الحبر الذى نتج من هذا الخليط لا يضارح ٠ لكنى في المسائل والملاحظات الهامة كنت أخز اصبعى بآبرة وأكتب بدمى ذاته ٠٠ اتبعنى !

ومضى الراهب يتبعه زميله عبر الممر تحت الارض حتى وصلا دون صعوبة تذكر الى نهاية الممشى الذى يفضى الى زنزانة الراهب ٠ وهناك في تلك البقعة كان الممر يزداد ضيقا حتى لا يسمح بمرور أحد منه الا اذا زحف على يديه وركبتيه !

وأخيرا بلغا قبو الراهب ، فأخرج من أحد المخابى ثلاث اسطوانات من التيل مكتوبة كلها ، وقال لدانتيس

— هاك المؤلف كاملا ٠٠ لقد كتبت كلمة « النهاية » في آخر الصفحة الثامنة والستين منذ نحو أسبوع ، فلو خرجت يوما من هذا السجن ووجدت في ايطاليا ناشرا له الجراة على نشر ما كتبت ، فان سمعتى الادبية تكون قد توطلت نهائيا

ثم عرض الراهب على دانتيس « الريشة » التى كان يستخدمها في الكتابة ، وهى عصا صغيرة طولها ست بوصات ، ربط في طرفها غزروف مأخوذ من رأس سمكة وقد دبب طرفه وشمق مثل الريشة العادية ٠٠ فقال له دانتيس :

— الشيء الذى يحيرنى هو كيف تعمل في ظلام الليل ؟

فأجابه فاريا : « لقد فصلت الشحم من اللحم الذى يجيئنى فى الطعام ، وصهرته فنتج عنه زيت للوقود ، ثم صنعت لى مصباحا صغيرا من قطعتين من الصوان وقطعة من الكتان المحروق . أما الثقب فقد اضطررتى تدبير أمره الى التظاهر بأنى مصاب بمرض جلدى ، ثم طلبت قليلا من مادة الكبريت لهذا الغرض ، فجليبوما لى . . . انك لم تر بعد شيئا من أفانيى ! »

ثم أراح الفراش من مكانه فظهرت خلف أحد الاحجار ثغرة فى داخلها سلم من الجبال طوله يتراوح بين خمسة وعشرين مترا وثلاثين مترا . وقد وجده دانتييس من المتانة بحيث يتحمل أى ثقل ! . . . فسأل زميله الراهب : « كيف صنعتها ؟ »

فأجاب فاريا : « صنعتها من أقمصتى التى مزقتها ! »

ثم سد الراهب الثغرة بالحجر وأعاد الفراش الى مكانه وقال :

— هل لك الآن أن تروى لى قصتك أنت ؟

وأخذ دانتييس يسرد له قصته حتى أتمها ، فأطرق الراهب برهة يفكر ثم سأل :

— من الذى يستفيد من اختفائك . . . ان الأمر واضح كالشمس ، لكن بساطتك وطيبة قلبك قد أخفيا الحقائق عليك . والآن قل لى ، هل كان دانجلر يعرف فرناند ؟

— لا . . . بل نعم ! فالآن تذكرت أننى رأيتهما جالسين معا فى الليلة السابقة للزفاف ، وكان دانجلر يمزح فى مزح بينما بدا فرناند شاجبا فلقا . . . ولست أدرى كيف لم أفكر فى هذا الأمر من قبل ؟ انى لا أذكر الآن جيدا أنه كان أمامهما على المنضدة حبر وريشة وورق ! . . . يا للانذار القساة القلوب !

— هل ثمة شىء آخر أستطيع أن أعينك على كشفه ؟

— نعم ، أريدك أن تعلق لى سبب القاتلى فى السجن دون محاكمة أو تحقيق !

— هذا شىء آخر . . . الى من كان ذلك الخطاب الذى أعطى لك فى « البيا » موجها ؟

— الى ميسيو نوارتييه رقم ١٣ شارع كوك هيرون بباريس

— نوارتييه ، نوارتييه ؟ كنت أعرف شخصا بهذا الاسم من الجيرونديين أثناء الثورة . . . وماذا كان اسم المحقق الذى استجوبك ؟

— دى فيللفور !

وعندئذ أغرق الراهب فى الضحك وقال : « كيف هذا . . . ألا تستطيع استنتاج شخصية نوارتييه هذا ، بعد أن حرص المحقق على اخفاء اسمه ؟ »  
انه أبوه !

ولو أن صاعقة سقطت على دانتييس ، لما كان أشد فرعا منه لدى سماع هذه العبارة ! وومض في ذهنه ضوء خاطف مباغت أضاء وأوضح كل ملابسات الموقف التي كانت غارقة في الظلام !

وحين عاد الى زنزانه ارتمي على فراشه ، حيث وجده الحارس حين دخل عليه في المساء محملاً في الفضاء صامتا ، بلا حراك . . . لقد انتهى من تفكيره وتأملاته الطويلة الى قرار مخيف أقسم لينفذنه ما وجد الى ذلك سبيلا!

وأخيرا أفاق دانتييس من شروده على صوت فاريا ، الذي جاء على أثر خروج سجانته ليدعوه الى مشاركته عشاءه . . . فقال له : « ينبغي أن تعلمني بعض ما تعلم . . . على الأقل حتى لا تمل صحبتي ! . . . وأنا أعدك بألا أشير بكلمة واحدة بعد ذلك الى الفرار من السجن ! »

فأجابه الراهب العلامة متأوها : « ان المعارف البشرية يا بني محدودة داخل دائرة ضيقة ، فاذا علمت الرياضيات والعلوم الطبيعية والتاريخ واللغات الثلاث أو الاربعة التي أتقنها فسوف تضارعني في العلم . . . وهذا يستغرق حوالى عامين ! »

فهتف دانتييس : « عامين فقط ؟ أعتقد أن عامين يكفيان لاستيعاب كل هذه العلوم ؟ »

وفي تلك اللمسية وضع السجينان برنامجا للدراسة ، وفي اليوم التالي بدأ تنفيذه !



## سر الكنز المفقود

فى نهاية ذلك العام كان دانتييس - بفضل ما تعلمه - قد صار وكأنه خلق من جديد ! لكنه لاحظ أن فاريا يزداد كل يوم كآبة ووجوما ، وكان فكرة ما لا تفتأ تلح عليه وتطارده . وذات يوم سمعه يقول فى شرود :  
« آه ، لو لم يكن هناك ذلك الحارس الديدبان ! »

فسأله منطلقا : « هل فكرت فى وسيلة لاسترداد حريتنا ؟ »

فقال : « نعم ، ولكن هل أنت قوى البنية ؟ »

فتناول الشاب ازميل الراهب وثناه بيديه حتى صار كهيئة حدوده الحصان ، ثم عاد فقوم اعوجاج الازميل حتى عاد كما كان !

وبدا الاغتباط فى وجه الراهب الحزين ، ثم قال له :

- هل تعدنى بالأا تصيب الحارس بأذى ، الا عند الضرورة القصوى ؟

- أعدك بشرفى !

- اذن نستطيع أن نشرع فى تنفيذ خطة الهرب ، وسوف تستغرق منا حوالى عام !

وأخذ الراهب يشرح لدانتييس خطته ، وهى تلخص فى حفر نفق تحت المر الموصل بين زنزانتيهما ، بالطريقة التى تحفر بها المناجم ، ثم الخروج من نافذة قريبة الى جدار السجن الخارجى ، ثم الهبوط الى البحر بواسطة الحبل الذى فتله الراهب وجعل منه سلما

وفى اليوم نفسه بدأ السجينان حفر النفق ، بالنشاط الذى توافر لهما بعد طول الراحة ، مدفوعين بأمالهما فى الحرية والخلص . ولم يكن يعوق عملهما غير حرص كل منهما على العودة الى زنزانتة فى الموعد المناسب قبل زيارة السجن النهارية أو الليلية !

وانقضى عام . وفى نهاية الشهر الخامس عشر تم حفر النفق ، وصار السجينان يسمعان بوضوح صدى خطوات الديدبان وهو يروح ويحى فوق رأسيهما . ولم يبق أمامهما غير انتظار حلول ليلة حالكة الظلام كي ينفذا خطة الفرار !

وفى ذات ليلة سمع دانتييس صوت الراهب يناديه فى حشجة تنم عن ألم شديد ، وكان قد تركه فى زنزانتة هو ، فخف اليه على عجل ، ليجده

واقفا فى وسط المكان ، شاحبا شحوب الموتى ، وقد تصيب جبينه عرقا  
وتقلصت يدها ، وما كاد يراه حتى ابتدره قائلا :

— أصغ الى ما سأقوله بعناية ٠٠ انى مصاب بنوبة من نوبات مرض  
رهيب قاتل ، وقد أصابتنى النوبة الاولى منه فى العام السابق لاعتقالى ،  
وليس لها غير علاج واحد ٠٠ فأسرع بربك الى زنزانتى واخلع احدى قوائم  
السيرير ، تجد فى داخلها فارورة صغيرة مملوءة الى نصفها بسائل أحمر ٠٠  
أحضرها الى بسرعة ٠٠ أو فلتأخذنى أنا الى فراشى لئلا يفاجئنى الحراس  
غائبا عن زنزانتى ٠ خذنى قبل أن أفقد ما بقى لى من قوة على جر ساقى !  
وحين أرقد دانتيس رقيقه على فراشه قال له هذا وهو يرتجف : « شكرا  
لك ! انى أوشك أن أصاب بنوبة كالصرع ، وحين تبلغ حدثها قد ترانى  
راقدا بلا حراك كالميت ، أو قد تزداد النوبة شدة فتسبب لى تشنجات  
مخيفة ، فاذا حدث ذلك فأحرص على ألا تبلغ صرخاتى مسامع أحد ، والا  
فرقوا بيننا الى الأبد وأحيطوا كل خططنا ٠ وحين يبرد جسدى ويسكن  
كالجنة الهامدة ، فعندئذ — وليس قبل ذلك — افتح فمى عنوة بسكين أو  
نحوها ، واسكب فى حلقي ثمانى قطرات أو عشرةا من السائل الذى فى  
القنينة ، وبذلك قد أشفى من نوبتى ! »

فتساءل دانتيس فى لهجة المفجوع : « قد تشفى ؟ »

وفجأة صاح فاريا : « النجدة ٠٠ النجدة ٠٠ انى أموت ٠٠ »

وبلغ من عنف النوبة أن المسكين عجز عن اتمام عبارته ، وراح جسده  
يهتز هزات مخيفة وتنطلق منه صرخات مروعة كتمها دانتيس بوضع الغطاء  
فوق رأسه ٠٠ واستمرت النوبة ساعتين ، استترد المريض فى نهايتها  
هدوءه وسكن جسده كالميت ٠٠ وانتظر دانتيس حتى زالت منه كل علائم  
الحياة ثم فتح فمه عنوة وسكب قطرات السائل فى حلقه ٠٠ وانقضت ساعة  
والمريض لا يبدي بادرة من بوادر العودة الى الحياة ! ٠٠ وأخيرا صعده الى  
خديه لون باهت ، وارتد الوعي الى مقلتى العين ، وبذل الراهب محاولة  
متخاذلة للتحرك ٠٠ وحين استرد قدرته على الكلام قال :

— ان النوبة الماضية لم تدم أكثر من نصف ساعة ، وقد أفقت منها دون  
معاونة أحد ٠٠ أما الآن فانى عاجز عن تحريك ساقى اليمنى أو ذراعى ،  
ورأسى ثقيل ، مما يدل على حدوث نزيف دموى فى المخ ٠٠ وأغلب الظن أن  
النوبة الثالثة سوف تقضى على أو تخلفنى مشلولاً مدى الحياة ٠ بل ان هذه  
النوبة التى انقضت قد حكمت على بالبقاء رهن السجن بقية عمرى ، فقد  
شلت ذراعى نهائيا ٠٠ ارفعها واحكم بنفسك اذا كنت مخطئا

ورفع الشاب ذراع الراهب فلما سقطت من تلقاء نفسها بحكم ثقلها ،  
قال له فى أسى : « اذن فسوف أبقى أنا أيضا ! » ٠ ثم مسح بيده فى رفق  
رأس الراهب المريض وأضساف قائلا : « أقسم بكل ما هو مقدس أن لا  
أتركك ما دمت على قيد الحياة ! »

فنظر فاريا الى صديقه الشاب نظرة شغف وقرأ فى وجهه توكيدا  
لاخلاصه المكين ، فغمغم وهو يمد اليه يده :

— أشكرك ، وأقبل ما تعد به . . ولكن لما كنت لن أستطيع مغادرة هذا  
المكان ، فلا مناص من سد الثغرة التى فى نهاية النفق ، خشبية أن تنهار  
الارض عندها بمضى المدة فيكتشف أمر ما دبونا ويفصل بيننا مدى الحياة  
. . فامض وأتم هذه المهمة ، ولا تحضر الى غدا الا بعد أن يخرج السجان من  
عندى . . فان لدى أمرا على أعظم درجة من الاهمية أود الافضاء به اليك !

وحين عاد دانتيس فى صباح اليوم التالى وجد فاريا جالسا وقد بدت  
عليه الراحة ، وفى يده اليسرى ورقة لوح له بها قائلا :

— انظر الى هذه الورقة يا صديقى ! . . ان فى وسعى أن أعترف لك الآن  
— بعد أن ثبت لى وفاؤك — بأن فيها مفتاح كنزى الذى يخصك نصفه منذ  
اليوم ! لا تحسبني مخبولا ، فهذا الكنز موجود فعلا يا دانتيس ، ولئن  
لم يتح لى أن أظفر به فسوف يتاح لك ذلك . . والان اقرأ هذه الورقة !

وكانت الورقة تحوى هذه الكلمات

« فى هذا اليوم ، الخامس والعشرين من أبريل سنة ١٤٩٨ ، دعيت الى  
لعشاء عند صاحب القداسة البابا الكسندر السادس . . وخشيت أن يطمع  
قداسته فى أن يغدو وارثى ، وأن يدخر لى مصرير الكردينال كإبرارا  
والكردينال بنتيفوجليو اللذين قتلوا بالسم ، أعلن هنا لابن أخى « جيسو  
سبادا » وريشى الوحيد أنى دفنت فى مكان يعرفه هو وقد زاره معى، وأعنى  
به كهوف جزيرة مونت كريستو الصغيرة ، كل ما أملك من المال والذهب  
والجواهر والأحجار الكريمة ، وهى ثروة تقدر بنحو مليونين من الريالات  
الرومانية . . ويستطيع أن يجدها اذا رفع الصخرة العشرين من الأخدود  
الصغير الواقع الى الشرق على امتداد خط مستقيم . . ولهذه الكهوف فتحتان ،  
والكنز يوجد فى الزاوية البعيدة من ثانيتهما ، وهذا الكنز أتركه بأكمله له  
باعتباره وريشى الوحيد ! . .  
قيصر سبادا »

وانتظر الراهب حتى أتم دانتيس قراءة الورقة ثم قال له :

— هذه هى وصية الكردينال سبادا التى عين فيها مكان كنز الأسرة الذى  
حاول البابا الكسندر السادس اغتصابه بقتل الكردينال . . على أن هذا  
الكنز لم يعثر عليه أحد . . وقد كنت أنا سكرتير الكردينال سبادا ، وهو  
آخر من حملوا هذا الاسم ، وبعد موته اكتشفت هذه الورقة بين طيات كتاب  
صلوات خلفه لى . . وقبل أن أصل الى جزيرة مونت كريستو لأبحث عن  
الكنز ، اعتقلت ! . . فلو أننا هربنا يوما معا ، فسيكون لك نصف هذا  
الكنز . . أما اذا مت هنا وهربت أنت وحدك فانه يكون لك بأكمله !

وتساءل دانتيس متلعثما : « ولكن . . ألم يعد للكنز ورثة شرعيون فى  
العالم غيرنا ؟ »



فقال فاريا : « كلا ! لقد انقضت أسرة سبادا ، علاوة على أن الكردينال الأخير منهم جعلني وريثه الشرعي . . فلو أننا وضعنا أيدينا على الكنز ففي وسعنا الاستمتاع به دون أدنى وخز من ضمير . . وهو يساوى بعملتنا الحالية نحو ثلاثة عشر مليون ريال ! »

وخيل الى دانتيس أنه في حلم، فتأرجح برهة بين الفرح وعدم التصديق . . بينما استطرد فاريا : « لقد كتمت عنك قصة هذا الكنز حتى الآن كي أختبر خلقك ، ثم أفاجتك بها . . ولو كنا قد هربنا قبل أن تصيبنى النوبة لقتلك بنفسى الى جزيرة مونت كريستو ، فأنا أعدك بمثابة ابن لى ، وقد أرسلك الله الى كى تواسينى فى الوقت الذى لم يعد فى استطاعتى أن أكون حرا ، ولا والدا »

ثم مد فاريا ذراعه السليمة الى دانتيس فأخذها الشاب بين يديه وانخرط فى البكاء !

ولم يكن الراهب يعرف جزيرة مونت كريستو ، لكن دانتيس كان يعرفها ، فقد طالما مر بها . . وهى تقع على بعد خمسة وعشرين ميلا من « بيانوزا » ، بين جزيرة كورسيكا وجزيرة البيا . . وقد كانت الجزيرة - وما تزال - مهجورة تماما ، وهى صخرة مخروطية الشكل تبدو كأنها قد قذفت بها قوة بركانية من جوف المحيط . . وقد رسم دانتيس خريطة تقريبية للجزيرة ، وأدلى اليه فاريا ببضع نصائح تتعلق بطريقة البحث عن الكنز

ولكن ، كأنما شاء القدر أن يحرم المسجونين من فرصتهما الاخيرة . . فقد أعادت سلطات السجن بناء الجناح المطل على البحر ، لانه كان قد تهدم فى كثير من المواضع ، وسدت بكتل ضخمة من الاحجار تلك الثغرة التى أغلقها دانتيس مؤقتا بناء على نصيحة الراهب . . وهكذا قام سد جديد متيع يهدم كل آمال السجينين فى الفرار !





كانت الجثة قد وضعت في كنفها داخل غرارة من الحيش ، استعدادا  
للقائها في البحر

وإذ رأى دانتيس ذلك المنظر الذي يعدهم للفراق الأبدى عن صديقه الذي  
كان سلواه الوحيدة في سجنه ، عاودته فكرة الانتحار التي كانت تراوده  
من قبل ، فراح يذرع المكان جيئةً وذهاباً ٠٠ وفجأة وقف الى جوار الفراش  
جامداً ، وغمغم :

— يا الهي ! ما الذي أوحى الى بهذه الفكرة ؟ أهى من وحيك ؟ لكن  
ما دام أن أحداً غير الموتى لا يخرج حراً من هذا المكان ، فلاأخذ مكان الميت !  
ولم يتمهل ليتدبر هذا القرار اليأس ، بل جذب الجثة من الغرارة وحملها  
عبر النفق الى زنزانته هو ، حيث وضعها فوق فراشه ، ولف رأسها بالغطاء  
الذي يتدنز به أثناء نومه ٠٠ ثم قبل جبين صديقه الوفى الشمس وأدار  
رأسه نحو الحائط كى يحسبه السجن نائماً حين يدخل فى الزيارة التالية ،  
ومرق عائداً الى المر حاملا معه ابرة وخيطا وسكيناً !

وحين بلغ زنزانه الراهب دلف الى داخل الجوال واتخذ الوضع الذي كانت  
عليه الجثة ثم خاط الغرارة من الداخل كما كانت !

وانقضى الليل على هذه الحال ، دون أن يحضر أحد . وفى الساعة السابعة  
من الصباح بدأ عذاب دانتيس الحقيقى ! ولم تستطع يده التي وضعها  
فوق قلبه أن تخفف من عنف ضرباته الشديدة ، بينما راح يمسح بيده  
الآخري قطرات العرق المتصبب على وجهه . ومن وقت لآخر كانت تسرى  
فى جسمه قشعريرة باردة تعصر قلبه ، حتى خيل اليه أنه سوف يموت ٠٠  
وأخيرا سمع صدى خطوات تدنو ، فتذرع بكل ما بقى له من شجاعة وحبس  
أنفاسه ! ٠٠ ثم فتح الباب ، ودخل منه رجلان ، بينما وقف ثالث عندالباب  
يحمل مصباحاً بلغ ضيأؤه الخافت عين الشاب عبر الغرارة السميقة ٠٠  
وحمله كلا الرجلين من طرفى الغرارة ، وسمع أحدهما يقول للآخر :

— انها ثقيلة هذه الجثة مع أن صاحبها كان عجوزاً نحيل الجسم !

فأجابه زميله : « يقولون ان وزن العظام يزداد بمقدار نصف رطل كل  
عام ! »

ثم سارت القافلة يتقدمها حامل المصباح ، فصعد رجالها السلم المؤدى  
من القبو الى الطابق الاول ٠٠ وفجأة أحس دانتيس هواء البحر الرطب  
المنعش يصدم جبهته ٠٠ ثم وضعه حامله وهو فى الغرارة على حاجز ،  
وثبتا ثقلا حديديا بقدميه فى عنق كاد يرغمه على أن يصرخ من الألم ! ٠٠  
ثم عادا فحملاه واستأنفا السير حتى سمع اصطفاق أمواج البحر وهى  
تصدم الصخور التي يقوم عليها بناء السجن ٠٠ ثم قال أحد الجمالين :  
« يا لها من ليلة باردة ، لا تناسب الفوص فى البحر ! » ، فأجابه الثانى :  
« ان الراهب سوف يضاب بالبلبل ! »

ثم انفجر كلاهما ضاحكين فى وحشية ! فوقف شعور رأس الشاب من الفزع ! وعاد الاول يقول : « ها قد وصلنا أخيرا » . فاعترض زميله قائلا : « بل لنصعد بضغ درجات أيضا ، فلعلك تذكر أن الميت الذى ألقيناه آخر مرة قد اصطدم بالصخور ، فاتهما الحاكم بالاهمال ! » .

ثم صعدا خمس درجات أو سستا ، وتوقفا أخيرا . . وأحس دانتييس أيديهما تؤرجحه ذهابا وحيثة تأهبا لالقائه فى اليم ، وسمع أحدهما يقول : « واحد . . اثنين . . ثلاثة ! » . . وفى هذه اللحظة شعر بهما يطوحان به فى الفضاء بقوة فيهوى من حلق كالطائر الذبيح ، بسرعة مروعة جعلت دمه يجمد فى عروقه !

وبدا له كأن سقوطه استمر قرنا من الزمان ! . . وأخيرا اصطدم فى عنف بالماء البارد ، فأطلق برغمه صيحة حادة اختنقت حين غاص فى أعماق البحر ، يجذبه الى قاعه ثقل زنته ستة وثلاثون رطلا ، وما لبث قليلا حتى شعر بأنه استقر فى قاع البحر . . فى مقبرة سجن قصر ايف !

وبرغم ما لقيه من الفزع خلال « رحلته » الرهيبة هذه ، كان من حضور الذهن بحيث لم يكذب فى لمة اليم حتى مد يده اليمنى بالسكين الى الغرارة التى تحتويه فشقها وأخرج ذراعه ثم جسمه ، لكنه عجز برغم جهوده أن يخلص نفسه من الثقل الذى يجذبه نحو القاع . . وأخيرا انحنى على نفسه ، وبمحاولة أخيرة يائسة قطع الرباط الذى يشبث الثقل فى قدميه ، فى اللحظة التى كاد فيها يموت مختنقا ! . . ثم رفع جسمه نحو السطح بكل ما يقى له من قوة . . وحين بلغه جذب نفسا عميقا من الهواء ثم غاص فى الماء مختارا خشية أن يلمحه أحد « زبانية » السجن !

وحين برز فوق الماء مرة أخرى كان قد ابتعد عن البقعة التى ألقى فيها نحو خمسين قدما . . وكانت تنبسط فوق رأسه سماء سوداء تنذر بالعاصفة ، ويمتد البحر أمامه فسيحا كثيبا رهيبا ، تزار أمواجه وترغى وتزبد . . وخلقه كان يقوم كالشبح ذلك البناء الصخرى الموحش الذى تمتد صخوره المدببة كالأذرع التى تتأهب للانقضاض على فريستها . . وفوق الصخرة العليا كان مصباح يضىء وجهى رجلين . . خيل اليه أنهما الحمالان اللذان قذفا به الى البحر وقد سمعا صيحته فوقفا يرقبان ظهوره فوق صفحة الماء ! . . وعلى هذا لم يجد بدا من أن يعود فيفوض ويبقى تحت اللجة أطول فترة ممكنة ، ولم يكن ذلك بالأمر العسير عليه وهو المشهود له بأنه أبرع سباح فى مارسييليا . . وحين برز فوق الماء مرة أخرى كان المصباح قد اختفى !

واعترم دانتييس أن يهرع نحو أقرب جزيرة ، وكانت تبعد فرسخا عن قصر ايف . . وبعد انقضاء أكثر من ساعة فى السباحة المتواصلة ضد الريح ، أحس ألما حادا فى ركبته ، فمد يده . . وإذا هى تصطدم بعائق من الصخور

٠٠٠ ويوثية أخرى بلغ شاطيء جزيرة «تبولين» ٠ فتمدد هناك فوق صخور الجرانيت وهو يرفع الى الله أحر صلوات الشكر ٠٠ ثم ما لبث قليلا حتى راح في النعاس ، بعد أن نال منه الجهد الذي بذله في الوصول الى هناك !



وبعد حوالى ساعة استيقظ من نعاسه على هزيم الرعد ، وحين نهض كان البرق يضيء الظلمة بومضات خاطفة رأى على هديها زورقا من زوارق الصيد تتقاذفه الامواج وقد تعلق أربعة من ركابه بشراعه الممزق بينما تعلق الخامس بالدفة المكسورة ٠٠ فاندفع دانتيس يعدو هابطا الصخور ، فلما بلغ الشاطيء لم ير للزورق أثرا !

وهدأت العواصف بالتدرج ٠٠ ثم أشرق النهار ، فقال الشاب محدثا نفسه : « بعد ساعتين أو ثلاث سوف يدخل السجن زنزانتى فيكتشف الحادث وتطلق سلطات السجن صفارة الانذار !٠٠ »

واستدارت عيناه في اتجاه قصر ايف ، فلمح عن بعد سفينة شراعية صغيرة من طراز سفن « جنوة » قادمة من ميناء مارسيليا ٠٠ فهتف جذلا : « هل يعقل أن أكون بعد نصف ساعة على ظهرها ٠٠٩ ان هؤلاء المهربين الذين يرتدون مسوح التجار سوف يفضلون أن يبيعوني على أن يقوموا بعمل انساني ، لكننى سأزعم أنني بحار غرقت في عواصف الليلة السابقة ، وسوف يصدقون قصتى ما دام أن أحدا لن يفندها أو ينقضها ! »

وحانت منه نظرة الى حيث غرق زورق الصيد ، فلمح غطاء رأس أحمر من أعطية البحارة متعلقا بطرف صخرة ، وبضع قطع من أخشاب عائمة فوق الماء ٠٠ وفي لحظة رسم خطته : سبغ الى مكان غطاء الرأس حتى بلغه ثم وضعه على رأسه ، وتعلق بأحدى قطع الاخشاب الطافية واتجه الى حيث وقف فى طريق السفينة المقتربة ١٠٠



## في جزيرة مونت كريستو

قضى دانتيس شهرين ونصف شهر يعمل بحارا في سفينة المهريين ، ويمر بجزيرة مونت كريستو ذهابا وايابا بدون ان يجد الفرصة الملائمة للهبوط فيها . . . وأخيرا اقترح الربان الوقوف عندها للراحة . وكانت مهجورة تماما بحيث بدت مكانا نموذجيا لتجارة التهريب !

وفي اليوم التالي لم يرتب أحد في نوايا دانتيس حين أعلن عزمه على اصطيد بعض الوعول البرية التي تفقز بين الصخور . . ثم تظاهر بأنه سقط من صخرة وأصيب في ركبته اصابة تعجزه عن الحركة . . . وحين اقترح عليه زملاؤه ان يخلوه الى السفينة ابي قائلا : « انه يفضل الموت على الالم التحرك ! » . . ثم طلب الى اخوانه ان يتركوا له بعض المؤن ويعودوا اليه بعد يومين أو ثلاثة ، أو يرسلوا اليه اى زورق صيد يصادفونه في البحر ، فلم يسعهم الا اجابته الى طلبه !

ولم تكد سفينتهم تبحر حتى هب من مرقده في خفة الغزال حاملا معه بندقيته وفأسه ، وهرع نحو المكان الذي حددته خريطة الراهب مكانا للكنز . . وهناك لمح آثارا على الصخور تؤدي الى الأخدود صغير يكفي اتساعه وعمقه لمرور زورق صغير واخفائه عن العيون ، فرجع ان يكون الكردينال سبادا قد أحضر كنزه الى هذا المكان في زورق اخفاه في الأخدود ثم دفن كنزه في نهايته ، عند صخرة ضخمة تغطي تلك النهاية !

وتمشيا مع هذه النظرية راح يحفر بفأسه مجرى صغيرا بين الصخرة العليا والتي تحتها ، ثم ملاه بالبارود وأشعل طرف الفتيل وانسحب . . فلما حدث الانفجار رفع الصخرة العليا عن قاعدتها وحطم السفلى تحطيمًا ، وفر من شقوقها آلاف الحشرات ، يتبعها ثعبان ضخم كان كأنه شيطان الكنز الحارس ، لكنه لم يلبث ان تسلسل الى الظلمات واختفى !

واقرب دانتيس من الصخرة العليا ، التي مالت نحو البحر . . ثم وضع جدر شجرة زيتون في احد الشقوق وبدل كل قواه وأجهد كل أعصاب جسمه كي يزحزح الحجر . . وأخيرا تداعت الصخرة ، وانزلقت تندرج من قمة الى قمة حتى اختفت آخر الأمر في جوف البحر . . !

وكانت البقعة التي تغطيها الصخرة مستديرة الشكل ، تكشف عن حلقة حديدية مثبتة في بلاطة مربعة ، فوضع « عتلة » شجرة الزيتون في الحلقة وجذبها بكل قوته ، فانكشفت البلاطة عن سلم يؤدي الى كهف عميق تحت الارض !



« وحين استرد دانتيس هدوءه ، عكف على احصاء محتويات كنزته »

وهبط دانتيس السلم ، لكنه بدلا من أن يجد ظلمة في قاع الكهف وجد ضوءا خافتا يتسرب من شقوق الصخور .. وتذكر أن وصية الكوردينال حددت مكان الكنز بأنه في « أبعد زاوية من الفتحة الثانية » .. وأذن فعليه أن يبحث الآن عن الكهف الثاني . وخطر له أن هذا الكهف المنشود لا بد أن يوجد في مكان أبعد من شاطئ الجزيرة ، فراح يدق الصخور وينصت الى رنينها عليه يسمع رنيناً أجوف يتم عن وجود الكهف . : وأخيراً خيل اليه أنه يسمع الرنين المطلوب ، فعاد يدق الصخور ليتأكد من الأمر ، فتهشمت طبقة خارجية تكسو الصخرة ، وكشفت بذلك عن حجر أبيض كبير ! لقد غطيت فتحة الكهف بالأحجار ثم كسيت بتلك الطبقة وطلبت بحيث تشبه ما حولها من الجرانيت !

والفأس التي كانت ثقيلة في البداية صارت الآن في خفة الريشة .. وحين تم لدانتيس الكشف عن الفتحة هبط الى الكهف الثاني ، فإذا هو أعماق وأحلك ظلمة من الأول ! .. والى يسار الفتحة كانت توجد زاوية عميقة مظلمة ، قدر الشاب من منظرها أن الكهف لو وجد فلن يوجد إلا فيها .. ومن ثم تقدم نحوها وأهوى بفأسه على أرضها .. !

وعند الضربة الخامسة أو السادسة اصطدمت الفأس بسطح ذي رنين يشبه الحديد ، وسرعان ما رأى الشاب خزانة من خشب البلوط مثبتة بأحزمة من الفولاذ .. وفي وسط فطائها لوحة فضية حفر عليها شعار أسرة سبادا !

وأمسك الصندوق من مقبضه وحاول أن يرفعه ، فلم يفلح .. فحول همه الى محاولة فتحه .. وبعد جهود جبارة بمختلف الوسائل لانت الأقفال وانكسرت . ولكنه أصيب بدوار ، فأغمض عينيه وفتحهما ، ليستوثق من أنه لا يحلم !

كان الصندوق مقسما الى ثلاثة أقسام : لمعت في الأول منها اكوام من العملة الذهبية البراقة .. وكان القسم الثاني يحوى كتلا من الذهب غير المصقول .. أما الثالث فقد اعترف الشاب منه بيديه حفنات من الجواهر الخلابه ، من ماس ولؤلؤ وياقوت .. !

وحين استرد هدوءه وأطربته فرحته عكف على احصاء محتويات كنزه : كانت هناك ألف سبيكة من الذهب الخالص ، زنة كل منها من رطلين الى ثلاثة .. ثم خمسة وعشرون ألف ريال ، يساوي كل منها نحو ثمانين فرنكا من العملة المتداولة ، ويحمل رسم البابا الكسندر السادس واسلافه .. ثم احدى عشرين حفنة من الماس واللاقيء النادرة

وكان النهار قد أوشك أن ينقضي ، فخشى دانتيس أن يفاجئه أحد في الكهف فغادره وبندقيته في يده .. وفي تلك الليلة تناول عشائه بضع قطع



من البسكويت وكأسا من الروم ، ثم اختلس من الليل بضعة ساعات نامها فوق فوهة الكهف ، نوما متقطعا تتخلله مشاعر مختلطة من الفرح والفرح !



ولما اشرق النهار التالي بعد أن انتظره دانتيس بفارغ الصبر ، هبط الى مكان الكنز حيث ملأ جيوبه بالجواهر ثم أغلق الصندوق بأحكام وأعاد كل شيء الى مظهره الاول سواء في داخل الكهف أو خارجه ، بحيث لم يترك وراءه أثرا ينم عن اقتراب انسان من المكان !.. ثم ربض على الشاطئ في انتظار وصول قافلة من البحارة !

وفي اليوم السادس عاد المهريون الى الجزيرة ، فلم يكذب دانتيس بلمح شرع السفينة «اميليا الشابة» حتى خف الى الشاطئ ليستقبل أخوانه . وحرص على أن يقول لهم أن أصابته لم تشف تماما ، وان خفت حدة آلامه !.. وفيما هو يشتر معهم فهم من حديثهم أنهم يخشون أن تلتقى بهم سفينة من سفن حراس السواحل علموا أنها غادرت ميناء طولون لمطاردتهم !. ولم تضع الجماعة وقتا في الانتظار فأقنع الجميع بسفينتهم الى ميناء «ليجهورن» .. وهناك عرج دانتيس على جوهري يهودى باع له أربعة من الأحجار الصغيرة التى يحملها في جيوبه بعشرين ألف فرنك .. ثم عاد يقول لزملائه البحارة المهريين ان ميراثا قد آل اليه من عم له ، وأنه سوف يتركهم نهائيا . ثم قدم لصديق له منهم كان قد أحبه - ويدعى «جاكوبو» - سفينة شرعية جديدة على سبيل الهدية ، علاوة على مبلغ من المال يعينه على استئجار بحارة لحسابه والاستقلال بالعمل ، مقابل شرط واحد اشتراطه دانتيس عليه ، هو ان يذهب من فورهِ الى مارسيليا ويستقضى أبناء شيخ مسن يدعى «لويس دانتيس» يقطن حارة «دى ميان» ، وفتاة شابة تدعى «مرسيدس» من قاطنات قرية «كاتالان»

وفي صباح اليوم التالي ابخر جاكوبو بسفينته الى مارسيليا ، على أن يعود فيلتقى بولى نعمته في جزيرة مونت كريستو ، حيث يقدم له تقريرا عن المهمة التى اداها في مارسيليا !

وبعد أن ودع دانتيس زملاءه «المهريين» ووزع عليهم الهبات والهدايا بمناسبة الارث الذى آل اليه ، رحل وحده الى جنوة .. وعند وصوله كان أحد أساطين بناء السفن يجرى تجربة «يخت» جديد صنعه لثرى انجليزى ، مقابل مبلغ أربعين ألف جنيه . فعرض عليه دانتيس أن يبيعه اباه بثمن يزيد عشرين ألفا أخرى !.. ووجد الصانع ان في وسعه بناء يخت آخر مماثل قبل موعد وصول الثرى الانجليزى لتسلمه ، فقبل ما عرضه عليه الشاب .. وعندئذ قاده دانتيس الى منزل تاجر يهودى ، حيث خلا هو الى التاجر فترة باعه خلالها عددا من الجواهر التى يحملها في جيوبه ،

ثم خرج فدفن الى صاحب اليخت الثمن المتفق عليه . . وطلب اليه أن يصنع خزانة سرية توضع في مخبأ غير منظور في كابينة الخاصة باليخت . . فأتى الصانع المهمة المطلوبة منه في اليوم التالي . .

وبعد ساعتين أبحر دانتيس باليخت من ميناء جنوة ، بين حشد من المتفرجين الذين تجمهروا ليروا النبيل « الأسباني » الذي يقود يخته بنفسه ! . . وعند غروب شمس اليوم التالي رسا دانتيس بيخته في أحد خلجان الجزيرة ، ولم يكد يشرق النهار حتى عكف على نقل كنزه الضخم الى المخبأ السري الذي في كابينة ، ففرغ من مهمته قبيل الغروب !

ثم قضى دانتيس أسبوعا آخر يتجول بيخته حول الجزيرة - في انتظار عودة جاكوبو - ويدرس معالمها بعناية الفارس البارع الذي يدرس مؤهلات جواده الجديد الذي يعده للاشتراك في سباق حاسم !

وفي اليوم الثامن لمح سفينة جاكوبو الصغيرة تدنو من الجزيرة ، وحين رسا بها صاحبها الى جوار يخت مولاه حمل اليه نتيجة أبحاثه بصدد المهتمين اللتين عهد بهما اليه . . وكانت نتيجة غير سارة : فان « لويس دانتيس » قد مات . . أما مرسيديس فاخفتت ولا يعلم أحد عنها شيئا !

أصغى الشاب الى هذه الأنباء بهدوء متكلف ، ثم قفز نحو الشاطئ في خفة معربا عن رغبته في أن يترك وحده بعض الوقت . . وحين عاد بعد بضعة ساعات أمر اثنين من بحارة جاكوبو بأعداد اليخت للمسير ، في اتجاه مرسيليا ! . . لقد كان دانتيس متأهبا لنبا موت أبيه ، أما اختفاء خطيبته الغامض فلم يدر كيف يعمله !

ولم يكن في وسعه أن يزود أحدا من رجاله بتعليمات واضحة بصدد المستقبل ، بغير أن يفشى سره . . الى أن بعض المعلومات التي كان يريد الوصول اليها لم تكن تصلح بطبيعتها لأن يستقصيها سواه . وكانت المرأة قد دلته عند وصوله الى ليجهورن على أن هيئته قد تغيرت بحيث لم يعد في إمكان أحد أن يعرف حقيقة شخصيته ! . . هذا الى كونه يملك الآن من وسائل التنكر ما يكفل اتخاذه أى اسم وأية شخصية يقع اختياره عليها !

وهكذا رسا بيخته ذات صباح جميل في ميناء مارسيليا ، تتبعه سفينة جاكوبو الصغيرة . . واختار لرسوه الرصيف المواجه لذلك الذي حمل منه الى القارب الذي أقله الى سجن « قصر أيف » الرهيب ، في تلك الليلة الليلية التي لا تنسى !

وبرغم أنه كان يرتجف رجفة غير ارادية كلما وقع بصره على أحد رجال الشرطة ، فإنه تدرع بقدرته على تمالك نفسه ، وكان قد تعود ذلك أثناء معاشرته للراهب العلامة فاريا في السجن ، فلم يبد عليه أدنى انفعال وهو يقدم الى شرطة الميناء جواز سفره الانجليزي الذي حصل عليه من ليجهورن . . وبفضل ذلك الجواز الاجنبي الذي يحترم في فرنسا أكثر من

جوازات البلاد نفسها ، استطاع أن ينزل الى البر بلا صعوبة تذكر !

وكان أول من لفت نظره على أرصفة الميناء بحار من رؤوسيه القدامى في السفينة « فرعون » ، فخطر له أن يمتحن تنكره بالتحدث الى الرجل . . فانجه اليه وراح يلقي عليه بعض الأسئلة المختلفة وهو يرقب تعبير وجهه بعناية . . لكن البحار لم تصدر عنه كلمة أو نظرة تلقى في الروع أنه قد رأى محدثه يوما من الايام من قبل ! . . وفي النهاية منحه دانتييس قطعة من النقود جزاء له على شهامته وأنصرف !

وكانت كل خطوة بخطوها تقبض قلبه وتثير في نفسه عواطف وذكريات شتى . . فلما بلغ نهاية شارع « دى نواى » ولح حارة « دى ميان » اهتزت ركبته لفرط تأثره حتى كاد يسقط تحت عجلات عربة عابرة ! . . وأخيرا بلغ المنزل المتواضع الذى كان يقطنه أبوه !

كان المسكن الصغير الذى عاش فيه الأب يقع في الطابق الخامس ، حيث يسكن الآن شاب وعروس لم يمض على زواجهما أسبوع . . ولم يكن قد بقى من مظهر المسكن القديم غير جدرانه . . فالتمس الزائر رؤية المسكن ، وحين لحظ الزوجان عليه علائم التأثر العميق آثرا أن يحترما قداسة حزنه فلم يسألاه عن سببه وملابساته وتركاه يتأمل المسكن كما يشاء . . فلما انسحب آخر الأمر من موطن ذكرياته رافقاه حتى الباب ووجها اليه الدعوة كى يعود لزيارة المكان في الوقت الذى يروقه !

وأثناء نزول دانتييس السلم توقف في الطابق الرابع ليستفسر عما اذا كان « الترزى » المدعو « كادروس » ما يزال يقطن مسكنه القديم ؟ . . فقيل له ان الرجل قد أصيب بضائقة جعلته يهجر مهنته ، وأنه الآن يدير حانة صغيرة على الطريق بين « بيلجارد » و « بوكير »

ثم استفسر عن مالك المنزل ، فلما عرفه وكل مسجلا للعقود فابتاعه له من مالكة باسم « اللورد ويلمور » - وهو الاسم المثبت في جواز سفره الانجليزى - مقابل مبلغ خمسة وعشرين ألف فرنك ، وهو مبلغ يساوى عشرة أضعاف قيمته الحقيقية . . ولو طلب المالك نصف مليون من الفرتكات ثمنا له لحصل عليها ! . . وفي اليوم نفسه أخطر مسجل العقود فاطنى الطابق الخامس أن المالك الجديد يعرض عليهما أن يختارا أى مسكن آخر في المنزل بالايجار الزهيد نفسه ويخليا مسكنهما الصغير !

وقد اثارت هذه القصة الغريبة اهتمام أهل الحى وفضولهم ، فراحوا يعللونها بشتى التعليقات ، لكن تعليلا واحدا منها لم يقترب من الحقيقة الخفية أو يحوم حولها !

## جزء الوفاء

لعل الذى طافوا بجنوب فرنسا ، مروا خلال الطريق بين مدينة « بوكير »  
وقرية « بيلجارد » بحانة صغيرة يؤرجح الهواء على واجهتها لافتتها المصنوعة  
من الصفيح ٠٠ وقد أشرف على ادارتها خلال السنوات السبع الاخيرة رجل  
وزوجته ، يعاونهما اثنان من الخدم ٠ أما الرجل فكان صاحبنا « الترزى »  
القديم « جاسبار كادروس » ٠٠ وأما زوجته فكانت امرأة شاحبة يسدو  
عليها المرض ، لا تكاد تبرح مخدعها فى الطابق الثانى ، بينما يشرف زوجها  
على استقبال الرواد واجابة طلباتهم !

وفى ذات يوم رأى كادروس رجلا يرتدى مسوح رجال الدين السوداء  
ويتمطى جوادا ، مقبلا من جهة بيلجارد ، وعلى رأسه قبعة مثلثة الاركان ٠٠  
فلما ترجل أمام باب الحانة استقبله صاحبها مرحبا ، فألقى عليه القس نظرة  
طويلة فأحصه ، ثم قال يسأله فى لهجة ايطالية قوية : « أنت مسيو كادروس  
على ما أعتقد ؟ » أما أنا فأدعى القس « بوزونى » ٠٠ هل عرفت فى سنة  
١٨١٤ ، أو ١٨١٥ ، بحارا شابا يدعى دانتيس ؟

فأجابه كادروس وقد احمر وجهه تحت نظرة القس الصافية الهادئة :  
« دانتيس ؟ نعم ٠٠ لقد كان ادمون دانتيس من أعز أصدقائى ! »

ثم استطرد بعد حين قائلا : « أخبرنى اذا سمحت أيها الأُب : ماذا جرى  
لامون التعمس ؟ هل تعرفه ؟ هل هو حى مطلق السراح ؟ هل هو موسر  
وسعيد ؟ »

— بل انه مات سجيننا تعسا محطم القلب فريسة لىاس المرير ١٠٠  
عندئذ غامت على وجه كادروس سحابة من الشحوب الشبيه بشحوب  
الموتى ، ثم أدار وجهه بعيدا ، وراه القس يمسح الدموع عن عينيه بطرف  
المنديل الاحمر المربوط حول رأسه ٠٠ ثم أردف : « هل كنت تعرف الفتى  
المسكين اذن ؟ »

— لقد استدعيت لأراه على فراش الموت ، كى أدخل على نفسه عزاء الدين .  
ولقد أقسم دانتيس فى حضرة الموت انه يجهل كل شىء عن سبب سجنه !  
فغمغم كادروس : « هذا صحيح ٠٠ آه يا سيدى ، ان الفتى المسكين قد  
ذكر لك الحقيقة ! »

فقال القس : « ولهذا السبب ناشدنى أن أكشف الستار عن لغز لم

يستطع يوما أن يحلّه ، وأن أنقى ذكراه من أية وصمة أو شائبة تكون قد عقلت بها ! »

وهنا استراحت نظرات القس على وجه كادروس الذى تمشت فيه كآبة وانقباض شديدان . . ثم استطرد قائلا : « لقد عرف دانتيس فى سجنه ثريا انجليزيا أطلق سراحه فى عهد الامبراطورية الثانية ، كان يملك ماسة كبيرة القيمة اهداها يوم خروجه من السجن الى دانتيس ، اعرابا عن امتنانه وشكره له على العناية والعطف اللذين اظهرهما الشاب نحوه وهو يمرضه أثناء اصابته بمرض خطير فى سجنه . وتقدر الماسة بنحو خمسين ألف فرنك ! »

وأخرج القس من جيبه علبة صغيرة فتحتها فبهرت الماسة التي فى داخلها عينى كادروس ، الذى سأله ملهوبا : « ولكن كيف وصلت الماسة الى حيازتك يا سيدى ؟ هل أوصى لك ادمون بها ؟ »

فقال القس : « كلا ! بل جعلنى منفذا لوصيته ، وقد ذكر لى أنه كان يوما له أربعة اصدقاء اوفياء ، الى جانب العذراء التي كان خطيبها . وقد شعر بانهم جميعا تالموا لغيابه أشد الألم . . أحدهم يدعى كادروس . . »

وهنا ارتجف صاحب الحانة لذكر اسمه . . بينما استطرد محدثه يروى على لسان دانتيس ، متظاهرا بأنه لا يلحظ ارتباك كادروس : « . . والصدىق الثانى يدعى دانجلر . . والثالث كان برغم أنه غريمه يحبه أخلص الحب ، وكان اسمه فرناند . . أما خطيبته فاسمها مرسيديس . . وقد كلفنى أن اذهب الى مرسيليا لآبيع الماسة واقسم ثمنها الى خمسة أنصبة متساوية ، ثم أعطى كلا من هؤلاء الاصدقاء الاوفياء نصيبا منها . فهم وحدهم الذين أحبهوا على الارض »

— ولكنك لم تذكر غير أربعة أسماء . . فمن الخامس ؟

— الخامس هو والد دانتيس ، وقد علمت أنه توفى !

— هذا صحيح يا سيدى . . ان الشيخ المسكين قد مات !

وكادت تخنقه غصته وانفعاله . . بينما استطرد الأب بوزونى قائلا وهو يبذل جهدا كبيرا كى يخفى تأثره : « لقد وقفت من أبحاثى فى مارسيليا على معلومات كثيرة ، لكنى عجزت عن الاهتداء الى من يصف لى كيف كانت نهاية والد دانتيس ، فهل تعرف شيئا فى هذا الصدد ؟ »

— ومن يعرف اذا لم أعرف أنا ؟ . . لقد كنت أعيش فى المسكن الذى يقع أسفل مسكن الأب مباشرة . . لقد مات لويس دانتيس بعد نحو عام من اختفاء ولده ، والناس يقولون انه مات من الحزن ، أما أنا الذى رأيت فى ساعات احتضاره فأقول لك انه مات من الجوع !

فهتف القس وهو يهيب من مقعده : « مات من الجوع ؟ . . ان شر الحيوانات لا تموت هذه الميتة البشعة ! . هذا مستحيل ، مستحيل ! . . »

فاستطرد كادروس مستدركا : « لست أعنى أن الجميع قد هجروه أو نبذوه تماما ، فان مرسيديس ومسيو موريل كانا يعطفان عليه ٠٠ ولكن لسبب ما ظل الشيخ التعس يكن كراهية شديدة للمدعو « فرناند » ٠٠ الذى ذكرت اسمه منذ حين بين أصدقاء دانتييس الأوفياء »

— أولم يكن كذلك فى الواقع ؟

— وهل يمكن أن يكون الرجل وفيسا لغريمه الذى يتنافسه على الخطوة بالمرأة التى يحبها ويريدها لنفسه ؟ مسكين ادمون ، لقد خدعوه بقسوة ، لكنه لحسن الحظ لم يعرف ، والا لتعذر عليه وهو على فراش الموت أن يصفح عن أعدائه ٠٠ والواقع أن هبة ادمون المسكين لا يستحقها الحونة أمثال فرناند ودانجلر ، اللذين وشيا به باعتباره من عملاء نابليون ٠٠ لقد كنت حاضرا ذلك الحادث

— وهل لم تحتج أو تعترض على هذا الاثم ٠٠؟ انك اذا كنت لم تفعل فقد كنت شريكا فيه !

— سيدى ، انهما قد سقياني من الخمر ما أفقدنى كل وعى تقريبا ، بحيث لم أعد أشعر بما يجرى حولى الا شعورا مبهما غير واضح . وقد قلت كل ما كان فى استطاعة من فى مثل حالتى تلك أن يقول ، لكن اللعينين أكدا لى أنهما يمزحان ولا ضرر من مزاحهما البتة ٠٠ ومع ذلك فان وخز الضمير يطاردنى ليل نهار !

— لقد أشرت الى شخص يدعى مسيو موريل ، فمن يكون ؟

— انه صاحب السفينة فرعون ورئيس دانتييس ، وقد توسط من أجله عشرين مرة . وحين عاد الامبراطور الى عرشه طالب بالافراج عن السجنين بحماسة جعلت القوم يضطهدونه فيما بعد باعتباره من أنصار بوناپرت! ٠٠ وقد ذهب لزيارة والد دانتييس عشر مرات ، ودعاه كى يزوره فى بيته . وقبل وفاة الرجل بيوم أو اثنين ترك مسيو موريل كيس نقوده فوق رف المدفأة ، فدفعت منه ديون الميت وأنفق على دفنه بالمظهر اللائق . وهكذا مات والد ادمون ، كما عاش ، دون أن يؤذى أحدا . وما زلت أحتفظ بكيس النقود المذكور . انه كبير ، ومصنوع من الحرير الاحمر !

— وهل ما يزال مسيو موريل على قيد الحياة ؟ لا ريب انه الآن ثرى سعيد ؟

فابتسم كادروس فى مرارة وأجاب : « انه فى أسوأ حال ، يكاد يشرف على الافلاس والدمار ، بعد خمس وعشرين سنة من العمل المتواصل الذى أكسبه أحسن سمعة فى دوائر مارسيليا التجارية . لقد فقد الرجل خمس سفن فى مدى عامين ، وخسر أموالا طائلة بسبب افلاس ثلاثة من البيوت المالية الكبرى . والآن بات أمله الوحيد معلقا على وصول السفينة « فرعون » سالمة ، وهى السفينة التى كان دانتييس المسكين ربانها ، وينتظر وصولها

من جزر الهند حاملة شحنة من النيلة ودود القرمز .. فاذا غرقت هذه السفينة مثل سابقاتها فعلى الرجل السلام ! .. ان له زوجة كانت تصرفاتها برغم كل الظروف أشبه بتصرفات الملائكة .. كما أن له ابنة كانت على وشك الزواج من الشاب الذى تحبه لكن أسرته سوف تحول الآن دون زواجه من ابنة تاجر مفلس .. وله أيضا ابن يدعى مكسميليان يعمل ملازما فى الجيش .. وهكذا ترى أن كل ذلك يزيد فى أحزانه وأشجانه ، فلو كان وحيدا فى الدنيا لا فرغ رصاصه فى رأسه واستراح ! .. »

— هذا فظيع !

— وهكذا تكافىء السماء الفضيلة يا سيدي ! فانا الذى لم أفعل يوما شرا — عدا الذى ذكرت لك قصته — أعانى ضائقة شديدة، وزوجتى تموت من الحمى أمام عيني ، وأنا عاجز عن أن أصنع شيئا من أجلها . انى سوف أموت جوعا ، كما مات والد دانتيس ، بينما يتمرغ دانجلر وفرناند فى الثراء الفاحش .. لقد جلبت عليهما أفعالهما الحظ الحسن ، بينما أصاب الشقاء والبؤس الرجال الشرفاء ! ..

— وماذا صار من أمر دانجلر ، المتآمر الأول كما تقول ؟

— لقد غادر مارسيليا على أثر اعتقال دانتيس الى حيث عين — بوساطة موريل الذى جهل كل شيء عن جريمته — صرافا فى بنك اسباني . وخلال الحرب مع اسبانيا استخدم فى قوميسيرية الجيش الفرنسى حيث جمع ثروة، ثم ضارب بها فى البورصة فضاعفها ثلاث مرات أو أربع مرات . وقد تزوج أولا ابنة صاحب البنك الذى كان يعمل فيه ، لكنها ماتت ، فتزوج للمرة الثانية من أرملة تدعى مدام دى نارجون ، هى ابنة مسيو دى سرفيو كبير أمناء الملك . انه الآن مليونير وقد أنعموا عليه بلقب بارون ، فصار يدعى « البارون دانجلر » .. وهو يقطن قصرا فاخرا فى شارع « مون بلون » ، به حظيرة تضم عشرة عشاء جياد ، وستة من الخدم ، أما ملايينه التى فى البنك فلست أعرف عددها ! ..

— وفرناند ؟

— ان له قصة مشابهة .. فعلى أثر عودة الامبراطور جند للجيش ، كما جندت أنا أيضا ، لكنى كنت أكبر منه سنا ، ومتزوجا حديثا من زوجتى المسكينة ، فأرسلت الى الساحل .. أما هو فقد انضم الى الجيش العامل ومضى مع فرقته الى الجبهة حيث اشترك فى معركة « ليني » . وفى الليلة التالية للمعركة عهد اليه فى الوقوف ( ديديانا ) أمام باب جنرال كان على اتصال سرى بالاعداء .. وفى تلك الليلة كان على الجنرال أن يذهب الى خطوط الانجليز ، فعرض على فرناند أن يرافقه .. فوافق هذا ، وهجر مركز حراسته وتبع الجنرال ! .. ولو بقى نابليون على عرشه لحوكم فرناند أمام مجلس عسكري ، لكن بلاط الملك كافأه على فعلته ! .. وهكذا عاد الى فرنسا برتبة صف ضابط ، وبفضل عطف الجنرال ووساطته رقى الى

يوزباشي في سنة ١٨٢٣ ، خلال الحرب الاسبانية ٠٠ أى فى الوقت الذى قامر فيه دانجلر بمضارباته الاولى . ولما كان فرناند من أصل اسباني فقد أرسل الى اسبانيا ليعمل على تهدئة شعور مواطنيه ، وهناك التقى بدانجلر وتوطدت بينهما الصلات ٠٠ وما لبث أن ظفر بمعاونة الملكيين فى العاصمة وأدى من الخدمات خلال تلك الحملة القصيرة ما نتجت عنه ترقيته عقب معركة ( تروكاديرو ) الى رتبة اميرالاي ومنحه لقب ( كونت ) ووسام الضابط فى فرقة الشرف ( اللجيون دونور ) !

فغمغم القس : « يا لها من أقدار ٠٠٠ »

واستطرد كادروس : « هذا صحيح ، ولكن اسمع اليقية : فعند انتهاء الحرب الاسبانية تأثر مستقبل فرناند ومصالحه بالسلام الطويل الذى بدأ أنه يسود أوروبا ، ولم يعكره غير اقدم اليونان على شن الحرب ضد تركيا ، من أجل استقلالها ٠٠ وعندئذ استدارت العيون جميعا نحو أثينا ، حتى صار شعار العصر كله الاشفاق على اليونان وتعزيدهم ٠٠ ومن هنا سمحت حكومة فرنسا بتأليف جيش من المتطوعين لنصرة جارتها ، دون أن تتولى ذلك التعزيد رسميا ٠٠ فسعى فرناند حتى حصل على إذن بالسفر للخدمة فى اليونان ، وكان اسمه ما يزال مدرجا فى سجلات الجيش وبعد فترة من الزمن أعلن أن الكونت دى مورسرف - وكان هذا هو الاسم الذى صار يعرف به - قد التحق بخدمة الوالي الالباني « على باشا » فى درجة « مشير عام » ٠٠ وقد قتل على باشا ، لكنه قبل أن يموت رأى أن يكافئ فرناند على خدماته بأن يترك له مبلغا من المال عاد به هذا الى فرنسا ، حيث رقى الى رتبة لواء ٠٠ وهو الآن يملك قصرا فاخرا - رقم ٢٧ شارع « دى هيلدر » بباريس !

فتح القس فمه دهشة ، وتردد لحظة ، ثم بذل جهدا كبيرا كى يتمالك نفسه ، وأخيرا قال : « ومرسيديس ؟ ماذا كان مصيرها ؟ يقولون انها اختفت ! »

فأجاب كادروس : « مرسيديس اليوم من أعظم نساء باريس ٠٠ لقد أصيبت عقب اعتقال دانتييس بنوبة من اليأس البالغ كادت تقضى عليها ٠٠ وكم استعظمت المحقق مسيو دى فيلفور ، ولكن بلا جدوى ٠٠ وأخيرا جعلت مهما أن تعنى بالشيخ المهدم والد ادمون . وفى غمرة ياسها أصابها مكروه جديد ، هو رحيل فرناند الى الحرب . ولم تكن قد عرفت بدور فرناند فى اعتقال حبيبها ادمون ، والجريمة التى اقترفها نحوه ، فلما ذهب بدوره أحست أنها فقدت أباها بعد خطيبها ، وبقيت وحيدة ٠٠ وانقضت ثلاثة أشهر بدون أن تتلقى أى نيا من ادمون ، أو من فرناند ، فصار البكاء ملاذها الوحيد ٠٠ لم تبق لها غير رفقة شيخ مهدم يقتله اليأس قتلا بطيئا ٠٠ وذات مساء سمعت خطوات أدركت أنها خطوات فرناند ، وظهر هذا أمامها بسترة صف الضابط . لم يكن هو حبيبها المنشود ، لكنها أحست كان جانبا من



حياتها الماضية قد رد إليها . لقد ملك آخر قلبها ، لكن هذا الآخر غائب ، مختلف ، ولعله قد مات ! . ولدى هذه الفكرة الأخيرة كانت مرسيديس تنخرط في البكاء ، وتضم يديها في لوعة وضراعة . لكن الخاطر الذي طالما استبشعته من قبل ، حين كان يقترحه عليها أحد ، فرض نفسه الآن من تلقاء ذاته على ذهنها . وفي الوقت عينه كان دانتيس الشيخ لا يفتأ يقول لها : « مات حبيبنا ادمون . والا لعاد إلينا ! » . ولكن لو عاش الشيخ لما صارت مرسيديس زوجة لآخر ، غير ابنه . فانه لم يكن ليكف عن تأنيبها وتحذيرها من الحيانة . وقد أدرك فرناند ذلك ، فلما سمع بوفاة الرجل عاد . وكان قد صار ملازما . وفي الزيارة الأولى لم يتفوه بحرف لمرسيديس عن حبه إياها . وفي الثانية ذكرها بأنه يحبها . فطلبت إليه أن ينتظر ستة أشهر أخرى تحزن خلالها على ادمون وترتدى السواد ! . « فقال الأب بوزوني وهو يبتسم ابتسامة مريرة :

— اذن فقد أخلصت لحبيبها ثمانية عشر شهرا في الجملة . فقيم يطمع أكثر من ذلك أعظم المشاق ولها وهياما ؟ » ثم ردد مغمضا كلمات الشاعر الانجليزي : ( يا ضعف الارادة . يا وهن العزيمة . ان اسمك : المرأة ) واستطرد كادروس : « وبعد ستة أشهر من ذلك التاريخ تم الزفاف في كنيسة « آكول » ! »

فغمغم الكاهن : « الكنيسة ذاتها التي كان سيعقد فيها زواجها من ادمون ! . لم يطرأ غير تغيير في شخص الزوج ! »

واستأنف كادروس حديثه : « وهكذا تزوجت مرسيديس ، لكنها كادت يقضى عليها وهي تمر أمام حانة ( لاريزرف ) ، حيث احتفل قبل عام ونصف عام بخطبتها الى ذاك الذي لو أمعنت النظر الآن في أعماق قلبها لأدركت أنها ما تزال تحبه ! . وفي حمى فزع فرناند من عودة دانتيس ، حرص على الابتعاد بنفسه وبزوجته عن المدينة . فلم تنقض عشرة أيام على الزواج حتى غادرا مرسيديس ! »

— وهل لم تر مرسيديس بعد ذلك ؟

— بل لقد رأيتها ، خلال الحرب الاسبانية ، في « بربجان » حيث كان فرناند قد تركها تعنى بتربية ولدها

— ابنها . . . ؟

— نعم . . . « البرت » الصغير !

— ولكن كي تستطيع تثقيف ابنها لابد أن تكون هي على قدر من الثقافة . وقد فهمت من ادمون أنها ابنة صياد بسيط . جميلة ولكن ليست متعلمة !

— انها من الذكاء بحيث كيفت نفسها حسب مركز زوجها وثروته ، فتعلمت الرسم ، والموسيقى ، وكل شيء . واعتقد أنها فعلت ذلك كي تشغل نفسها عن التفكير في حبه القديم وتنسى الماضي . لقد ملأت رأسها كي

تخفف العبء الذى يثقل قلبها . وهى الآن غارقة فى الثراء والمجد والالقب  
.. لكنها فيما أعتقد غير سعيدة !  
- وما الذى يجعلك تعتقد ذلك ؟

- عندما اشتدت بى الضائقة فكرت فى أن ألبأ الى أصدقائى القدامى ،  
لعلهم يساعدوننى . فذهبت الى دانجلر ، لكنه أبى أن يستقبلنى . ثم  
ذهبت الى فرناند ، فأرسل الى مائة فرنك مع خادمه . وفيما أنا خارج  
سقط عند قدمى كيس نقود يحوى خمسة وعشرين جنيهًا ، فرفعت رأسى  
نحو مصدره بسرعة ، واذ ذاك رأيت مرسيديس فى النافذة ، لكنها سارعت  
الى اغلاقها !

- ومسيو دى فيلفور ؟ هل تعلم ما صار اليه ، ونصيبه فى المأساة التى  
حلت بادمون ؟

- كلا ، كل ما أعلمه عنه انه بعد اعتقال ادمون بزمن وجيز تزوج من  
الآنسة دى سان ميران ثم غادرا مرسيديا على الأثر . ولا شك أنه كان  
محظوظا مثل الآخرين . وهكذا لم يبق فقيرا تعسا منسيا سوى !

- أنت مخطيء يا صديقى . قد يبدو أحيانا كأن الله ينسى أن ينصف  
المظلوم فترة من الوقت ، لكن عدالته تمهل ولا تهمل ، واليك الدليل !

وأخرج القس من جيبه العلبة التى تحوى الماسة الثمينة وأعطاهها للرجل  
قائلا : « اليك يا صديقى . خذ هذه الماسة ، فهى لك ! »

فصاح كادروس : « ماذا ؟! أنا وحدى ؟! بربك لا تسخر منى  
يا سيدي ! »

- كان المفروض أن يقسم ثمن هذه الماسة بين أصدقاء ادمون جميعا .  
ولكن لم يكن له فى الحقيقة غير صديق واحد ، واذن فلا داعى لتجزئتها .  
خذ الماسة اذن وبها ، انها تساوى خمسين ألف فرنك ، وأرجو أن يكفى  
هذا المبلغ لانقاذك من ضائقتك !

فقال كادروس وهو يمد احدى يديه فى خجل لياخذ الماسة ، ويجفف  
العرق المتصبب على جبينه باليد الأخرى :

- سيدي . لا تسخر من سعادة انسان أو شقائه !

- انى أعلم ما هى السعادة وكيف يكون الشقاء ، وحاشاى أن أسخر من  
عواطف الناس ومشاعرهم . خذ الماسة اذن . وأعطنى فى مقابلها كيس  
النقود الحربرى الاحمر الذى تركه مسيو موريل فوق رف مدفأة دانتيس  
الأب والذى تقول انه فى حيازتك !



## غادة الكرنفال

في أواخر سنة ١٨٣٧ وصل إلى روما لحضور « كرنفالها » الكبير شابان ينتميان إلى مجتمعات باريس الرفيعة ، هما : الفيكونت « ألبرت دي مورسيرف » والبارون « فرانز ديبيناي »

وكان الجناح الذي أقاما به في الفندق مؤلفا من حجرتين صغيرتين ورددهما أما بقية الطابق الفسيح الذي به هذا الجناح فكان يشغله ثرى من نبلاء صقلية أو مالطة يدعى « الكونت دي مونت كريستو »

وأوصى الشابان السنيور « باستريني » صاحب الفندق أن يبحث لهما عن عربة تكون تحت تصرفهما أثناء احتفالات الكرنفال .. لكنه عجز عن العثور على العربة المطلوبة ، من فرط ازدحام المدينة بالسائحين .. وفي اليوم التالي عاد إليهما الرجل يقول : « ان الكونت دي مونت كريستو يعرض عليكما مكانا في عربته ومقعدين في نافذته بقصر ( روسبولى ) كى تشاهدا منها الاحتفال »

ثم قادهما إلى جناح الكونت ودق الجرس ، فظهر خادم دعاهما إلى الدخول وأجلسهما في حجرة استقبال فاخرة حافلة بالرياش والطنافس والسجاد التركي الثمين والأرائك المريحة والمقاعد الوثيرة والوسائد والستائر الثمينة وظهر خلفها الكونت صاحب كل هذا الثراء .. وكان برغم شحوبه ذا وجه وسيم وعينين نفاذتين براقنتين ، وأنف مستقيم ، وأسنان بيضاء ناصعة كاللؤلؤ ، يعلوها شارب أسود فاحم يزيدا جمالا .. أما قامته فكانت متوسطة الطول متناسبة التكوين .. وكانت يدها وقدماه صغيرتين شأن أهل الجنوب

وابتدر الكونت دي مونت كريستو ضيفيه قائلا : « أرجو أن تغفرا لى دعوتكما إلى زيارتى أولا ، فقد خشيت أن أزعجكما فيما لو سبقت لى زيارتكما ! »

فقال الكونت وهو يشير إلى الشابين كى يجلسا : « الواقع أن ذلك الغيبى ( باستريني ) هو المسئول عن عدم مبادرتى إلى ذلك قبل هذه الساعة ، فهو لم يشر بكلمة إلى جيرتكما قبل اليوم ، فى حين أنه يعلم مبلغ ترحيبى - فى وحدتى وعزلتى - بانتهاز كل فرصة للتعارف مع جيرانى .. والان أرجو أن تشرفانى بتناول الافطار معى »

فقال البرت : « اننا يا سيدي الكونت لنشكر لك كرمك وأريحيته  
ونرجو ألا نكون قد أثقلنا عليك »

فقال : « كلا ! بل انكما سوف تدخلان السرور على قلبي .. ولعل  
أشرف يوما بزيارتكما في باريس ! »

ثم تطور الحديث بعد حين الى حكم باعدام اثنين من زعماء العصابات كان  
مزما تنفيذها في ذلك اليوم . فأفاض الكونت في الحديث عن هذا الموضوع ،  
حتى قال له فرانز : « يلوح لي يا سيدي الكونت أنك درست مختلف  
العقوبات وأساليب التعذيب عند كل شعوب العالم ! »

فأجاب الكونت في برود : « هناك وسائل معدودة منها لم أشاهدها ! »  
فسأله فرانز : « هل تجد متعة في مشاهدة هذه المناظر البشعة ؟ »  
فأجاب الكونت بقوله : « كنت أول امرأتنا لمشاهدتها ، ثم صرت  
أشعر ازاءها بعدم المبالاة . وأخيرا صار الفضول هو الذي يدفعني الى  
مشاهدتها »

وهنا غمغم البرت قائلا : « الفضول ؟ .. يا لها من كلمة رهيبية ! »

فالتفت اليه الكونت وقال له : « ان شغلنا الشاغل في الحياة هو الموت ،  
فليس عجيبا أن يشتد بنا الفضول لدراسة مختلف الوسائل التي تؤدي  
الى فصل الروح عن الجسد ، أو التي يقابل بها مختلف الناس انتقالهم من  
الحياة الى الموت ، ومن الوجود الى العدم تبعاً لاختلاف شخصياتهم وطباعهم  
وعادات بلادهم المختلفة ! .. واني لاؤكد لك أنك كلما رأيت عددا أكبر من  
الناس يموتون ، سهل عليك أن تواجه الموت .. وفي اعتقادي أن الموت قد  
يكون عذابا ، لكنه ليس تكفيرا ! »

فقال فرانزا مأخوذا : « لست أفهم ما تعنيه تماما يا سيدي الكونت ،  
فهل لك أن توضحه لي ؟ .. انك تنير فضولي الى أقصى حد ! »

فأجابه الكونت وقد بدت في وجهه امارات الاستياء العميق : « سأوضح  
لك الأمر بمثل أضربه لك .. فأفرض ان انسانا قضى على حياة أبيك أو  
أمك أو خطيبتك أو أي عزيز لديك ، أليس فقدته يترك جرحا لا يندمل في  
صدرك ، ولا يزال حزنك عليه يؤرقك ويعذبك ما حبيت ؟ .. ان القصاص  
الذي يأخذ به المجتمع ذلك القاتل بفصل رأسه عن جسده بالمقصلة في  
توان معدودات ، لا يمكن أن ينسيك العذاب النفسي الذي تقاسيه بسبب  
الجريمة التي اقترفتها . في حين انه هو لا يقاسي مثل ذلك العذاب الا بعض  
الوقت ، ريثما يؤخذ الى المقصلة حيث يتألم جسمه بضع توان ، ثم ينتهي  
كل شيء بالنسبة له ! »

فقال فرانز : « نعم .. ان العدالة البشرية لا تكفي لتعزيتنا ، وكل  
ما تفعله أنها تسفك دما مقابل دم .. لكن لا ينبغي لنا أن نطالبها بما ليس  
في طاقتها ! »

- دعني أعرض عليك مثلا آخر ، هناك الوف من حالات التعذيب يقاسى فيها المرء أشنع الويلات بلا علم المجتمع ، أو من غير أن يكفل له المجتمع الوسائل الكافية للانتقام !! وهناك جرائم لا يعاقب عليها المجتمع ، فى حين أن عقابها يجب أن يكون أشد من ( خوازيق ) الأتراك ، و ( بريمة ) الفرس ، ووشم الهنود بالنار !! الا تقع هذه الجرائم كل يوم ؟ ،

- نعم ، انها تقع بلا ريب !! ولعل المبارزة ما شرعت الا لتكون وسيلة يلجأ اليها المعتدى عليه للانتقام من المعتدى !

- كلا يا سيدى !! ليس هو الانتقام المنشود !! فانا ألجأ الى المبارزة فى الأمور النافهة ، وغالبا لا ينجو خصمى من الموت بفضل براعتى فى أنواع الرياضة البدنية ، وتعودى الاستهانة بالخطر !! أما الانتقام بمعنى التمهيد البطيء العميق المستمر ، فمن رأى أن يتبع المرء فيه القساعة القديمة ( العين بالعين ، والسن بالسن ) ، كما يقول الشرقيون أساتذتنا فى كل شئ ، أولئك المحظوظون الذين رسموا لأنفسهم حياة من الأحلام وجنة من الحقائق !

- لكنك تبعا لهذه النظرية التى تجعل نفسك بها قاضيا وإجلادا فى قضيتك الشخصية ، يكون من العسير أن تنجو دائما من الوقوع تحت طائلة القانون !! فالكراهية العمياء والحقد يحملانك على أن تركب الصعب من الأمور ، ومن يسكب الانتقام فى كؤوس الآخرين يعرض نفسه لخطر الشرب من كأس أمر !

- هذا صحيح اذا كان المرء فقيرا وغير مجرب ، لا غنيا حاذقا !! ثم ان أسوأ ما قد يصيبه لن يخرج عن حد العقاب السريع السهل الذى تحدثنا عنه ، والذى اتخذته الثورة الفرنسية الرحيمة بدلا من التمزيق تحت سنابك الجياد أو العجلات . وما أتفه هذا العقاب ما دام الشخص قد انتقم لنفسه !؟



وفى هذه اللحظة سمعت دقات الأجراس فى كنيسة «هونتي سيتوريو» ولم تكن تدق الا عند وفاة البابا أو افتتاح الكرنفال ، فقال الكونت : «لقد بدأ الاحتفال ، ويحسن أن نسارع الى ارتداء ثياب التنكر الخاصة به » . ثم أشار الى أزياء كثيرة أنيقة من حرير الساتان كانت متراكمة على بعض المقاعد ، ليختار من بينها ما يشاءان

وحين فرغ ثلاثتهم من هذه المهمة ، هبطوا الى حيث كانت العربة فى انتظارهم !! فدرجت بهم فى شوارع المدينة الحافلة بمواكب المهرجين وعربات الزهور وجموع المنتكرين فى أعرب الأزياء والإقنعة ، وكلهم يصخبون ويتصايحون ويتقاذفون كرات الورق الملون والبيض المحشو بالدقيق !

وحين بلغت العربة ثاني منعطف في الطريق ، أشار الكونت الى الحوذى بالوقوف ، واستأذن ضيفه في الانصراف قائلا : « حين تملان الاشتراك في التمشيل وتبعيان أن تصيرا متفرجين يمكنكما الحضور الى حيث حجزت لكما مكانا في نوافذى ٠٠ وفي انتظار ذلك أترك العربة والحوذى والخدم رهن اشارتكما ! »

فشكر قرانز الكونت على كرمه واهتمامه ، بينما انشغل البرت بالقاء الزهر والورق الملون على عربة ملائى بالمتنكرين في زى فلاحى الرومان ٠٠ ثم تابعت عربته والعربة الأخرى سيرهما فى اتجاهين متضادين ، فتهد الشاب متحمسا وقال لصديقه : « انك لم تر يا فرانز ركاب تلك العربة ، لست أشك فى أنهم جميعا من النساء الفاتنات المتنكرات فى زى الفلاحين ! فعسى ألا ينتهى الكرنفال قبل أن تتاح لنا فرصة لقائهن مرة أخرى ! » ولم يخبَ أمله ، فقد التقت العربتان بعد قليل فى أحد الشوارع ، فألقت إحدى الفتيات المتنكرات باقة من زهر البنفسج على عربتهما، فتلقفها ألبرت بيديه ٠٠ وعندئذ وعد فرانز صديقه الماخن بأن يقنع هو فى اليوم التالى بمشاهدة الكرنفال من النافذة ويترك له العربة يتابع بها مغازلاته ! وفى المساء تلقى فرانز رسالة مكتوبة بخط البرت ، فقرأها مرتين بامعان قبل أن يفهم مدلولها ، وكان نصها :

« يا صديقى العزيز ٠٠

فى اللحظة التى تصل فيها هذه الرسالة اليك ، أرجو أن تتكرم بأخذ دفتر الشيكات الذى يخصنى من درج المكتب الصغير الموجود فى حجرة نومي ، ثم تضيف الى محتوياته كل ما تملك من مال ٠٠ وتهرع الى بنسك ( تورلونيا ) لتسحب منه المبلغين فورا وتسلمهما لحامل هذا الخطاب ٠٠ وانى أعتمد عليك فى امدادى بلا ابطاء بالمال المطلوب لسبب غاية فى الأهمية ! »

وكانت هناك تحت هذه الاسطر ، ملاحظة بخط البرت نفسه يقول فيها:

« لقد أمنت الآن بالعصابات الإيطالية ! »

كما كانت هناك عبارة أخرى كتبت تحت هذه الملاحظة بخط مغاير ، ونصها :

« اذا لم يصل الى مبلغ أربعة آلاف ليرة قبل الساعة السادسة صباحا ، فلن تحل الساعة السابعة حتى يكون الفيكونت البرت قد فارق الحياة ! »

« لويجى فامبا »

وقال فرانز محدثا نفسه : « اذن فقد وقع البرت فى يد عصابة من اللصوص الخطرين ٠٠ وليس فى الوقت متسع يمكن اضعائه » . ثم نهض مسرعا ففتح درج المكتب الصغير حيث وجد دفتر شيكات البرت ، وكان الحساب المقيد فيه يدل على أن كل ما بقى له من رصيده فى البنسك ثلاثة آلاف ليرة

ولم يكن لفرانز حساب في البنك لأنه كان يعيش في فلورنسا وقد حضر الى روما ليقضى سبعة أيام أو ثمانية ، ولم يبق من المبلغ الذي أحضره معه الا حوالى ثلاثمائة ليرة ، بينما كان عليه لكى يتم قيمة القدية المطلوبة أن يحصل على ألف ليرة

وهنا تذكر فرانز صديقهما الكونت دى مونت كريستو ، فهرع اليه .. ووجده في حجرة صغيرة تحف بها الأثاث الوريثة، فابتدره الكونت سائلا: « أية ريح طيبة حملتك الى هنا في هذه الساعة ؟ هل أتيت لتتناول العشاء معي ؟ ان هذا يكون كرما منك ! »

فأجاب الشاب : « بل جئت لا تحدث اليك فى مسألة خطيرة » ثم قدم له خطاب ألبرت ، فلما فرغ الكونت من قراءته قال يسأل فرانز: « أرى أن أذهب بنفسى للبحث عن « فامبا » هذا ، فهل ترافقتى ؟ » انها ليلة رائحة الطقس تحلو فيها النزهة خارج المدينة .. أين الرجل الذى أحضر الرسالة ؟ »

فقال فرانز : « انه ينتظر فى الشارع ! »

فمضى الكونت الى النافذة وأرسل من فمه صفيرا خاصا غريبا ، وسرعان ما برز من جوار الحائط رجل يرتدى عباءة وخرج الى عرض الطريق ، فقال له الكونت بلهجة من يخاطب خادمه : « اصعد » .. فأطاعه الرسول فورا فى خضوع ، ولم تمض خمس ثوان حتى كان يطرق باب الحجرة .. فقال له الكونت : « أهذا أنت يا بينو ؟ »

لكن بينو بدلا من أن يجيبه ارتمى على ركبتيه عند قدمى الكونت وتناول يديه يغمرها بالقبلات ! .. فقال له الكونت :

— آه ، اذن فأنت لم تنس أننى أنقذت حياتك ؟ .. هذا غريب ، مع انه قد انقضى على الحادث أسبوع !

وتتمم الرجل فى خضوع : « لن أنسى ذلك ما حييت يا صاحب الفخامة ! »

ثم سأله الكونت : « كيف وقع الفيكونت ألبرت فى يد لويجي ؟ »

فأجاب : « أن عربة السيد الفرنسى مرت أكثر من مرة بمحاذاة العربة التى كانت فيها تيريزا عشيقه الزعيم ! .. وقد طلب منها الفرنسى موعدا لمقابلته ، فضريت له الموعد فى المكان الذى حملته عربته اليه حيث كانت تنتظره ومعها لويجي فى سرايب مقابر سانت سباستيان ! »

فالتفت الكونت الى فرانز وقال له : « انها قصة شائقة ، ولو لم تجدنى هنا لكلفت المغامرة صديقك ثمنا غاليا .. أما الآن فلتثق بأن الانزعاج هو الحسارة الوحيدة التى ستصيب ألبرت . هل تعرف مكان سرايب سانت سباستيان ؟ »

فقال فرانز : « لم أزرها قط ، لكنى كنت أعتزم ذلك منذ زمن ! »

فقال الكونت : « حسنا . ها هي ذى الفرصة قد واثت ، ومن العسير ان تناح لك فرصة أفضل »

ثم دق الكونت الجرس طالبا اعداد عربته . وبعد دقائق كانت تجناز به وضيفه طريق « ايبان » القديم . - وقبل أن تصل الى حمامات « كاركالا » توقفت وهبط منها الرجال وسارا حتى بلغا منفذا ضيقا يقع خلف أجمة صغيرة تحيط بها الصخور . ومرفق « بينو » من ذلك المنفذ أولا ثم تبعه الآخرون . وبعد أن سار الثلاثة خطوات اتسع الممر وسرعان ما وجدوا أنفسهم أمام سراديب عدة . فهبطوا سردابا منها لا يكاد البصر يجد نهايته . وتتخلله أشعة من الضوء . ومنه تقدموا نحو حجرة كبيرة مربعة يضيئها مصباح ويجلس فيها رجل يقرأ وظهره الى المدخل الذى وقف فيه الزائرون يتأملون المنظر

كان الرجل هو « لويجى فامبا » زعيم العصابة ، وحوله عشرون لصا وقاطع طريق أو أكثر جلسوا مسندين ظهورهم الى مقاعد حجرية ، وأمام كل منهم غدارته ، فى تناول يده . فلما دخل الكونت نهض فامبا مسرعا ، وفى لحظة كانت عشرون غدارة مشهورة فى وجه الزائرين !

فقال الكونت بصوت هادى صاف ، دون أن تختلج عضلة فى وجهه : « يبدو أيها العزيز فامبا أنك تستقبل الاصدقاء بقدر كبير من الحفاوة ! » فصاح الزعيم برجاله وهو يشير بيده اشارة أمره : « اخفضوا أسلحتكم بينما خلع باليد الأخرى قبعته احتراما ، ثم استدار نحو ضيفه قائلا : « عفوك يا صاحب الفخامة ، كنت أبعد ما أكون عن توقع شرف زيارة منك ، بحيث لم أعرفك أول الأمر ! »

فأجابه الكونت : « يبدو أن ذاكرتك ضعيفة فى كل شيء يا فامبا ، بل انك لا تنسى وجوه الناس فقط ، ولكن تنسى الشروط التى تتفق معهم عليها أيضا . ألم تتفق على أن تحترم فضلا عن شحصى جميع أصدقائى . . . اذن لم اختلطت الليلة الفيكونت البرت دى مورسيرف ، وأحضرته الى هنا مع أنه من أصدقائى ؟ !

فقال زعيم العصابة وهو يستدير نحو رجاله الذين تراجعوا جميعا أمام نظرتهم : « لماذا لم تذكروا لى ذلك أيها الأوغاد ؟ لقد جعلتمونى أحنث بعهدى مع رجل مثل الكونت يملك أرواحنا جميعا فى قبضته ! »

ثم استطرد « فامبا » مشيرا نحو ثغرة يحرسها واحد من رجاله : « السجين يوجد هناك ، وسأذهب بنفسى لأخبره بأنه مطلق السراح . تفضل بالدخول يا صاحب الفخامة ! »

وصعد الكونت ورفرائه فى أثر الزعيم بضع درجات ، ثم فتح فامبا أحد الأبواب . . . فاذا ألبرت متدثرا بمعطف كان أحد اللصوص قد أعاره اياه ، وقد رقد فى ركن من الحجرة المظلمة . . . فلمس فامبا كتفه قائلا : « أنت مطلق السراح يا سيدى »



واذ ذاك نظر البرت حوله فرأى فرانز ، وهتف به : « أهذا أنت يا عزيزي فرانز ؟ لقد أظهرت المحنة صدق محبتك وصدافتك ! »

فأجاب فرانز : « كلا ! لست أنا صاحب الفضل ، بل هو جارنا الكونت دي مونت كريستو ! »

فقال البرت في مرح : « أوه يا عزيزي الكونت ، هذا عطف كبير منك ، وأجو أن تعتبرني مدينا لك مدى الحياة . . . إن والدي الكونت دي مورسيروف - وإن كان من أصل أسباني - له نفوذ كبير في بلاط فرنسا ومديريه . . . واني أبادر فأضع - بلا تردد - خدماتي وخدمات كل من تعد حياتي غالية في نظرهم ، تحت تصرفك ! »

فأجاب الكونت : « يا مسيو دي مورسيروف ، اني أقبل ما تعرضه علي بمثل روح الاخلاص القلبي التي أملتة . . . بل اني سأخطو خطوة ايجابية فأصارك بأني كنت قد اعترمت من قبل أن أسالك معروفا عظيما ! »

فقال البرت في حماسة : « اني وهن اشارتك يا سيدي »

ومضى الكونت فقال : « اني غريب عن باريس تماما ، فهي مدينة لم أرها قط ، ولما كنت لا أعرف فيها أحدا يقدمني لمجتمعاتها الرفيعة ويتيح لي أن أقف على مفاتها وعجائبها فاني أرى فيما تعرضه علي ما يدل جميع الصعوبات ، فهل أستطيع أن أعتد عليك كي تفتح لي عند وصولي الي باريس أبواب عالم الطبقات الرفيعة فيها . . . انني لا أعرف عن شخصياتها أكثر مما أعرف عن أهل الصين ؟ »

- انه ليسرني أن أودي لك هذه الخدمة مرحبا ، وسوف يعينني على القيام بها خطاب التوصية الذي أحمله من أبي الي أصدقائه الكبار في باريس !

- وأنا سأمنحك مهلة قدرها ثلاثة أشهر الحق بك في نهايتها ، فمن عادتني أن أحسب دائما حساب شتى العراقيل والمصاعب . . . فهل نتفق علي موعد محدد ، من حيث اليوم والساعة ؟ . . . انني لمضرب الامثال في دقة مواعيدى ! »

ومد الكونت يده نحو تقويم علي الحائط قائلا : « اليوم ٢١ فبراير . . . ثم أخرج ساعته من جيبه وأردف قائلا : « والساعة الآن العاشرة والنصف . . . فعدني أن تذكر ذلك ، وأن تنتظرني في مثل هذه الساعة من صباح يوم ٢١ مايو القادم ! »

- حسنا يا سيدي ! . . . وسوف تجد الافطار معدا لك . . .

- أين تقطن ؟

- في المنزل رقم ٢٧ بشارع دي هيلدر !

فاوما الكونت موافقا وقال : « لا تنس ما اتفقنا عليه . . . يوم ٢١ مايو ، الساعة العاشرة والنصف صباحا ، شارع دي هيلدر رقم ٢٧ ! »

## في باريس

أعد ألبرت كل شيء في منزله بشوارع هلدار بباريس للحفاوة بضيفه الكبير الكونت دي مونت كريستو ، وفي اليوم المحدد للقائهم هناك جلس مع بعض خاصته يحدثهم عن الكونت المنتظر وصوله وكيف أنقذه من نتيجة مغامرته في إيطاليا ، فقال له أحدهم ويدعى « لوسيان دبراى » :

— يخيل الى أنك تمزح معنا باختراع هذه القصة ، بل أكاد أعتقد ألا وجود لزعيم العصاة الايطالى الذى تحدثنا عنه ، ولا للكونت دي مونت كريستو الذى تنتظره !

وقال ضيف آخر يدعى بوشان : « خير لك يا عزيزى ألبرت أن تعترف بأنك رأيت هذا كله فى الحلم ، أو تدعنا نتناول طعام الافطار فى هدوء وسلام ! »

ولم يسع ألبرت الا أن يسكت ازاء سخريه اصدقائه ، وبقي صابرا على مضض حتى حان موعد وصول الكونت ، وأخذت ساعة الحائط تدق ايدانا بانتهاء الساعة الحادية عشرة ، وقلبه يدق معها فى عنف ، بينما العرق البارد يتصبب من جبينه خشية أن يزداد خجله ان لم يصل الكونت فى مواعده !

وما انتهت الساعة من دقائقها ، حتى ظهر أحد الخدم بالباب وقال لـألبرت : « سيدي ٠٠ ان الكونت دي مونت كريستو قد وصل ! »

ودل الاجفال غير الارادى الذى بدا من جميع الحاضرين على شدة تأثرهم بهذا النبأ ٠ ولم يستطع ألبرت نفسه قمع انفعاله ، ولا سيما أنه لم يكن قد سمع صوت عربة تقف أمام الباب ، أو خطوات تخفسق فى الردهة ٠٠ ولكنه فوجيء بفتح الباب دون جلبة ثم بظهور الكونت على عتبه مرتديا زيا يجمع بين الأناقة والبساطة ، وقد بدا فى سن لا تزيد على الخامسة والثلاثين !

على أنه سرعان ما خف لاستقباله مرحبا ثم قال :

— يا عزيزى الكونت ٠٠٠ لقد أعلنت نيا زيارتك لهؤلاء الأصدقاء بعد أن دعوتهم طبقا لما اتفقنا عليه ، وبها أنذا أقدمهم لقضائمتك : هذا هو الكونت دي شاتو رينو النبيل ذو الأصل العريق ، الذى اشترك أسلافه فى مؤتمر المائدة المستديرة ٠٠٠ وهذا مسيو لوسيان دبراى السكرتير الخاص لوزير الداخلية ٠٠٠ ومسيو بوشان الصحفى الذى يصدر صحيفة تسبب الذعر

للحكومة الفرنسية ، وان كان الأرجح انك لم تسمع باسمه في ايطاليا -  
برغم شهرته الوطنية - نظرا الى كون صحيفته ممنوعة من الدخول الى  
ايطاليا ٠٠ وهذا مسيو مكسمليان موريل قبطان السفينة (سباهي) ٠٠ «  
وكان الكونت يحيى كلا منهم بانحناء يشوبها طابع الرسمية والود ،  
لكنه ما كاد يسمع الاسم الاخير حتى تقدم خطوة الى الأمام وقال لا ليرت  
وقد اصطبغت وجنتاه الشاحبتان بحمرة خفيفة :

- يا عزيزي الفيكونت ، انك ذكرت لي في روما شيئا عن مشروع زواج  
٠٠ فهل لي أن أهنئك ؟

فقال ألبرت : « ان الأمر ما زال في حيز التفكير ! »

وهنا تدخل دبراى قائلا : « هل أفهم من ذلك أن الأمر قد تقرر ؟ »

فأجاب ألبرت : « كلا ! ولكن والدى شديد الرغبة فى تنفيذ الفكرة ،  
وأرجو أن أقدمك فى القريب ، ان لم يكن لزوجتى فبلى الأقل لخطيبتى  
الآنسة أوجينى دانجلر »

فهتفت الكونت دى مونت كريستو : « أوجينى دانجلر ؟ أهى ابنة البارون  
دانجلر ؟ »

فقال ألبرت : « نعم يا سيدى ، وهو بارون من الطراز الحديث ! »

فقال الكونت : « حسبه أنه أدى للدولة خدمات استحق عليها هذا  
الانعام ! »

وقال بوشان : « الواقع أنه أدى للدولة خدمات جلييلة ، فهو برغم كونه  
من حزب الأحرار ، فاض فى عقد قرض كبير للملك شارل العاشر فى سنة  
١٨٢٩ ، ولهذا منحه لقب البارون ووسام فارس فى فرقة الشرف »

فقال الكونت دى مونت كريستو : « انى لا أعرفه ، وان كان يغلب على  
ظنى أنى سوف أتعرف اليه قريبا ، فان لي معه حسابا جاريا لدى ثلاثة من  
البيوت المالية : أحدها فى لندن والثانى فى فينا ، والثالث فى روما ! »

ثم واصل ألبرت كلامه فقال : « على أى حال وقبل كل شيء ينبغى أن  
نجد مسكنا فى عاصمتنا الكبرى يلائم ضيفها العزيز الجديده الكونت دى مونت  
كريستو »

فقال الكونت : « شكرا لك يا سيدى ٠٠ اننى منذ استقر رأيى على  
الحضور الى هنا ، أرسلت خادمى الخاص لكى يبتاع لي منزلا مناسبا فى  
باريس ويؤثته ، ولا بد انه قد فرغ من هذه المهمة الآن ! »

فقال بوشان : « اذن فالخادم الخاص لصاحب الفخامة يعرف باريس  
جيذا ؟ »

فأجاب الكونت : « نعم ، انه أمينى النوبى الصموت «على» ، وهو يعرف  
باريس كما يعرف ذوقى ومطالبي ٠٠ وكان يعلم أننى سأصل اليوم فى

الساعة العاشرة ، فانتظرنى مد التاسعة عند حاجز « فونتنبلو » حيث أعطانى هذه الورقة التى تحوى عنوان مسكنى الجديد ! »

فقال بوشان : « اذن فلنقع بان نؤدى للكونت الخدمات التى فى مقدورنا . . . ويسرنى بوصفى صحفيا أن أفتح لفخامته أبواب جميع المسارح »

فشكره الكونت وقال : « ان لدى سكرتيرى تعليمات بان يحجز لى مقصورة فى كل مسرح ! »

وهنا سأل دبراى : « هل سكرتير الكونت نوبى أيضا ؟ »

فأجاب : « كلا ! بل هو كورسيكى ، يدعى مسيو برتوشيو ، وقد كان جنديا ومهربا ، بل كان فى الواقع كل شئ . . . ولست واثقا من أنه لن يحتك بسطات البوليس يوما بسبب طعنة خنجر أو ما يشبهها من الحوادث النافهة فى نظره ! »

وهنا قال شاتو رينو مخاطبا الكونت : « اذن . . . ما دام عندك المسكن ، والخادم والسكرتير ، فلا ينقصك غير الخليفة ! »

فابتسم الكونت وقال : « الواقع أنه عندى من هى خير من الخليفة . . . عندى الجارية الخاضعة ! . . . انكم تحصلون على خليلاتكم من الاوبرا ودور اللهو المختلفة ، أما أنا فقد حصلت على صاحبتى من القسطنطينية . . . وهى تكلفنى نفقات أكثر ، لكنى لا أرى بأسا فى ذلك ! »

فقال له دبراى ضاحكا : « لا تنس يا سيدي أننا فى بلد الحرية ، وعلى هذا فان جارينتك هذه لا بد أن تغدو حرة فى اللحظة التى تطا فيها قدمها أرض فرنسا ! »

فقال له الكونت : « من أين لها أن تعرف ذلك وهى لا تتكلم بغير لغتها ؟ ! »  
فقال بوشان : « أظن أننا سنراها على كل حال ، ولكن هل فخامتسك تقتنى الجوارى ؟ . . . »

وابتسم الكونت مرة أخرى وقال : « كلا ! . . . لست على هذه الدرجة من التوحش ، بل ان كل واحد حولى له كل الحرية فى أن يتركنى اذا شاء ، وفى استطاعته أن يعيش بعد ذلك فى غنى عنى وعن أى انسان آخر . . . ولكن جميع من حولى ليس فيهم من يفكر فى ذلك بفضل ما يلقون من حسن المعاملة ! »

وحين انصرف أصدقاء ألبرت وخلا الى الكونت ، قاده الى جناحه الخاص الاثير عنده ، فمرا من الصالون الى غرفة النوم ، التى كانت نموذجا للذوق الرفيع والاناقة البسيطة ، وكانت فيها لوحة من رسم فنان شهير تشرق على الحجرة من وسط اطارها المذهب . . . فلفتت نظر الكونت ، واقترب منها فى خطوات سريعة ثم وقف أمامها وراح يتأملها فى اعجاب !

كانت اللوحة تمثل فتاة حسناء سمراء ، ذات عينين مشرقيتين لامعتين تظللها أهداب طويلة ، وترتدى ثياب صيادات عشيرة « كاتالان » المؤلفة

من خليط من اللونين الاحمر والاسود ، وتضع في شعرها ديبوسا ذهبيا .  
وتتجه بعينيها الى البحر ، وحولها المحيط الأزرق والسماء الصافية . وكان  
الضوء في الحجره ضئيلا الى حد أن البرت لم يلحظ الشحوب الذى كسا  
وجه الكونت ، أو الرجفة العصبية التى هزت صدره وكتفيه ! .

وحين تمالك الكونت نفسه قال فى صوت هادى :

— أرى أن لك خليفة جذابة جدا يا فيكونت . وهذا الثوب الذى لا شك  
أنه ثوب الرقص ، يناسبها بشكل رائع !

فأجابته البرت : « آه يا سيدى ، ما كنت لاغفر لك هذا الخطأ لو أنك  
رأيت صورة أخرى الى جانبها . . . أنك لا تعرف أمى ، ولكن ها أنت ذا  
تراها امامك . . . لقد رسمت لها هذه الصورة منذ حوالى ثمانى سنوات ،  
وهذا الزى هو فيما يبدو زى تنكرى . على أن الصورة من الاتقان والمشابهة  
للأصل بحيث يخيل الى أنى أرى فيها أمى حقيقة كما كانت تبدو سنة  
١٨٣٠ . لقد رسمت لها هذه الصورة أثناء غياب أبى ، ولا شك انها أرادت  
أن تدبر له مفاجأة سارة . . . لكن العجيب فى الأمر أن هذه الصورة لم  
تعجب أبى ، ولم تستطع قيمتها الفنية باعتبارها من أعظم لوحات الفنان  
الذى رسمها أن تتغلب على بغض أبى لها ! . . . اغفر لى تحدثى فى أمر عائلى  
كهذا ، ولكن لما كنت أعتزم أن أقدمك الى أبى فانى أذكر لك هذه التفاصيل  
راجيا ألا تشير الى هذه الصورة فى حديثك معى . . . ويخيل الى أن لهذه  
اللوحه تأثيرا خبيثا ، فما من مرة تدخل فيها أمى هذه الحجره الا وقفت تنظر  
اليها مليا ثم انخرطت فى البكاء ! »

وكان الكونت يضحى الى مضيفه الشاب فى انتباه ، بينما استطرده هذا  
فقال : « الآن وقد رأيت كل تحفى ، أرجو أن ترافقنى الى جناح أبى . . .  
لقد كتبت اليه من روما ورويت له قصة اليد التى أسديتها الى ، كما أنبأته  
بموعد زيارتك هذه . . . وفى وسعى أن أقول : ان أبى وأمى يتلهفان شوقا  
الى أن يقدم لك شكرهما وامتنانهما ! »

ثم أرسل البرت خادمه الى أبويه ليخبرهما بقدم الكونت دى مونت  
كريستو ، ومشيا فى أثره حتى وصلا الى الحجره المفضية الى حجرتهما  
الخاصة ، وسرعان ما فتح بابها ووجد الكونت دى مونت كريستو نفسه  
وجها لوجه امام الكونت دى مورسيرف . وكان هذا فى الحامسة والاربعين  
من عمره وان بدا فى الخمسين على أقل تقدير . كما كان شاربه الأسود  
وحاجباه يتنافران كل التنافر مع شعر رأسه الأشيب القصير ، المقصوص  
على الطريفة العسكرية . . . وكان يرتدى ثيابا بسيطة ويضع فى عروة  
سترته أشرطة النياشين المختلفة التى حصل عليها

وتقدم الكونت مورسيرف للقاء ضيفه فى خطوات متزنة تنم عن الاعتداد  
بالنفس . . . بينما بقى الكونت دى مونت كريستو فى مكانه لا يتحرك ،

وبدا له كأن قدميه سمرتا فى الارض ، وكان عينيه سمرتا على محيا مضيئه  
الوقور !

وقال الكونت مورسيرف وهو يحييه مبتسما :

— على الرحب والسعة يا سيدى ٠٠ انك قد أدبت لهذا البيت جميلا لن  
ينساه مدى الحياة ، اذ أنقذت حياة وريثه الوحيد ! »

ثم قدم لضيئه مقعدا ، فتناوله هذا وجلس بحيث يسقط عليه ظل  
الستائر الكبيرة التي صنعت من القطيفة ٠٠ وقرأ على قسماات وجهه مضيئه  
قصة أشجان خفية حفرها الزمن مع ما حفر من الغضون والتجاعيد فى ذلك  
الوجه !

ثم صاح ألبرت فجأة : « هذه أمى قد حضرت »

فالتفت الكونت دى مونت كريستو الى حيث أشار ألبرت ، فرأى  
الكونتيس دى مورسيرف واقفة عند مدخل الصالون ، أمام الباب المواجه  
لذاك الذى دخل منه زوجها . وكانت شاحبة الوجه لا تتحرك ٠٠ وحين  
التفت اليها تركت ساعدها الذى كان يستند الى مقبض الباب يسقط الى  
جانباها !

كانت الكونتيس قد دخلت الحجره قبل ذلك بدون أن يلحظها أحد .  
ولما نهض الكونت وانحنى لها ردت التحية بغير أن تتكلم ٠٠ واذ ذاك قال  
لها الكونت دى مونت كريستو :

— عفوا يا سيدتى ، أرجو ألا تكونى مريضة !

وعندئذ أجابته : « لست مريضة ، وانما هو الانفعال الذى تملكنى فجأة  
وأنا أرى لأول مرة الرجل الذى لولا شهامته لكننا الآن غارقين فى دموعنا  
وأشجاننا ! »

ثم استطردت قائلة وهى تتقدم نحوه بجلال الملكات : « سيدى ٠٠ انى  
مدينة لك بحياة ابنى ، ومن أجل هذا أباركك ، وأشكرك على كونك قد  
أتحت لى فرصة الاعراب لك شخصيا عن امتنانى القلبى ! »

وانحنى الكونت مرة أخرى ، وقد بدا وجهه أكثر شحوبا من وجهها ،  
ثم قال لها : « سيدتى ، انك وزوجك تبالغان فى تقدير أمر تافه ٠٠ فان  
انقاذ رجل ، من أجل نفسه ومن أجل شعور أبيه وعاطفة أمه ، ليس عملا  
كبيرا من أعمال الخير وانما هو واجب عادى بسيط من الواجبات الانسانية ،  
فأجابه الكونتيس دى مورسيرف : « انه لمن حسن حظ ابنى يا سيدى  
أن وجد صديقا مثلك ٠٠ وأنا أشكر الله على ذلك »

ثم رفعت عينها الى السماء وقد تجلى فيهما الامتنان الحار ، بحيث خيل  
الى الكونت أنه لمح فيهما دموعا تلمع ٠٠ وهنا اقترب زوجها منها وقال :  
— يا سيدتى ٠٠ لقد استأذنت الكونت فى الانصراف ، وأرجو منك أن

تفعل ذلك أيضا ، فان اجتماع المجلس يبدأ في الساعة الثانية ، والساعة الآن الثالثة ، وعلى أن أتقى خطابا فيه اليوم ! »

فأجابته الكونتيس باللهجة نفسها الدالة على التأثر :

— اذهب اذن ، وسوف نبذل جهدنا كي ننسى غيابك ،

ثم التفتت الى الكونت دي مونت كريستو وقالت له :

— ألا تشرفنا بقضاء بقية اليوم معنا ؟

فقال : « شكرا لك يا سيدتي على كرمك ، وأرجو قبول اعتذارى من عدم استطاعتي قبول هذه الدعوة ، فقد جئت الى هنا رأسا عقب وصولى الى باريس ، وما زلت أجهل كل شيء عن المنزل الذى سأقطنه ! »

فقالت : « اذن .. هل تعد بأن تمنحنا شرف حضورك فى فرصة قريبة؟ »

فاوما الكونت دي مونت كريستو موافقا ، بينما استطردت الكونتيس

فقالت : « اذن .. لن أعورك يا سيدى ! »



وعلى أثر ذلك انصرف الكونت الى المنزل الذى اختاره له تابعه « على » فى حى « الشانزليزيه » ، فلم تكده العربية تقف أمام الباب حتى أقبل « على » و « برتوشيو » فأطلا من نافذتها ، ثم انحنى الأخير لسيدته احتراما وقدم له ذراعه ليعينه على النزول ، فقال له الكونت وهو يهبط درجات سلم العربة الثلاث : « أشكرك يا مسيو برتوشيو .. أين مسجل العقود ؟ »

فقال برتوشيو : « انه فى انتظار سيدى فى الصالون الصغير ! »

وحين دخل الكونت الصالون ابتدر الرجل سائلا : « أنت يا سيدى المسجل المكلف ببيع المنزل الريفى الذى أريد شراءه ؟ .. وهل أعددت عقد البيع ؟ »

فقال المسجل : « نعم يا سيدى الكونت ، وهذا هو العقد .. ومد يده بالعقد فتناوله الكونت قائلا : « وأين يقع هذا المنزل ؟ »

وقد ألقى الكونت هذا السؤال فى هدوء ينم عن عدم المبالاة ، وهو ينظر الى كل من برتوشيو والمسجل .. فقال الأخير متمجبا : « ماذا ؟ .. ألا يعلم سيدى موقع البيت الذى يشتريه ..؟ انه فى ( اوتوى ) .. »

واذ ذاك شحب وجه برتوشيو ، بينما وقع الكونت على العقد بسرعة وهو يلقي نظرة على البيانات الخاصة بموقعه وملاكه السابقين ، ثم التفت الى برتوشيو وقال له وهو يشير الى المسجل :

— اعط هذا السيد خمسة وخمسين ألف فرنك »

ولم يكده الكونت يخلو الى نفسه حتى أخرج من جيبه كتابا مغلقا بقليل ففتحه بمفتاح كان يحتفظ به حول رقبتة .. وبعد أن قلب محتوياته بضع

لحظات توقف أمام ورقة تحوى بعض البيانات ، فراح يقارن ما فيها بما ورد في عقد الشراء الموضوع فوق المنضدة ، وهو يتحدث نفسه : « أوتوى ، شارع النافورة رقم ٢٨ ٠٠ انه هو بعينه . والان هل أعتمد على الاعتراف المنتزع بالتعذيب الدينى أو الجسمانى ؟ على أية حال سوف أعرف كل شىء فى خلال ساعة ! »

وبعد عشرين دقيقة كان الكونت كريستو وبرتوشيو فى طريقهما الى ضاحية « أوتوى » ، وازداد انفعال الوكيل وهما يقتربان من القرية . وكان المنزل رقم ٢٨ فى أقصى أطرافها ، وقد خلج الظلام على المناظر المحيطة به طابع المناظر المسرحية المصنوعة !

وطرق بروتوشيو الباب وسرعان ما فتح وأطل الحارس منه فقدم له بروتوشيو عقد الشراء قائلاً وهو يشير الى الكونت :

— هذا هو سيدك الجديد !

ثم سأل الكونت الحارس : « ماذا كان اسم سيدك القديم ؟ »

فأجاب : « المركيز دى سانت فيران ، وهو شيخ منمن من أتباع أسرة البوربون الملكية ، وليس له الا ابنة واحدة متزوجة من المسيو فيلفور الذى كان وكيلًا للنائب العام فى ( نييم ) ثم فى ( فرساي ) ٠٠ »

فقال الكونت : « يخيل الى أنى سمعت أن هذه الابنة قد ماتت ؟ »

فقال الحارس : « نعم يا سيدى ، لقد ماتت منذ احدى وعشرين سنة . ومنذ ذلك التاريخ لم نر أباهما المسكين سوى ثلاث مرات ! »

— شكرا ، شكرا ٠٠ أعطنى مصباحا

وكف الكونت عن استجواب الرجل ، بعد أن لمح من نظرة وكيله أنه لن يستطيع المضى فى ذلك دون تعريض نفسه لخطر اثاره الريب والشكوك فى نفس الحارس . ثم قال له الحارس : « هل أرافقك يا سيدى ؟ »

فقال : « كلا ! لا ضرورة لذلك ٠٠ سوف يرافقنى بروتوشيو »

وأطاع الوكيل صامتا ، لكن ارتجاف يده التى تحمل المصباح دل على مدى الجهد الذى كلفته اياه طاعة سيده ٠٠ وقال الكونت وهما يدخلان : « أهذا سلم خاص ٠٠؟ هذا بديع ٠٠ أضى لى يا مسيو بروتوشيو وتقدمنى ٠٠ سوف نرى الى أين يؤدى السلم »

ولم يسع بروتوشيو الا أن ينفذ أمر الكونت ، فلما بلغا الحديقة تريت عند الباب الخارجى برهة ثم صاح وهو يضع المصباح عند زاوية الجدار الداخلى : « لا ، لا ، لا ، يا سيدى ٠٠ مستحيل ٠٠ ! لن أستطيع المضى أكثر من ذلك ! » وهنا سأل الكونت فى هدوء : « ماذا تعنى ؟ »

فأجاب قائلاً : « ينبغى أن توافقنى يا صاحب الفخامة على أن هذا أمر غير طبيعى ٠٠ أن تشتري المنزل فى أوتوى ، وفى شارع النافورة بالذات ، ورقم ٢٨ دون غيره ٠٠! أوه ، لم لم أصارحك بكل شىء ؟ أنا واثق بأنك



ما كنت لتجبرني على الحضور . لقد رجوت أن يكون البيت الذي اشتريته غير هذا الذي وقعت فيه جريمة القتل ! »

فصاح الكونت وهو يتوقف عن السير فجأة : « ماذا ؟ ما هذا الكلام الذي تقول ؟ يا لك من شيطان كورسيكي لعين ! ألا تفكر الا في المآسى والحرافات ؟ هيا تناول المصباح ودعنا ندخل الحديقة . . . لعلك لست خائفا من الاشباح وانت معي ؟ »

فحمل برتوشيو المصباح وأطاع الأمر . . . وحين فتح الباب المضى الى الحديقة طالعتهما سماء قاتمة يحاول فيها القمر جاهدا أن ينفذ من خلال السحاب . . . فأراد الوكيل أن ينعطف الى اليسار ، لكن صوت الكونت لاحقه قائلا له :

— كلا . . . كلا ! . . . ما جدوى السير في الممرات ؟ . . . هذا هو بستان جميل ، فلنمض الى الامام !

ثم تقدمه الكونت وواصل السير حتى بلغ اجمة من الاشجار فتوقف . . . واذاً ذاك عجز الوكيل عن أن يقيم انفعاله فصاح :

— تحرك يا سيدي من مكانك بسرعة ، أتوسل اليك : انك تقف في البقعة التي سقط فيها بالضبط . . . وها أنت ذا في وقتك هذه مرتديا هذا المعطف الذي يخفي وجهك تذكرني بمسيو دي فيلقور ، يا للاثيم !

فقال الكونت بلهجة جعلت الرعدة تسرى في أوصال الوكيل المسكين : « اذن فقد خدعني الأب بوزوني حين أرسلك الى عقب رحلته في أنحاء فرنسا سنة ١٨٢٩ ، مزودا بخطاب توصية عدد فيه صفاتك الحميدة . . . حسنا . . . سوف أكتب الآن الى الأب بوزوني وأحملة مسئولية سوء مسلك مبعوثه . . . وسأعرف كل شيء عن جريمة القتل هذه . لكنني أندرك منذ الآن بأنني حين أقيم ببلد ما أخضع لجميع قوانينه ، ولست أرغب الآن في أن أضع نفسي تحت رحمة القانون الفرنسي من أجلك ! »

فقال برتوشيو في برود : « ولكن يا صاحب الفخامة ؟ ألم يذكر لك الأب بوزوني ما تضمنه اعترافي الكامل له في سجن نيم ؟ ان عبثا جسيما يجثم فوق ضميري ؟ »

فقال الكونت : « لقد ذكر لي الأب بوزوني انك تصلح وكيلا مثاليا ، وقد حسبت أن جريمتك كانت جريمة سرقة لا غير . . . هذا كل ما في الأمر . . . والآن لا بد من أن تكاشفني بكل شيء ! »

□

أخذ برتوشيو يرى قصته للكونت بالتفصيل قائلا :  
— ان القصة تبدأ في سنة ١٨١٥ ، وكان لي أخ أكبر يعمل في خدمة الأمبراطور . وكان أخي وصديقي في الوقت نفسه ، تولى تنشئتي كفا

لو كنت ابنه . وفي سنة ١٨١٤ تزوج ، فلما عاد الامبراطور من جزيرة البيا انخرط أخي هذا في الجيش، ثم أصيب بجرح خفيف في معركة (واترلو) وانسحب مع الجيش وراء ( اللوار ) . وذات يوم تلقينا خطابا منه جاء فيه أن الجيش تفرق شمله وأنه سوف يعود من طريق ( نيم ) ، ثم طلب الى أن أترك له ما أملك من نقود عند صاحب حانة من حانات ( نيم ) كانت لي معه معاملات تتصل بالتهريب . . . ولما كنت أحب أخي جدا قويا فقد رأيت أن أحمل النقود اليه بنفسى ، وفي ذلك الوقت حدثت تلك المذابح الشهيرة في جنوب فرنسا ، فإن ثلاثة من قطاع الطرق هم : ترستايون ، وتروفيمي ، وجرافان ، أخذوا على عاتقهم أن يذبحوا علانية كل من يتوهمون أنه من أتباع بونابرت . فلما دخلت ( نيم ) خضت في بحار من الدم حتى بلغت منزل صديقي صاحب الحانة ، ومنه علمت أن أخي وصل في الليلة السابقة ، وأنه ذبح غيلة على باب الدار التي جاء يلتمس ضيافتها !

وبذلت كل ما فى وسعى كي أعرف القتلة ، لكن أحدا لم يجرؤ على مكاشفتى بأسمائهم ، لفرط الذعر الذى أشاعوه فى المدينة . . . فلم أجد مفرا من أن أجا الى وكيل النائب العام ، مسيو دى فيلفور . . . وقد تلقاني يوما قائلا : « لكل ثورة فواجها ، وقد كان أخوك واحدا من ضحاياها . . . انه سوء حظ والحكومة ليست مدينة لأسرته بشيء . . . ان ما حدث أمر طبيعى ، يتفق مع قانون الأخذ بالثأر . . . فاذهب الآن فوراً والا أمرت بطردك ! »

نظرت اليه لأرى هل هناك جدوى أو أمل يرجى من متابعة التوسل اليه ، لكنه كان رجلا ذا قلب حجرى ، فدنوت منه ، وقلت بصوت خافت : « حسنا ! . . . اذن دعنى أخبرك بشيء واحد : انى سوف أقتلك ، وأنتى منذ هذه اللحظة أعلن الثأر ضدك ، فحاول حماية نفسك بكل وسيلة . . . فحين نلتقى فى المرة القادمة تكون ساعتك قد حانت ! » . . . وقبل أن يفيق الرجل من ذهوله فتحت الباب وغادرت الحجرة !

ولبثت بعد ذلك ثلاثة أشهر وأنا أراقب مسيو دى فيلفور عن كثب ، حتى اكتشفت أنه يذهب خلسة الى ( أوتوى ) ، فتبعته حتى رأيته يدخل هذا البيت الذى نحن فيه الآن . . . وفى ذات مساء ، بينما أنا متربص له وراء هذا السور رأيت امرأة حسناء فى نحو التاسعة عشرة من عمرها تتمشى فى الحديقة وحدها ، وقد ارتدت ثوبا فضفاضا من الموسلين يشى بأنها تنتظر مولودا فى القريب . . . وأدركت أنها تنتظر قدوم دى فيلفور . . . وبعد لحظات فتح الباب الصغير ودخل منه رجل تلقته المرأة معانقة فى لهفة ، ثم ابتعدا نحو نهاية الحديقة . . . ولم يكن الرجل سوى مسيو دى فيلفور

وعمدت بعد ذلك الى استئجار غرفة تطل على الشارع الذى يقع فيه باب الحديقة . . . وبعد ثلاثة أيام ، حوالى الساعة السابعة مساء ، رأيت دى فيلفور مقبلا وقد تدثر بعباءة ، ثم فتح الباب الصغير المفضى الى الحديقة

ودخل منه ثم أغلقه وراءه .. فهبطت من غرفتي أعدو الى حيث اختبأت في  
أجمة مشرفة على الممر الذى لابد أن يجتازه غريمى عند انصرافه .. ولم  
ألبث قليلا حتى سمعت تأوهات وصيحات مكتومة ، وحين دقت الساعة  
معلنة انتصاف الليل فتح باب الحديقة الصغير وخرج منه دى فيلفور ، ثم  
اقترب من الأجمة التى كمننت وراءها ، وحين اطمان الى أن أحدا لا يراه  
انحنى على الأرض فوضع صندوقا صغيرا كان يخفيه في عبائه ، ثم بدأ  
يحفر حفرة تتسع له .. وحين أتمها وبدأ يسوى الأرض كما كانت انقضضت  
أنا عليه وأعمدت سكينى فى صدره وأنا أهمس له : « أنا جيوفانى برتوشيو  
.. أقتلك أخذا بثأر أخى ، وأخذ كنتك لا رملته » .. وهكذا ترى أن انتقامى  
جاء أوفى مما كنت أؤمل ! .. ولست أدري اذا كان قد سمع ووعى هذه  
الكلمات أم لا ، فقد سقط دون أن يطلق صرخة واحدة . وبعد لحظة كنت  
قد أخرجت الصندوق من مخبئه ثم هرعت الى ضفة النهر حيث فتحته  
بسكينى عنوة . فاذا فى داخله طفل حديث عهد بالولادة مدثر بثوب من  
التيل الفاخر يطلق صيحات ضعيفة واهنة !

.. وكنت أعلم أن فى باريس ملجأ لأمثال هذا اللقيط ، فمزقت ثوب  
الطفل .. وكان يحمل حرفين يرمزان لاسم ما - الى قسمين ، كل قسم يحمل  
حرفا منهما ، وتركت أحد القسمين حول جسم الطفل وأخذت القسم الثانى  
معى .. ثم ضغطت جرس باب الملجأ وأسرعت بالفرار .. وحين وصلت فى  
اليوم التالى الى ( رجليانو ) حيث تقطن أرملة أخى ( اسانتا ) قلت لها :  
( اطمئنى يا أختاه ، فلقد انتقمت لأخى ) .. ثم سردت عليها تفصيلات  
القصة ، فلما انتهيت منها قالت لى : « كان ينبغي أن تحضر معك ذلك الطفل ،  
كى نكون له بدلا من والديه اللذين حرم منهما ، ونطلق عليه اسم ( بنديتو )  
ولعل الله كان يباركنا لهذا » . فأعطيتهما نصف ثوب الطفل كى تسترده  
اذا صرنا فى حال من اليسر تسمح لنا بتربيته !

وهنا قاطعه الكونت دى مونت كريستو قائلا : « ما هما الحرفان اللذان  
كانا على الثوب ؟ »

فقال : « هما حرفا الهاء ، والنون تملوهما شارة لقب البارون ! .. وعلى  
أثر ذلك عدت الى تجارة التهريب ، مدفوعا بدافعين : الانفاق على الأرملة  
المسكينة ، واغراق ذكريات الماضى التى تطاردنى ! .. وحين راجت أحوالنا  
عدت يوما من احدى مغامراتى لأجد الأرملة قد استردت الطفل ، وكان قد  
بلغ الشهر السابع أو الثامن من عمره !

« وكان ( بنديتو ) طفلا جميلا ، ذا عينيْن واسنعتين زرقاوين وشعر ذهبي  
خفيف ، وابتسامة تنم عن شيء من الحبث والدهاء .. وحين كبر صدقت  
فراستى فى خلقه ، وطبيعته الشريرة ، فلم يبلغ الحادية عشرة حتى صار  
يعاشر الفتيان الاغرار الذين فى الثامنة عشرة أو العشرين ، والذين اشتهروا

فى كورسيكا بشروورهم وفساد خلقهم ، حتى لقد صاروا مطاردين من البوليس ! ..

واستجابة لنصيحتى أبت الأرملة المسكينة أن تدعن لمطالب بندينسو الذى كان يرهقها بطلب النقود كل حين لاشباع ميوله الشريرة .. وذات ليلة أحضر معاه الى البيت اثنين من رفاقه الأثقال وهددوا المرأة بالتعذيب اذا لم تسلمهم ما تملك من نقود ، فلما رفضت ساقوها الى قرب الموقد كى يجبروها على الاعتراف بمكان النقود .. وخلال الصراع امتدت النار الى ثوبها فاضطروا الى تركها خوفا على أنفسهم من الاحتراق ..

وفى الصباح التالى استبطات جارتها . زوجة فاسيليو ، ظهورها خارج غرفتها ، فاستنجدت بالسلطات التى حطمت الباب .. ووجدت ( اسانتا) التعسة ما زالت على قيد الحياة ، برغم الحروق الفظيعة التى أصابتها .. فروت لهم قبل موتها حقيقة ما حدث ، ووجدت أدراج البيت كلها محطمة ومحتوياتها مبعثرة والنقود كلها مسروقة !

ومنذ ذلك اليوم لم يظهر بنديتو مرة أخرى فى ( رجليانو ) .. ولا سمعت أنا بدورى شيئا عن مصيره أو أحواله ! «  
وهنا أخفى برتوشيو وجهه بين يديه ، بينما رمقه الكونت بنظرة غامضة !



## جوادان أصيلان

في الساعة الثانية بعد ظهر اليوم التالي لوصول الكونت دي مونت كريستو الى باريس ، وقفت بباب منزله عربية فاخرة يجرها جوادان انجليزيان مطهمان وأطل منها شخص يرتدى سترة زرقاء ، وصداراً ابيض تتدلى من احد جيوبه سلسلة ذهبية ثمينة ، وينظوننا بنى اللون .. وكان شعره الأسود يتدلى على جبهته حتى كاد يصل الي حاجبيه .. وكان الرجل في حوالى الخمسين من عمره وان حرص هو على أن يبدو في الأربعين ! .. وأنحنى الرجل على حاجز العربة الذى رسمت عليه شارة البارونية ، ثم طلب من تابعه أن يسأل : هل الكونت دي مونت كريستو في الداخل أم لا .. فقبل للتابع : « ان صاحب الفخامة لا يستقبل زوارا اليوم ! » .. وعندئذ قال هذا لمحدثه : « اذن اليك بطاقة سيدى البارون دانجلر فلتحملها الى الكونت وتخبره ان سيدى برغم عجلته ليجوز اجتماع المجلس ابى الا أن يعرج في طريقه لزيارة الكونت ! »

وعندئذ أضطجع البارون دانجلر في عربته الى الخلف وقال لمؤديه بصوت يمكن سماعه من الشارع : « الى مجلس النواب »

أما الكونت الذى علم بالزيارة في حينها ، فقد راح من وراء خصاص نافذته يرقب البارون بدقة بواسطة منظار مكبر .. ثم دعا اليه وكيله برتوشيو وابتدعه قائلاً : « انك ولا شك قد رأيت الجياد التى وقفت أمام الباب بضع دقائق ؟ فهل لك ان توضح لى كيف غاب عنك هذان الجوادان اللذان هما في روعة جيادى ، حين أوصيتك أن تبتاع لى أحسن جياد باريس ؟

فقال برتوشيو : « أوكد لفخامتك أن الجوادين اللذين تتحدث عنهما لم يكونا معروضين للبيع حين اشتريت لك جيادك ! »

فهز الكونت دي مونت كريستو كتفيه وقال : « حسناً ! .. اذن فلتعرض على البارون دانجلر ضعف ثمنهما ، فان الرجل المالى لا يضيع أبدا فرصة مضاعفة رأس ماله ! »

وما كادت عقارب الساعة تشير الى الساعة الخامسة حتى دق الكونت الجرس ثلاث مرات ، ثم هبط السلم الى باب قصره ، فرأى عربته وقد اسرج اليها الجوادان بعينهما اللذان أبدى اعجابيه بهما منذ ساعات وهما يجران عربة البارون دانجلر !

وقال الكونت لخوذيه : « الى دار البارون دانجلر ، شارع لاشوسيه  
دانتان » ..

وقال البارون وهو ينحنى ترحيبا بزائره :

— اسمح لي ان اخبرك يا كونت بانى قد تلقيت خطاب نصح من بنك  
( تومسون وفرنش ) في روما .. لكنى اعترف بانى لم افهم مدلوله  
بالضبط ، فهو يعطى ( الكونت دى مونت كريستو ) حسابا جاريا غير محدد  
على مؤسستنا !

فسأله الكونت في هدوء : « ماذا يتعذر عليك فهمه في ذلك ؟ »

فاجاب دانجلر بابتسامة شبه ساخرة : « ان بنك تومسون وفرنش  
مقتدر ماليا ، بينما كلمة ( حساب غير محدد ) تدل في الامور المالية على معنى  
غامض ! »

— اتعنى ان تومسون وفرنش لا يجعلان حدودا لالتزاماتهما ، بينما  
التزامات مسيو دانجلر لها حدودها ؟ !

فقال المالى الكبير وهو ينفخ اوداجه زهوا : « سيدى ، ان حدود مواردى  
لم تكن يوما موضع شك أو تساؤل »

فقال الكونت في برود : « يبدو لى انى اول من سيضعها هذا الموضع ! »

وعندئذ التى دانجلر بنفسه في مقعده الى الورا ، وقال بلهجة الغرور  
والاعتداد بالثراء : « ارجو منك الا تتردد في الاعراب عن رغباتك .. فعندئذ  
ستقتنع ان موارد بنك دانجلر — مهما تكن محدودة — لا تزال قديرة على ان  
تواجه اجسم المطالب .. ولو أردت مليون فرنك ! »

فقال الكونت في هدوء : « ما اظننى يا سيدى استطيع ان اکتفى بمليون  
فرنك ! ولو ان مبلغا تافها كهذا يكفينى لما كلفت نفسى عناء فتح حساب  
جار ! »

ثم اخرج الكونت حافظته وسحب منها شيكين على الخزانة قيمة كل  
منهما نصف مليون فرنك ، يدفعان لحاملهما .. ففغر دانجلر فاه ولم يحمر  
جوابا ، بينما استطرد الكونت : « كن صريحا اذن واعترف بانك لا تولى  
مؤسسة تومسون وفرنش ثقتك الكاملة ، فانى قد افهم هذا .. واحتياطا  
لمثل هذا الاحتمال رايت — برغم جهلى بالامور المالية — ان اتخذ بعض  
الضمانات .. فهذان مثلا خطابان مشابهان تماما لذلك الذى تلقيته ،  
احدهما من بنك ( ارشتاين واسكيلس ) في فينا ، الى البارون روتشيلد ..  
والآخر من بنك ( بارنج ) في لندن الى مسيو لا فاييت .. والان ما عليك  
يا سيدى الا ان تنطق بكلمة فاجنك كل مشقة وخرج بتقديم خطاب  
ضمانى الى احدى هاتين المؤسستين .. ! »

ونهض دانجلر بعد ان استوثق من صحة الوثائق التى يحملها الكونت ،  
وانحنى امام الكونت كأنما يحيى قوة الذهب الممثلة في شخصه

فقال الكونت بلهجة ودية لطيفة : « على كل حال اعتقد ان مؤسستك لا يمكن أن يثقل عليها مثل هذه المبالغ التافهة .. واذن ففى وسمك ان تعطينى بعض المال ، اليس كذلك ؟ .. ويمكننا ان نحدد مبلغا يكفى النفقات التقريبية للعام الاول .. وليكن مثلا ستة ملايين من الفرنكات ! »

فقال دانجلر وهو يشهق فزعا : « ستة ملايين ؟ ! »

واستطرد الكونت فقال فى لهجة تدل على عدم المبالاة : « اذا احوجنى الامر الى اكثر من هذا المبلغ ففى وسعى ان اسحب شيكات عليك .. لكن نييتى حاليا تنصرف الى عدم البقاء فى فرنسا اكثر من عام .. واجو ان تتكرم فترسل الى غدا صباحا نصف مليون فرنك ، وسوف اكون فى دارى حتى الظهر .. وفى حالة خروجى ساترك ايضا بالمبلغ مع وكيلى ! »

فقال دانجلر : « سيكون المبلغ الذى تطلبه عند وكيلك فى الساعة العاشرة من صباح غد يا عزيزى الكونت .. والآن هل تسمح لى بأن اقدمك للبارونة دانجلر زوجتى ؟ اغفر لى لهفتى يا عزيزى الكونت ، فان عميلا مثلك هو فى مركز فرد من افراد الأسرة ! »

فاوما الكونت موافقا ، ثم مشى خلف البارون عبر عدد من الحجرات والابنية المبروشة بافخر الاثاث الذى يوحى بالثراء الفاحش .. حتى بلغا مخدع البارونة ، وكانت هذه ما تزال تحتفظ بجمالها الصارخ برغم تجاوزها ربعاى الشباب ، وقد جلست الى البيانو ، بينما وقف (لوسيان دوبراى ) امام منضدة صغيرة يقبل صفحات ( اليوم ) صور .. فقال لها البارون :

- اسمح لى بان اقدم لك الكونت دى مونت كريستو ، لقد اوصانى به توصية حارة وكلائى فى روما جميعا . وسأكتفى بذكر حقيقة واحدة من شأنها ان تجعل نساء باريس بلا استثناء يشهدن التفاته .. وهذه الحقيقة هى انه قد جاء ليقضى فى باريس عاما ، وسينفق خلاله ستة ملايين من الفرنكات ، وهذا يعنى سلسلة من الجفلات والمراقص والمآدب لا نهاية لها ، وأرجو الا ينسانا الكونت فيها، كما نعتزم نحن أن نذكره فى حفلاتنا المتواضعة ! فقالت البارونة تخاطب الكونت : « لقد تخذت لزيارتك لباريس أسوأ وقت ، فهى فى الصيف لا تطاق .. والملاهى التى بقيت لنا فيها تنحصر فى حفلات السباق .. فى حلبتى ( شون دى مارس ) و ( شاتورى ) .. فهل نعتزم اشراك بعض جيادك فى هذا السباق يا كونت ؟ »

- سأفعل ما يفعله غيرى فى باريس يا سيدتى ، اذا اسعدنى الحظ فوجدت من يرشدنى الى ضروب الهوى المختلفة !

وفى هذه اللحظة دخلت المخدع وصيفة البارونة المفضلة ، واقتربت من سيدتها وهمست فى اذنها بوضع عبارات ، شحبت على اثرها وجه البارونة ، فاستدارت نحو زوجها متسائلة فى لهفة :

- اهلا صحيح ؟ .. ان وصيفتى البفتنى ان سائق عربتى فوجيء وهو

بهم بأعدادها الآن بأن جوادها أبدا بدون علمه .. فكيف كان ذلك ؟! »  
فأجابها زوجها : « كوني لطيفة يا سيدتي واصفى الى »

لكنها انفجرت فيه صائحة : « أوه نعم ، سوف اصفى اليك يا سيدتي ، فاني لقي فضول شديد الى سماع الايضاح الذي ستكرم به علي .. ان بين الجياد العشرة التي تحتويها حظائك جوادين يخصانني ، وهما من أحسن الجياد الموجودة في باريس كلها .. وقد وعدت مدام دي فيلفور بأن أعيرها عربتي كي تنتزه بها غدا في غابة بولونيا ، فلما ذهب الحوذي ليعد العربية اكتشف الامر .. ولا شك أنك ضحيت الجوادين بغية الحصول على بضعة آلاف اخرى من الفرناكات الحقيرة . أوه ، يا لها من فئة بغیضة ، فئة هؤلاء المضارين المحترفين ! »

فقال لها دانجلز : « سيدتي . ان الجوادين لم يكونا بالهدوء الذي يناسبك . وأقسم بشرقي أمام الكونت انني لو لم أتصرف فيهما منذ ساعات لسرني أن أهديهما اليه .. فهما لا يصلحان الا لشباب في مقتبل العمر ، وقد كنت متلهفا الى الخلاص منهما ! »

فقال الكونت : « شكرا لك يا عزيزي البارون ، لكنني في الواقع قد ابتعت لعربتي اليوم جوادين رائعين يثمن لا اذكر انه كبير .. فهل للمسيو دبراى أن يصارحنى بزايه فيهما ، انه خبير في مثل هذه الامور كما سمعت ! »

وهنا اقترب دبراى من النافذة ، ليطل منها على الجوادين ، بينما اقترب دانجلز من زوجته وهمس لها : « لم أستطع أن اصارحك أمام هؤلاء السادة بسبب تصرفي في الجوادين ، لقد أرسل شخص مجنون أو أحمق وكييله ليشتريهما بأى ثمن .. فريحت فيهما ستة عشر ألف فرنك ! .. لاتفضي ، فسوف أعطيك ربع هذا الربح تفعلين به ما تشائين ، كما اني سأعطي أوجيني ألفي فرنك .. أفلم اكن محقا بعد هذا في بيع الجوادين ؟ »

وحدجت البارونة زوجها بنظرة احتقار بالغة .. بينما صاح دبراى فجأة : « يا الهى ! .. لا يمكن أن اكون محظئا . ان الجوادين اللذين نتحدث عنهما ، مسرجان الى عربة الكونت ! »

فهمتت البارونة وهي تهرع نحو النافذة : « أتعنى جوادى العزيزين ؟ »  
ثم أردفت بعد أن رأتهما : « حقا انهما جواداي »

فصاح الكونت متكلفا الدهشة بدوره : « عجبا ! .. يا للمصادفة ! »  
وشرد البارون وهو يهيم نفسه للمشادة المقلبة بينه وبين زوجته ، التي نم حاجباها عن اقتراب العاصفة .. واذا ذلك تذكر فحاة انه مرتبط بموعده سابق ! .. كما انحنى الكونت دي مونت كريستو مستأذنا في الانصراف وخرج تاركا دانجلز يواجه تأنيب زوجته .. !

وبعد ساعتين تلقت البارونة رسالة رقيقة من الكونت يرجو فيها ان تقبل جوادها العزيزين هدية منه ، قائلا : « لست أستطيع أن أتحمّل فكرة



تدماجي في المجتمع الباريسي الرفيع اذا اشترت ابهة موكبي بدموع  
سيده حسناء ! »



... وفي اليوم التالي ، حوالى الساعة الثالثة ، استدعى الكونت خادمه  
النوبي « على » بدقة واحدة للجرس ، فلما مثل في حضرته ابتدره بقوله :

— لقد طالما حدثتني عن براعتك الخارقة في رمي الأثسوطه . وبعد قليل  
سوف تمر امام البيت بأقصى سرعة عربية يجرها الجوادان اللذان رأيتهما في  
عربتي أمس . . . والآن أريدك ان توقف هذين الجوادين امام بابي ولو كلفك  
ذلك تعريض حياتك ذاتها للخطر ! »

.. فهبط « على » الى الطريق ، ورسم خطا مستقيما على الرصيف  
عند مدخل البيت تماما ، ثم أشار للكونت نحوه فعاد هذا الى الطابق الثاني  
من المنزل واثقا من نجاح خطته !

وحين اقتربت الساعة الخامسة سفع صوت عجلات عربية تقترب مسرعة ،  
ثم ظهرت العربية على الفور يجرها جوادان جاحخان حاول الخوذى المدمور ان  
يحل من سرعتهم المخيفة ، ولكن دون جدوى ! . . . وكانت في داخل العربية  
أمراة حسناء وطفل في السابعة أو الثامنة وقد تغانقا بقوة وأعجزهما الرعب  
حتى عن اطلاق اية صرخة ! . . .

وفجأة أخرج « على » الأثسوطه من جيبه ، وألقاها بحيث اقتنصت  
الساقين الأماميتين للجواد القريب ، ثم جذبه وراءه في عنف بالغ عدة خطوات  
قبل ان يسقط الجواد على « العريش » فيقصمه ، وبذلك يعوق الجواد  
الأخر عن متابعة عدوه !

وانتهز الخوذى هذه الفرصة الفريدة فقفز من فوق مقعده لينجو بنفسه ،  
بينما أمسك على بخياشيم الجواد الثاني وضغطها بقبضته الحديدية حتى  
خر الجواد بجانب زميله وهو يتلوى من الألم . . . وقد حدث ذلك كله في  
ثوان معدودات ، لكنها كانت كافية لأن يخرج اصحاب الدور القريبة  
وخدمهم ليروا ما هناك ، وسرعان ما فتح الخوذى باب العربية وأخرج راكبها  
التي كانت احدى يديها متقلصة على الوسائد بينما يدها الاخرى تضم الى  
صدرها ولدها الذي فقد رشده !

وتقدم الكونت دي مونت كريستو فحمل المرأة وأينها الى صالونه حيث  
ارقدتهما فوق احدى الأرائك المريحة وهو يقول  
— استريحى يا سيدتى ، فقد زال كل خطر !

فرفعت المرأة عينها لدى سماعها هذه الكلمات ورمقتة بنظرة أبلغ  
تعبيرا من أى رجاء ، وهى تشير الى ابنها الذى ما زال غائبا عن الوعي . . .  
فقال الكونت وهو يفحص الصبي بعناية :

— انى اقدر سبب انزعاجك يا سيدتى ، لكنى اؤكد لك ان ليس ثمة داع للقلق ، فما اغماؤه الا نتيجة طبيعية للرعب ، وسوف يفيق بعد قليل ! »  
فسالته : « انت واثق من أنك لا تقول ذلك كى تسكن روعى وتهدىء مخاوفى ؟ ! »

ثم انحنى على ولدها وهتفت به : « يا حبيبى ادوار ، تكلم .. تحدث الى امك ، افتح عينيك الغاليتين وانظر الى مرة اخرى ! »

وعادت فالتفت الى الكونت وقالت : « سيدى .. أرجو ان ترسل فى طلب طبيب .. انى لا بدل كل ثروتى فى سبيل انقاذ حياة ولدى ! »

فاجابها الكونت بانتسامة هادئة وحركة لطيفة من يده ، ثم اشار عليها بان تنحى مخاوفها جانبا .. وفتح صندوقا صغيرا كان على قيد خطوة منه واخرج منه قنينة صغيرة من الزجاج المغطى بالذهب تحوى سائلا احمر فى لون الدم ، وسكب قطرة واحدة منه على شفتى الصبى الذى كان جامدا كالتمثال ، فسرعان ما فتح عينيه ونظر محملا فيما حوله .. فكادت الام تجن فرحا ، وقالت تلوم نفسها وقد هدأت مخاوفها :

— ان فضولى التعمس هو المسؤول عن ذلك كله .. لقد سمعت باريس باسرها تطنب فى امتداح جمال جوادى البارونة دانجر فخطر لى ان ارى بنفسى هل يستحقان كل ذلك الاطراء .. هل سيدى يعرف البارونة دانجر ؟

فقال الكونت : « نعم يا سيدتى ، وان مما يزيد فى سعادتى بنجاتك من الخطر الذى كان يتهددك انى كنت بلا قصد منى سبب هذا الخطر الذى تعرضت له . فقد ابتعت امس هذين الجوادين من البارون ، ولكنى حين تبينت مبلغ اسف البارونة عليهما أعدتهما اليها راجيا ان تتكرم بقبولهما هدية منى ! »

فقالت له : « اذن فانت الكونت دى مونت كريستو ، الذى حدثتنى عنه ( هرمين ) كثيرا ؟ »

فقال : « لقد صدقت فراستك يا سيدتى ! »

فقالت : « وانا مدام هيلويز دى فيلفور .. سيكون زوجى شاكرا لك حين يقف على نبا انقاذك لزوجته وابنه ! .. انه سيظل مدينا لك بحياتنا ، فلولا شهامة خادمك الباسل لكان كل منا الآن فى عداد الاموات ! »

وكان فيلفور قد شفى من اصابته بسكين برتوشيو الذى ظن أنه قتله وفى تلك الليلة سهرت باريس باسرها تتحدث عن هذه المغامرة ، فقد رواها البرت لأمه ، وقص « شاتو رينو » نباها فى نادى الجوكم ، وسرد « دبراى » تفصيلاتها الكاملة فى صالون الوزير .. كما خصص « بوشان » عشرين سطرا من صحيفته للاشادة بشجاعة الكونت وشهامته ، واعتباره يطل الساعة فى انظار نساء الطبقة الارستقراطية فى باريس !

## المتقد المجهول

استقل الكونت دى مونت كريستو عربته فى اليوم التالى الى بيت جميل يقع فى شارع ميلاي - رقم ٧ - حيث دعى الى زيارة مكسمليان موريل ، ابن ولى نعمته القديم صاحب السفينة « فرعون »

ولم يكده يدخل البيت حتى مد الضابط الشاب يده يصافح بها الكونت فى حرارة ، قائلا : « هيا بنا ٠٠ ساكون لك بمثابة الدليل ٠٠ ان أختى فى الحديقة تقطع الورود الذابلة ، وزوجها يقرأ الصحف على بعد ست خطوات منها ، فحيثما تكون مدام « هربول » يوجد مسيو « ايمانويل » دائما داخل دائرة لا يزيد قطرها على أربعة أمتار !

ولما دخلا الحديقة رأى الكونت هناك شابة فى نحو العشرين أو الخامسة والعشرين من عمرها ، ترتدى ثوبا حريريا من ثياب الصباح ، وما سمعت وقع خطاهما حتى رفعت رأسها عن ورودها متطلعة الى القادمين ، وكانت هى « جول » ، التى أضحقت تدعى بعد زواجها « مدام ايمانويل هربول » ٠٠ وقالت للضيف الكبير :

— آه يا سيدى ٠٠ انها لخيانة من أختى أن يحضرك على هذا النحو ، بلا اخطار سابق ٠٠ لكنه لم يقم يوما أى حساب لاخته المسكينة . أرجو أن تسمح لى بأن أتركك لبضع دقائق !

وقبل أن تنتظر جوابا اختفت وراء أجمة من الاشجار ، ثم أسرعت الى البيت من طريق ممر جانبي ٠٠ بينما قال مونت كريستو لاختها :

— انتى لشديد الأسف اذ أرى انى أسبب لأفراد المنزل انزعاجا كبيرا ! فقال مكسمليان ضاحكا : « أنظر هناك ، هذا زوجها يبذل سترته بأخرى . أؤكد لك أنك معروف جيدا فى شارع ميلاي ! »

فقال الكونت كأنما يحدث نفسه : « يبدو أن أسرتك من الأسر السعيدة ؟ »

فقال الضابط : « بلا شك ، اذ لا ينقصها شيء من مقومات السعادة ، فأفرادها يستمتعون بالشباب والمرح ، وكل منهم شديد التعلق بالأخر ، وبفضل ايرادهم البالغ خمسة وعشرين ألف فرنك فى السنة يحسون أنهم فى غنى روتشيلد ! »

وقال الكونت دى مونت كريستو بلهجة عذبة رقيقة وقعت من سمع مكسمليان موقع صوت الأَب البار :

— مع ذلك فإن هذا المبلغ ليس كبيرا ، وهم لن يقنعوا به .. هل زوج أختك محام ، أم طبيب ؟ »

فقال : « كان تاجرا ، وقد خلف أبي المسكين في تجارته .. ذلك أن مسيو موزيل عند وفاته ترك نصف مليون فرنك قسمت بالتساوي بين أختي وبيني ، فقد كنا ولديه الوحيدين . أما زوج أختي — الذي لم يكن يملك عند زواجه منها غير ميراثه النبيل من نزاهة اليد وكفاءة الذهن والسمعة النظيفة — فقد أراد أن يكون له مال لا يقل عن ارب زوجته ، فراح يكد ويعتهد حتى جمع في خلال ست سنوات ربع مليون فرنك بمعاونة زوجته التي شاركته كفاحه وتعبه .. وقد ضجت مارسيليا بأسرها بالثناء على جهادهما المشترك .. وأخيرا جاء امانويل ذات يوم يقول لزوجته وقد فرغت من مراجعة الحسابات :

— لقد سلمني الوكيل منذ برهة المائة فرنك الأخيرة التي يكتمل لنا بها مبلغ الربع مليون فرنك الذي حددناه ثروة لنا ..»

فهل تمتنعين بهذه الثروة الصغيرة التي ستكون عمادنا للمستقبل ؟ أصغى الي ، ان مؤسستنا تتداول أعمالا تبلغ المليون فرنك سنويا ، يصينا منها دخل قدره أربعون ألفا .. وفي استطاعتنا اذا أردنا أن نبيع تجارتنا في أية ساعة .. فقد تلقيت خطابا من مسيو ( ديلوناي ) يعرض فيه أن يشتريها بثلاثمائة ألف فرنك ، فماذا ترين ؟

فأجابته أختي مؤكدة له أن مؤسسة موزيل لا ينبغي أن يتولاها غير فرد من أسرة موزيل .. وأن ثلاثمائة ألف فرنك لا تساوي احتفاظها باسم أبيها وحمايته من شروز الثروة الحرام أو الافلاس !

« فقال لها امانويل « هذا ما رأيته ، لكنني أردت أن أعرف رأيك أنت .. على اني أقترح أن نصفي مؤسستنا ونكتفي بالايرواد الذي يجلبه لنا رأس المال »

« وقد اتفقا على هذا ، وكانت الساعة وقتئذ الثالثة . وبعد ربع ساعة دخل تاجر ليؤمن على سفينتين له لدى المؤسسة ، الأمر الذي كان يدر عليهما ربحا قدره خمسة عشر ألف فرنك ، فقال له امانويل : ( لقد أغلقنا مكاتبنا وصفيينا أعمالنا منذ ربع ساعة فقط ! )

« ومنذ ذلك التاريخ قنعت أختي وزوجها بإيرادهما البالغ خمسة وعشرين ألف فرنك في السنة ! »

لم يكد مكسميليان يفرغ من قصته ، التي أرهفت مشاعر الكونت كريستو من فرط ما نمت عن نبيل وقناعة ، حتى أقبلت جولي و امانويل ، فقال الكونت يخاطب الزوجة :

— اغفري لي الانفعال الذي يبدو على يا سيدتي ، وقد يدهشك هذا أنت التي ألقت السعادة التي ترفرف على هذا البيت . لكن منظر البشر والقناعة

على محيا انسان لا شك انها منظر جديد بالنسبة الى ، بحيث لن امل النظر  
اليه على وجهك ووجه زوجك ! »

فأجابت جولى : « نحن سعداء حقا يا سيدى ، لكننا عرفنا ايضا التعاسة  
فترة من الزمن ، بل قل بين الناس من ذاقوا مثل الآلام المريرة التى  
ذقناها ! »

وهنا بدت على وجه الكونت علائم الفضول ، بينما أردف مكسمليان :  
« ان هذا يقضى بنا الى صورة متواضعة من تاريخ الأسرة قد لا تعنيك كثيرا  
أنت الذى ألفت ألا ترى غير مباحج الأثرياء والبارزين وحدهم .. لكن  
الواقع أننا قاسينا الكثير من الأحران المرة »

فقال الكونت دى مونت كريستو فى لهجة تسأول : « عسى أن يكون  
الله قد شفى أحرانكم بفضل ورحمته كما يصنع لجميع المعذبين الصابرين؟ »  
فأجابت جولى : « نعم يا سيدى الكونت ، ليس يسعنا الا أن نعترف  
بذلك ، فلقد صنع الله من أجلنا ما لا يصنعه الا خاصته المختارين فأرسل  
الينا أحد ملائكة الرحمة لانقاذنا مما كنا نعانيه ! »

وهنا تورد خدا الكونت فصارا فى لون القرمز ، ثم سعل كى يجد مبررا  
لوضع منديله على فمه .. بينما أردف أمانويل قائلا : « ان أولئك الذين  
يولدون فى الثراء ويملكون وسائل اشباع جميع رغباتهم لا يعرفون كيف  
تكون السعادة الحقيقية فى الحياة ، أما الذين عاشوا وسط أمواج الحياة  
وأعاصيرها فهؤلاء وحدهم يقدرون قيمة الجو الذى يسوده الصفاء والهدوء ! »  
ونهض الكونت دون أن يجيب بكلمة ، خشية أن يفضح صوته مدي  
انفعاله ، ثم راح يذرع الحجر ذاهبا أبيا فى خطوات بطيئة ، فقال له  
مكسمليان وهو يتبعه بعينه : « ان أقوالنا تدهشك ، أليس كذلك ؟ »

فوضع الكونت احدى يديه على قلبه ليهدىء من ثائرتة ، وأشار باليد  
الأخرى الى غطاء من البللور تحته كيس من الحرير موضوع فوق سادة من  
القطيفة السوداء وقال : « كلا يا سيدى ! .. وانما كنت أتأمل هذا الكيس  
الذى يحوى ورقة فى أحد طرفيه ، وماسة كبيرة فى طرفه الآخر ! »

فقال مكسمليان وقد ارتسمت على وجهه علائم الجذ : « سيدى الكونت ..  
هذه هى أئمن كنوزنا العائلية ! »

فقال الكونت : « حقا .. ان هذه الماسة تبدو ثمينة جدا .. ! »  
وهنا تدخلت جولى فى الحديث قائلة : « ان أخى لا يعنى قيمة هذه الماسة  
- برغم أنها قدرت بمائة ألف ريال - ولكننى أعنى أن الأثرياء التى يحتوئها  
هذا الكيس هي تذكارة ( التذكار ) الذى حدثناك عند الآن ! »

فقال الكونت هو ينحنى لها : « عفوا يا سيدتى .. اننى لا أفهم شيئا  
من هذا . وسب أطلب الوقوف على خفايا أمره ، فليس من عادتى أن  
اتطفل على أسرار عائلية لا تخصنى ! »

فقلت جولى متحمسة : « ليس هذا تطفلا يا سيدى .. كلا ! بل انه ليسعدنا أن تعطينا الفرصة كى نفيض فى هذا الموضوع . ولو كنا نبغى اخفاء الصنيع النبيل الذى يرمز اليه هذا الكيس لما عرضناه للعيان هكذا ! أوه ..! ليتنا نستطيع أن نروى القصة لكل انسان وفى كل مكان ، لعل هذا يوصلنا الى معرفة ذلك المحسن المجهول ! »

فتساءل الكونت فى صوت أشبه بالمختنق : « حقا ؟ »

وسارع مكسمليان الى رفع الغطاء البلورى عن الكيس الحريرى ثم لشمه فى احترام وتوقير وقال للكونت : « سيدى .. ان هذا الكيس قد لمس يد الرجل الذى أنقذ أبى من الانتحار ، وأنقذنا نحن من الدمار ، بل أنقذنا من العار والفضيحة ..! نعم ان ذلك الملاك الكريم الذى لا يبارى جعلنا ننجو من مصير كله فاقة وعوز ونصبح فى حال يحسدنا عليها الناس ويضطروننا على سعادتنا ..! واليك الخطاب الذى كتبه ذلك الملاك الكريم فى اليوم الذى انتهى فيه أبى الى اتخاذ قرار الانتحار ..! أما هذه فهى الماسة التى وهبها المحسن المجهول لأختى لمناسبة زواجها ! »

ونشر الكونت الخطاب وقرأه فى غبطة ظاهرة . وكان الخطاب موجها الى جولى ، وموقعا عليه باسم « السندباد البحرى » ..! فتساءل الكونت : « هل الرجل الذى أدى لكم هذه الخدمة مجهول لديكم تماما حتى الآن ؟ » فاجاب مكسمليان : « نعم يا سيدى ، اذ لم يسعدنا الحظ يوما بأن نصادفه برغم اننا طالما التمسنا من السماء أن تمنحنا هذه المنة .. لكن الأمر كله قد اتخذ اتجاهها غامضا عجزا عن فهمه ، وقادته من بدايته الى نهايته يد خفية - وان تكن قوية - أشبه بأن تكون يد ساحر ! »

فهمت جولى : « انى لم أفقد الأمل بعد فى أن أستطيع يوما تقبيل تلك اليد كما أقبل الآن هذا الكيس الذى لمستته ..! ولقد كاد يتم لى ذلك .. فمنذ أربعة أعوام كان ( بنيلون ) البستانى الذى يعمل فى حديقة الدار - وقد كان فيما مضى بحارا - يجول على رصيف ميناء ( تريستا ) حين رأى ثريا انجليزيا يتأهب للابحار فى يخته الخاص ، فعرف فيه الشخص الذى زار أبى فى الخامسة من يونية سنة ١٨٢٩ والذى كتب لى هذا الخطاب فى الخامس من سبتمبر . وقد استوثق ( بنيلون ) من شخصه لكنه لم يجرؤ على مخاطبته ..! »

فقال الكونت كريستو وقد أقلقته النظرة الفاحصة التى رمقت بها جولى : « انجليزى ..! أهو ثرى انجليزى ؟ »

فاجاب مكسمليان : « نعم ، انجليزى تقدم الى أبى باعتباره المندوب الخاص لبنك ( تومسون ) وفرنشى فى روما . وهذا ما جعلنى أجفل حين سمعتك تذكر فى منزل مسيو دى مورسيرف ان البنك الذى تتعامل معه هو بنك تومسون وفرنشى ..! فقل لى بربك : هل تعرف ذلك الثرى الانجليزى ؟ »

فقال الكونت وهو يتكلف الهدوء : « لكنك ذكرت لى أن بنك تومسون وفرنش أنكرك جازما أنه أدى لكم تلك الخدمة ؟ »

فأوما مكسميليان موافقا ، بينما واصل الكونت كلامه فقال :

— اذن .. ألا يحتمل أن يكون ذلك الانجليزى شخصا أدى له والدك صنيعا يوما ما ، نسيه بعد ذلك ، ففكر هو أن يرده له بهذه الطريقة الغامضة ؟

— كل شيء جائز فى هذا الشأن !

— وما اسم هذا الانجليزى ؟

— اننا لا نعرف له اسما غير اسم ( السندباد البحرى ) الذى وقع به على خطابه !

— ألم تكن له قامتي ، أو أطول قليلا ، وكان يرتدى رباط رقبة يصل الى ذقنه ، وسترة ملتصقة بجسمه .. ومن عادته أن يخرج قلمه من جيبه كل حين ؟

فهمت جولى وقد لمعت عيناها غبطة : « نعم .. نعم .. انك اذن تعرفه يا سيدى .. وافرحته ! »

فقال الكونت : « كلا ! .. وانما أنا أستنتج فقط ، فقد عرفت شخصد اسمه اللورد ويلمور اعتاد أن يقوم بتصرفات من هذا النوع »

فسألته : « هل كان لا يفصح عن شخصيته أيضا ؟ »

فأجاب : « انه كان مخلوقا شاذا ، لا يؤمن بأن لعرافان الجميل وجودا ! »

فهمت متفجبة : « ربا .. وبم كان يؤمن اذن ؟ ! »

فأجاب الكونت وقد لمست شغاف قلبه لهجة جولى الفياضة بالامتنان : « انه لم يكن يؤمن بذلك فى الفترة التى عرفته فيها .. ولعله تبين بعد ذلك أن الاعتراف بالجميل ما زال موجودا على الارض أ »

فقالت له متوسلة : « اذا كنت تعرف هذا الشخص ، فانى أرجو ملحة فى الرجاء أن ترشدنا الى مكانه .. آه لو عثرنا عليه ! .. اذن لا تقنعناه بوجود الاعتراف بالجميل ، والاعتراف الصادر من القلب ! »

وأحس الكونت ان الدموع تكاد تطفر من عينيه ، فنهض وراح يذرع الحجر مرة أخرى بخطوات سريعة .. بينما ناشده مكسميليان قائلا : « بحق السماء ، أذكر لنا ما تعرفه عن ذلك الشخص »

فهمت الكونت دى مونت كريستو وهو يجاهد ليقمع انفعاله ، اذا كان لورد ويلمور هو ولى نعمتكم المجهول فأخشى أنكم لن تروه ثانية . لقد افترقت عنه منذ عامين فى ( باليرمو ) .. وكان يتأهب للابحار الى أقصى أطراف الأرض ، بحيث اعتقد أنه لن يعود مرة أخرى ! »

فقالت جولى وقد طافت الدموع بما قيها : « تعنى اننى لن أراه يا سيدى .. هذه قسوة منك ! »

فأجابها الكونت في لهجة جادة وهو ينظر بشغف الى اللؤلؤتين المنحدرتين على خديها : « لو كان لورد ويلمور قد رأى ما أراه الآن ، لأحب الحياة ، فان الدموع التي تبهرفينها كانت كفيلا بأن تعيد اليه حسن ظنه بالبشر ! » ثم مد الكونت يده الى جولي مصافحا ، فقالت وهي تضع يدها في يده : « ولكن .. أليس للورد ويلمور أسرة أو أصدقاء نستطيع أن ... ؟ »  
فقطع الكونت كلامها قائلا في تلطف :

- لا تتعبي نفسك في الاستقصاء ، فلعله لا يكون الشخص الذي أدى لكم ذلك الصنيع .. لقد كان اللورد صديقي الحميم ، ولم يكن يخفى علي أي سر خاص به ، فلو أنه كان صاحب ذلك الصنيع لأفضى الي بما فعل ! وعندئذ خفي مكسمليان الى نجدة الكونت وقال لأخته :

- ان السيد علي حق يا أختاه .. تذكرى ما طالما قاله لنا أبونا البار :  
( ليس الرجل الانجليزى هو الذي أنقذنا ! )

وهنا سأله الكونت في لهفة : « ماذا قال لك والدك يا مسيو موريل ؟ »

فأجاب : « كان من رأى والدي أن ذلك الصنيع من قبيل المعجزات ، وأن صانعه قد بعث من القبر لينقذنا .. أوه ، انها كانت خرافة مؤثرة يا سيدى ، ويرغم انى شخصيا لم أصدقها فاني لم أشأ أن أحطم ايمان أبي بها .. وكم من مرة حام حولها وذكر اسم الصديق العزيز الذي فقدته للايد ، والذي عزا اليه ذلك الصنيع ، بل انه حين حضرته الوفاة ، وأضاءت ساعة الاحتضار ذهنه بنور خارق للطبيعة ، تحولت عنده هذه الفكرة الى يقين قاطع .. فكانت كلماته الاخيرة لى ( مكسمليان .. انه ادمون دانتيس الذى أنقذنا ! ) .. »

وهنا بلغ شعوب وجه الكونت درجة مزعجة ، فلم يقو على الكلام ، ونظر الى ساعته كمن نسي موعدا هاما ، ثم نطق على عجل ببضع عبارات موجهة الى مدام هربول وصافح كلا من مكسمليان وايمانويل وهو يقول لها : « سيدتى ، انى لأطمع فى أن تستمعى لى بزيارتكم بين حين وآخر ، فانا أقدر صداقتكم وأشكركم على حفاونكم ، فهذه هى المرة الأولى التى أطلق فيها العنان لمشاغرى منذ سنوات ! »

ثم غادر البيت مسرعا !

وقال ايمانويل على أثر خروج الكونت :

- ان الكونت دى مونت كريستو رجل غريب الأطوار !  
فقال مكسمليان : « نعم .. لكنى أحس عن يقين أن له قلبا نبيلًا ، وأنه يحبنا ! »

وقالت جولى : « لقد تغلغل صوته الى أعماقى ، وخيل الى مرتين أو ثلاثا أننى سمعته من قبل ! »



## درس فى السموم !

لم يبطئ الكونت دى مونت كريستو فى العودة الى زيارة مدام دى فيلفور . . ولم يكده الخادم يعلن اسمه حتى عم الهرج والمرج أنحاء البيت ، وطلبت مدام دى فيلفور - التى كانت فى الصالون وحدها وقتئذ - أن تحضر المربية ولدها كى يجدد شكره وامتنانه للكونت . . وكان الصبي - واسمه ادوارد - قد سمع أهله يتحدثون عن هذه الشخصية العظيمة طيلة اليومين السابقين ، فبذل جهده كى يخف اليه سريعا ، لا طاعة لأمه أو تقديرا لفضل الكونت عليه ، بل بدافع الفضول المحض . . ورغبة فى أن يجد فى شخصه ما يصلح لأن يتخذة فيما بعد مادة لتعليقاته السليطة التى تطلق لسان أمه بلومه وتأنيبه من حين لآخر ، وان كانت معجبة بذكائه

وبعد تبادل التحيات المألوفة التفتت الى ابنها ادوارد قائلة : « ماذا تفعل اختك فالتين ؟ . . دع أحدا يبلغها أنى أريدها لأتصرف بتقديمها للكونت » فسألتها الكونت : « الك ابنة أيضا يا سيدتى ؟ . لا بد أنها صغيرة السن ؟ »

فأجابته الزوجة الشابة : « انها ابنة مسيو دى فيلفور من زوجته الاولى . . وهى فتاة رائعة »

فقاطها الصبي ادوار وهو ينتزع بضع ريشات من ذيل ببغاء كانت تتصايح فوق قفصها الذهبى : « لكنها متهوسة ! »

فصاحت به أمه : « صه يا ادوار ! » . ثم أضافت تحدث ضيقها : « هذا الولد الشقى اللعين مصيب مع ذلك الى حد ما ، وهو يردد ما سمعنى أقواله متأللة مائة مرة . ذلك ان الأتسة دى فيلفور - برغم كل ما نبذله من أجلها - ذات طبيعة سوداوية وميل الى الصمت والانزواء ، الامر الذى يغض من جمالها . ولكن ما الذى يعوقها ؟ . اذهب يا ادوار وادعها » فقال ادوار : « انهم يبحثون عنها فى المكان الذى لن يجدها فيه كما هو شأنهم دائما ! »

فسألته : « أين يبحثون عنها ؟ »

فأجاب : « عند جدى فوارتييه . . وأنا على يقين من أنها ليست هناك ! »

فسألته : « وأين هى اذن ؟ . . اذا كنت تعرف مكانها فلم لا تقول ؟ »

فأجاب : « انها تحت شجرة الكستناء الكبيرة ! »

فمدت الام يدها الى الجرس كى ترشد الخدم الى مكان الفتاة . ولكن هذه

سرعان ما ظهرت مقبلة ، وقد بدت عليها الكتابة ، بحيث كان الفاحص المدقق يستطيع أن يلمح في عينها آثار دموع قد جففت !  
كانت « فالتين » فتاة طويلة القامة رشيقة القد ، في التاسعة عشرة من عمرها ، ذات شعر كستنائي ، وعينين زرقاوين عميقتين ، ومظهر وقور يوحى بالاستقراطية الهادئة التي كانت تميز أمها .. وكانت أصابعها البيضاء الدقيقة وعنقها العاجي وخداها المصطبغان بالوان وظلال شتى ، تذكر الناظر إليها بالحسان الإنجليزية اللواتي قارنهن الشعراء بالبعجات ذوات الجلال !

وحينما دخلت الفتاة الحجرة ، ورات الى جوار زوجة أبيها الرجل الذي سمعت كثيرا من الاحاديث عنه عمدت الى تحيته دون أى ارتباك صياني ، بل دون أن تغض من بصرها ، وبرشاقة ضاعفت انتباه السكونت إليها ، فنهض ليرد لها التحية !

وحين قدمتها له زوجة أبيها باسمها ، أردف ادوار أخوها يكمل التعريف وهو يرمقها بنظرة مأكرة : « وهذا مسيو دي مونت كريستو ملك الصين وامبراطور الهند الصينية .. »

وهنا شحب وجه أمه واستبد بها الغضب على الغلام الشقي ، لكن الكونت ابتسم في غير غضاظة ونظر الى ادوار في تسامح جعل قلب الأم يسترد فرحته وتحمسه .. ثم وأصل حديثه فقال وهو ينقل بصره بين مدام دي فيلفور وفالتين : « ألم أتشرف من قبل بلقائكما ؟ لقد دار هذا يخاطري منذ البداية ، وحين دخلت الأنسة أضاف مرآها شعاعا جديدا من الضوء على ذكرى مشوشة في ذهني ؟ ! »

فأجابت السيدة دي فيلفور : « لست اعتقد ذلك يا سيدي ، فان الأنسة دي فيلفور ليست شغوفة بالمجتمعات ونحن لا نخرج الا نادرا ! » فقال : « اذن .. لم يكن المجتمع موضع لقائي بالأنسة أو بك يا سيدتي ، أو بهذا الغلام المرح الجذاب .. ثم ان مجتمعات باريس غريبة على تماما ، فاني لم احضر الا منذ أيام .. ولكن ربما كان ذلك اللقاء في ايطاليا .. كانت الأنسة تسير في الحديقة ، وذهب ابنك يطارد طاووسا ! »

وهنا تدخل الغلام ادوار فقال بعد أن أوما موافقا : « نعم .. نعم يا امام ، وقد أمسكت بذلك الطاووس وانتزعت ثلاث ريشات من ذيله .. الا تذكرين ؟ »

واستطرد الكونت : « أما أنت يا سيدتي فبقيت في ظل الكرمة .. الا تذكرين أنك وأنت جالسة على مقعد حجري ، في غيبة الأنسة دي فيلفور وابنتك ، تحدثت فترة من الوقت الى شخص ما ؟ »

فأجابت الزوجة الحسنة وقد صعد الدم الى وجهها : « نعم .. هذا صحيح .. أذكر اني تحدثت الى رجل يرتدى عباءة طويلة من الصوف . كان طبيبا على ما أذكر ! »

فقال الكونت : « تماما يا سيدتى ، وذلك الرجل أو الطبيب لم يكن سوى ! . كانت قد انقضت مدة على وجودى فى الفندق ، وقد استطعت خلالها أن اشفى خادمى من حمى أصابته ، واشفى صاحب الفندق من داء اليرقان ، فاكتسبت بذلك صيتا ذائعا هناك . وقد تحدثنا يومئذ يا سيدتى فترة طويلة من الوقت ، فى موضوعات شتى مثل ( بيروجنتو ) ، و ( رافاييل ) ، والعادات ، والأزياء . . كما تحدثنا عن علم مزج السوائل ، وذكرت لى أن اشخاصا معينين فى ( بيروجنا ) يحتفظون بسرّه »

فقالت المرأة متعجبة ، فى شىء من القلق : « نعم ، هذا صحيح . . أذكر ذلك الآن ! »

واستطرد الكونت فقال فى هدوء تام : « . . لست أذكر جميع الموضوعات التى تكلمنا فيها يومئذ يا سيدتى ، لكنى أذكر بوضوح أنك وقعت فى الخطأ الذى وقع فيه غيرك بصدد براعتى فى الطب فاستشرتنى بشأن صحة الأنسة دى فيلفور »

وفى تلك اللحظة دقت الساعة السادسة ، فالتفتت ملام دى فيلفور الى فالتنين وقالت لها فى انفعال : « الساعة السادسة الآن . . هل لك أن تدهبى لترى هل جدك يريد تناول عشاءه ؟ »

فنهضت فالتنين وغادرت الغرفة ، بعد أن حيت الكونت ، دون أن تحيب بكلمة . . فقال الكونت : « أواه يا سيدتى ، هل بسببى أبعدت الأنسة دى فيلفور عن الغرفة ؟ »

فقالت : « كلا ! . انها الساعة السادسة وهى الموعد المحدد لاعطاء المسيو نوارتييه الوجبة الاجبارية التى تعينه على الاحتفاظ بما بقى من قواه . . انك على علم يا سيدى بحالة الانحلال التى أصيب بها والد زوجى ، اليس كذلك ؟ »

فقال : « نعم ، لقد حدثنى مسيو دى فيلفور عنها مرة . . انها حالة شلل على ما أذكر ؟ »

فقال : « نعم ، ان الكهل المسكين لا يقوى على اية حركة . . . ولم يبق محتفظا بنشاطه فى جسمه غير عقله ، ولو أنه بدأ يضعف ويختلج كنور الصباح الذى يوشك أن ينطفىء . . ولكن اغفر لى يا سيدى كلامى فى متاعبنا البيتية . لقد قاطعتك فى اللحظة التى كنت فيها تحدثنى عن براعتك فى الكيمياء ! »

فقال : « كلا يا سيدتى ! . لم أقل ذلك تماما . وما درست الكيمياء الا على اثر اعتزامى العيش فى الأجواء الشرقية ، كى أنهج نهج الملك ميتريداتس الذى . . »

وهنا قطع الصبى كلامه وقال وهو ينتزع بعض الصور الجميلة من

« اليوم » ثمين : « أهو الملك ميتريداتس الذى كان يفطر كل صباح بكأس من السم المزوج بالكريمة ؟ ! »

فهمت به وهى تنتزع اليوم الصور من قبضته :  
— أسكت أيها الشقى ! . لقد صرت لا تحتمل . انك تزعجنا وتقطع حديثنا ، فاتركنا والحق بأختك فالنتين فى غرفة جدك  
ثم نهضت فقادت الغلام من يديه حتى الباب . وتبعها الكونت بعينيه وهو يحدث نفسه : « ترى .. هل تغلق الباب خلفها ؟ »

وأغلقت مدام دى فيللفور الباب بإحكام بعد خروج الصبى ، فظاهر الكونت بأنه لا يلحظ حركتها ، ولما عادت الى مقعدها أخذت تلقي على ما حولها نظرة فاحصة .. فاستطرد الكونت قائلا : « لقد قاطعت الغلام وهو يذكر فذلكة تاريخية تثبت مدى اهتمام معلمه بتثقيفه .. ! »

فقالت الأم فى شىء من الزهو : « انه ذو قابلية للعلم ، وهو لا ينسى أى درس يلقي عليه .. لكن عيبه الوحيد انه شديد العناد . ولما سببه هذا الذى قاله ، هل تصدق حقا ان ميتريداتس كان يستعمل تلك الوسائل ، وأنها كانت ذات أثر حقيقى ؟ »

فقال : « نعم اعتقد ذلك يا سيدتى ، لاني أنا نفسى قد جربتها كى آمن شر الموت بالسم فى رحلاتى المتعددة فى نابولى ، وبالرمو ، وأزمير .. أعنى فى مناسبات ثلاث كنت فيها سأفقد حياتى لولا تلك الوسائل الاحتياطية ! »

فقال : « اننى أذكر الآن أنك أشرت الى شىء من هذا القبيل خلال حديثنا فى بيروجيا .. أليس كذلك ؟ . كما أذكر انى سألتك يوماً : هل السموم تحدث أثرها فى أهل الشمال وأهل الجنوب على حد سواء ، فأجبت بأن الشماليين بطبعهم أميل الى البرود والكسل ، وهذا يجعل قابليتهم للسمم أخف من قابلية أهل الجنوب ذوى الطباع النشطة والحوية »

فقال : « هذا صحيح ، ولقد رأيت بعينى أفراداً من الروس يتناولون أعشاباً خاصة ، لو تناولها انسان من العرب أو سكان الشرق الأوسط لقتلته فوراً ! »

فسألته فى اهتمام : « اتعتقد هذا حقا ؟ .. أعنى هل خطر هذه الأعشاب أشد على من يعيشون فى جو لا تكثر فيه الأمطار والغيوم ، لأن هذه تجعل الأجسام أقل قابلية لامتصاص السموم ؟ »  
فاوماً الكونت موافقاً وقال :

— نعم ، ولا ريب يا سيدتى .. لذلك ينبغى ان يحصن ضد السم من لم يألفه من قبل لكى يتعوده جسمه !

فقال : « أستطيع ان أفهم ذلك .. ولكن كيف تعود نفسك السم ؟ .  
عنى كيف عودت نفسك فى المرات السالفة ؟ »

فقال : « هذا سهل جداً .. فلو فرضنا أنك عرفت سلفاً نوع السم

الذى سوف يدس لك .. وليكن هو ( البروسين ) مثلا .. ثم تناولت في اليوم الاول مقدارا منه ، في اليوم الثاني ضعف هذا المقدار .. وهكذا لمدة عشرة ايام فانك تصيرين قادرة على ان تتعاطى مقدارا كبيرا منه دون ان يصيبك ضرر يذكر .. بينما لو اعطيت هذا المقدار نفسه لانسان لم يتناول المقادير الصغيرة السابقة فانه يقتله ! .. وهكذا يمكنك في نهاية الشهر ان تشربى الماء من اناء واحد مع شخص آخر ، فيموت هو .. في حين لاتشعرين انت بغير مضايقة بسيطة .. ! »

فقلت مدام دى فيلفور في لهجة من تمنع في الفكر : « لقد طالما قرأت تاريخ ميتريداتس ، واعدت قراءته ، لكنى كنت اعتبره بمثابة اسطورة خرافية ! »

فقال : « كلا يا سيدتى ! انه - بعكس اكثر ما يرويه التاريخ - صحيح تماما ! .. لكن ما تستفنين عنه ليس فيما يبدو ثمرة فضول طارئ ، فمند عامين سالتنى هذه الاسئلة نفسها ، وقلت له يومئذ ان تاريخ ميتريداتس قد شغل فكرك زمنا ؟ »

قالت : « هذا صحيح ، فقد كان علم النبات والجيولوجيا أحب العلوم الى في زمن الدراسة .. وانا اميل بطبعي الى العلوم التى تخاطب الخيال كالشعر ، والعلوم التى تخضع للأرقام مثل الجبر .. ولكن استمر ، فحديثك يلد لى جدا ! »

فقال الكونت : « الأغرب من ذلك يا سيدتى ان الشرقيين لا يستخدمون السم كدرع للوقاية - كما فعل ميتريداتس - بل كخنجر للعدوان ! .. فالعلم في ايديهم لا يكون سلاحا دفاعيا فقط ، بل للهجوم ايضا ، وهكذا يحميهم من خصومهم ويخلصهم منهم في الوقت نفسه .. فهم بواسطة الأفيون وست الحسن ( البلادونا ) وغيرها من العقاقير يتيمون الى الأبد كل من يخشون ان يبغوا ساهرين ! .. وما من امرأة من نساء المضرين والأتراك واليونان اللواتي نسميهن هنا ( النساء الفاضلات ) لا تعرف كيف كيف تستعين بالكيمياء على قضاء اغراضها ، بحيث تدهشن الطبيب المحترف ، وتذهل العالم النفسانى الذى يتلقى اعترافات الناس ! »

فتساءلت مدام دى فيلفور وقد لمعت عيناها بوهج غريب : « حقا ؟ ! » .. بينما استطرده الكونت فقال :

- اما عندنا نحن فان اى ساذج تملكه شيطان الحقد أو الطمع ورجب في التخلص من عدو أو قريب ، يذهب عادة الى حانوت البقال أو الصيدلى منتحلا لنفسه اسما زائفا - يؤدى الى افتضاحه في الواقع اكثر مما لو ذكر اسمه الحقيقي ! - ثم يتتاع خمسة جرامات أو ستة من الزرنيخ ، بحجة ان الفيران تزعج نومه ! .. وإذا كان الشخص ماكرا فانه يحصل على هذه الكمية من حوانيت مختلفة ، يكرر في كل منها القصة ذاتها ، فيضع نفسه تحت رحمة شهود عديدين متفقى الشهادة .. ثم يسقى خصمه جرعة من السم تكفى لقتل أضخم فيل أو حوت ، وتجعله يصرخ مستغيثا فيجمع

حوله أجيران وسكان المنطقة .. ثم لا يلبث ان يصل رجال البوليس والمباحث ، وفي اثرهم الطبيب الشرعى الذى يشرح الجثة فيجد في امعائها من بقايا الزرنيخ ما يملأ ملعقة! .. وفي اليوم التالى تصدر الصحف جميعا وفي صدرها كل البيانات ، واسم القاتل والقاتل فيهرع القالون والصيدالة ليشهدوا ضد المتهم الذى ساق الى المحاكمة كما يساق الكرش الى الذبح ، ثم يصدر ضده الحكم وينفذ فيه الاعدام .. او - اذا كانت امرأة - تسجن مدى الحياة! .. هذه هى الطريقة التى تفهمون بها انتم اهل الشمال علم الكيمياء ... لكن (ديرو) كان في الواقع ابرع من ذلك!

فقال المرأة ضاحكة : « ماذا تنتظر منا يا سيدى ؟ .. نحن نفعل ما في مقدورنا .. وليس جميع الناس على علم بأسرار وسائل أسرة بورجيا واسرة مديتشي ! »

فأجاب الكونت وهو يهز كتفيه : « هل تبغين ان اذكر لك سبب هذه الحماقات ؟ .. انها مسابرحكم التى الف النظارة فيها ان يروا الممثل يجرع محتويات قارورة بأكملها ، فيسقط ميتا على الفور .. وبعد خمس دقائق يسدل الستار ويتفرق المنفرجون دون ان يفكروا فيما يحدث عادة في مثل ذلك الحادث من حضور مفتشى المباحث وأسجوابهم المتهم ، ثم الاقتصاص منه .. وهذه الروايات غير المتقنة تؤثر في ذوى العقليات الضعيفة فيتوهمون ان الامور تجرى على هذا المنوال .. ولكن ابتعدى عن فرنسا وتوغلى جنوبا الى حلب او القاهرة ، او حتى الى نابولى وروما .. فلسوف تجددين هناك اناسا يبرون بجناك في الطريق ، منتصبى القامة ، باسمى الثغور ، متوردى الوجوه .. ولكن لو رأيهم (اسموديوس) لقال على الفور : « هذا الرجل قد دس له السم منذ ثلاثة اسابيع ، وسوف يموت بعد شهر ! »

وهنا سألته مدام دى فيلفور : « اذن فقد اكتشفوا مرة اخرى اسرار علم السوائل والسموم ، الذى قيل انه فقد في بيروجيا ؟ »

فقال : « نعم يا سيدتى .. وهل تفقد البشرية يوما شيئا ؟ .. ان السموم تحدث اثرها بصفة خاصة في عضو من الجسم دون آخر .. فهناك سم يسبب سعالا مثلا ، والسعال يحدث التهابا في الرئتين ، او شيئا من هذه الامراض المميتة المنصوص عليها في كتب الطب ، وهى وان لم تكن مميتة بطبيعتها فان الاطباء الاغبياء - الذين هم عادة جهلة بالكيمياء - كفيلون بان يزيدوا الداء استفحالا .. ثم يموت المريض الذى قتل ببراعة وفن ، دون ان يصل الى علم العدالة شىء عن الجريمة ! »

فقال الزوجة الشابية وقد اجلسها الانتباه جامدة في مكانها بلا حراك : « هذا امر محيف جدا ، لكنه شائق في الوقت ذاته .. واعترف بانى كنت احسب هذه الاقاصيص من ابتداء القرون الوسطى ! »

فقال الكونت : « انها لكذلك حقا ، ولكن تحسينات كثيرة ادخلت عليها في عصرنا الحاضر .. فما جدوى الزمن بل ما جدوى مكافآت التفوق

والأوسمة والنياشين والجرائد العلمية إذا هي لم تأخذ بيد المجتمع نحو كمال أوفى ؟ .. على أن الإنسان لن يبلغ درجة الكمال المطلق حتى يتعلم كيف يخلق وبهلك ، وهو يعرف كيف بهلك .. وهذه نصف المعركة ! »  
وهنا بدأ على مدام دي فيلفور الانهماك في التفكير ، ثم قالت :

— انه لمن حسن الحظ أن تلك المواد لا توجد وتركب الا عند الكيميائيين ، والا لقتل الناس جميعا بعضهم بعضا بالسم !

فقال الكونت في غير مبالاة : « عند الكيميائيين والمولعين بالكيمياء ! »

واستطردت المرأة وهي تحاول جاهدة التخلص من افكارها الملحة : « تم ان الجريمة مهما يتم تدبيرها ببراعة فانها تبقى آخر الأمر جريمة يعاقب عليها القانون ، وحتى ان أفلت من تركيبها من حكم القانون فلن تغفل عنها عين الله الساهرة .. ان الشرقيين أقوى جنانا منا في مسائل الضمير ، ولا جحيم عندهم .. هذا هو الفارق ! »

فقال : « الواقع يا سيدتي ان هذا شك خليق بأن يراود ذهننا ظاهرا مثل ذهنك ، لكنه لا يلبث أن يتبدد امام المنطق السليم .. فهنالك اشخاص قليلون يعتمد الواحد منهم الى اعتماد سكينه في قلب مخلوق بشري مثله ، او يدس له مثل تلك الكمية التي تحدثنا عنها من الزرنيخ كي يزيله من الوجود ويمحوه محوا .. ومثل هذا القاتل المتوحش يكون شاذا أو غبيا وخارجا على المألوف ، ولكي يبلغ هذه الدرجة من التوحش يجب أن يغلى دمه في عروقه ويرتفع نبضه ، وتستثار مشاعره الى أقصى حد .. ولكن او فرضنا انه استعاض عن الكلمة الخشنة بمرادفها الأكثر نعومة ، وبدلا من أن يرتكب جريمة القتل الفظيعة يكتفي بإبعاد خصمه عن طريقه ببساطة ، دون عنف أو خشونة ، ودون لجوء الى الآلام التي تجعل من الضحية شهيدا ومن المعتدى جزارا .. بل دون دم ، أو تأوهات ، أو هزات عنيفة .. ودون احساس بوطاة اللحظة المروعة الحاسمة ، لحظة ارتكاب الجريمة الفاصلة بين الحياة والموت .. عندئذ يصبح في امكان الشخص أن ينجو من قبضة القانون البشري الذي يقول : ( لا تزعم المجتمع ) .. وتلك هي الطريقة التي يدبر بها الشرقيون هذه الأمور وينجحون فيها ، حيث لا يقيم الناس اعتبارا للزمن ولا يستعجلون النتائج !

فقالت مدام دي فيلفور بصوت منفعل وتنهدة مخنقة : « ولكن .. يبقى هناك عقاب الضمير ! »

فأجاب مونت كرستو : « نعم ، من حسن الحظ أن عقاب الضمير يبقى ، واولا ذلك لكانت الحياة تعسة شقية لا تطاق .. فعلى اثر كل فعل يتطلب اجهاد النفس في التبرير والتخريب يتولى الضمير وحده انقاذنا ، فهو يزودنا بالف عذر وعذر ، يكون قبوله في يدنا وحدنا .. على ان هذه الأعداء التي تفعل فعل السحر في جلب التعاس الى أحفاننا لا تكاد تحدثنا نفعا حين نمثل امام المحكمة كي نحاكم عن جريمتنا ! .. ومن قبيل ذلك مثلا ان ضمير

ريتشارد الثالث خدمه أجل خدمة بعد أن قتل ولدى ادوارد الرابع - فقد راح يلقي في روعه أن هذين الولدين اللذين ورثا عن أبيهما القاضي المستبد مساوئيه وصفاته البغيضة يفان حجر عثرة في سبيل ارتقائه العرش وانقذاه الشعب الإنجليزي من مظالمهما! وكذلك كان ضمير الـ (لدى ماتث) - في رواية شكسبير - خير شفيع لها حين أرادت أن تمنح ابنها - وليس زوجها - عرش البلاد!.. أن الحب الأموى فضيلة عظيمة وحافز قوى ، بل انه من القوة بحيث يبرر أشياء كثيرة!..»

وبقيت مدام دي فيلفور تضحى صامته الى هذه المبادئ والآراء الرهيبة ثم قالت له :

« هل تعلم يا عزيزي الكونت أن لك منطقاً مقنعاً شديداً الخطر ، وانك كيميائي بارع ، فان الدواء الذي أعطيته لابني في ذلك اليوم قد أعاده فوراً الى وعيه!..»

فقال لها : « الواقع أن قطرة واحدة من ذلك الاكسير أعادت الطفل المعنى عليه الى وعيه ، ولكن ثلاث قطرات كانت كافية بأن تقذف الدم الى رثتيه بعنف يحدث سرعة هائلة في نبضه .. وكانت ست قطرات كافية لأن توقف تنفسه وتحدث له اغماء أخطر من الذي أصيب به يومئذ .. أما لو أعطيته عشر قطرات فانها تقتله!.. اولاً تذكرين يا سيدتي كيف اختطفت القارورة من جواره حين لمسها بيده ؟ »

فقلت : « هل كان السائل الذي تحويه سما فظيماً الى هذا الحد ؟ »  
قال : « كلا يا سيدتي!.. ولنبدأ اولاً بالفهم على أن كلمة سم لا وجود لها ، لأن الطب يستخدم اعنف السموم فيجعل منها وفقاً لطريقة استعمالها احسن الادوية وأفضلها للعلاج ! »

فسألته : « اذن ماذا كان السائل الذي بها ؟ »  
فأجاب : « لم يكن سوى مستحضر ناجع الأثر من تركيب صديقي البارون الراهب ( اديلمونت ) الذي علمني طريقة استعماله »

فقلت : « اذن فهو مفيد في معالجة التشنجات العصبية ؟ »  
فقال : « نعم يا سيدتي ، كما رأيت بنفسك .. وأنا أستعمله كثيراً في العلاج ، مع مراعاة منتهى الحذر طبعاً »

فقلت : « الواقع أنني في حاجة الى استشارة مثل الدكتور اديلمونت كي يتدع لي دواء لنوبات الاغماء العصبية التي تنتابني ، فيجعلني اتنفس بسهولة ويهدئ نائرتي وانزعاجي الذي منعه الخوف من أن أموت يوماً محتنقة خلال نوبة من تلك النوبات .. وحتى يتيسر لي ذلك العلاج ، ونظراً الى أن صديقك الراهب قد يكون مستعداً للحضور الى باريس خصيصاً من اجلي ، فاني مضطرة لأن أستمر في استعمال دواء مسبو ( بلانشين ) المضاد للتشنجات ، فضلاً عن قطرات ( هوفمان ) وأقراص النشاع .. واليك بعض الأقراص التي ركبت خصيصاً من اجلي .. »



وفتح الكونت الصندوق الصغير الذي قدمته اليه ، واختبر رائحة الاقراص بمقدرة الهاوى الخبير بما تحوى من مركبات . . ثم قال : « انها قوية الأثر ، ولكن لما كانت تؤخذ من طريق الفم فان تناولها يتعدى على الانسان اثناء اغمائه ، ولهذا افضل عليها دوائى ! »

فقال : « بلا شك ، وأنا ايضا افضله ، بعد ما رايت من قوة تأثيره . . لكنك تعتبره سرا بطبيعة الحال ، ولست من التطفل بحيث اطلبه منك ؟ »

فقال : « لكنى من الشهامة بحيث اتطوع لتقديمه لك يا سيدتى ! »

وبدا السرور والاعتباط في وجه مدام دى فيلفور ، بينما واصل الكونت كلامه فقال :

— ان جرعة صغيرة منه علاج نافع ، اما الجرعة الكبيرة فسم قاتل . . القطرة الواحدة تكفى لرد الحياة الى الجسم كما رايت ، اما خمس قطرات فانها تقتل . . ويزيد في خطورتها انها لو وضعت في كأس من النبيذ مثلا لا تبين لها رائحة مطلقا !



وهنا دقت الساعة السادسة والنصف ، وأعلن الخادم وصول سيده من صديقات مدام دى فيلفور جاءت لتناول العشاء معها . . فقالت ربة البيت لضييفها الكبير :

— لو كانت هذه هي زيارتك الثالثة أو الرابعة يا سيدى الكونت . . ولو كان لى شرف الخطوة بصداقتك ، بدلا من أن تكون لى سعادة العرفان بجميلك فقط . . لأصررت على دعوتك للبقاء وتناول العشاء معنا ، لكنى أخشى أن يشوب رفضك الدعوة الآن صداقتنا فى بدايتها ؟ »

فقال : « اشكرك ألف شكر يا سيدتى . . لكنى فى الواقع مرتبط بموعد لا أستطيع أن اتحلل منه ! »

فقال : « اذن فالى اللقاء ، ولا تنس الدواء . . ! »

فقال : « لن انساه يا سيدتى ، لاني لكى انساه يجب أن انسى الحديث العلى الذى كان بيننا طيلة ساعة كاملة ، وهذا أمر مستحيل فى نظرى ! »

ثم نهض محيا وانصرف ، بينما بقيت مدام دى فيلفور شاردة الفكر لحظة ، تحدث نفسها : « انه رجل غريب الأطوار ، واعتقد انه هو نفسه الطبيب ( اديلمونت ) مبتكر طريقة تركيب الدواء ! »

اما الكونت كريستو فقد فاقت نتيجة المقابلة كل ما كان يرجوه ، فحدث نفسه وهو منصرف من البيت : « هذا بديع . . انها تربة خصبة وأنا واثق ان البذرة التى بذرتها لن تموت ! »

وفى صباح اليوم التالى ارسل قنينة الدواء . . وفاء بوعده !

## اب.. وابن... زائفان!

نهض الكونت دي مونت كريستو لاستقبال ضيفه الغريب وابتسده  
بقوله : « دعني أتذكر : الست المركيز بارتلميو كافالكانتى البكباشى  
بالجيش النمسوى سابقا ؟ لقد أرسلك الاب بوزوني . أليس كذلك ؟ »  
وأوما الضيف موافقا ، وقال وهو يناول الكونت خطابا مغلقا : « وقد  
حملنى الى فخامتك هذا الخطاب ! »

فتناول منه الكونت الخطاب وقرأ فيه : « البكباشى كافالكانتى ، من نبلاء  
( لوتشا ) وسليل أسرة كافالكانتى الشهيرة بفلورنسا . . . يملك إيرادا  
قدره نصف مليون فرنك ، وهو شخص لا ينقصه من أسباب السعادة غير  
أن يسترد ابنه الحبيب الضائع الذى سرق منه فى طفولته اما بواسطة عدو  
له من أسرته النبيلة واما بواسطة الفجر . . . وقد جددت أمله حين ذكرت له  
أن فى مقدورك أن ترد اليه ابنه الذى يبحث عنه دون جدوى منذ خمسة  
عشر عاما ! »

ثم أردف الكونت قائلا : « ان فى مقدورى حقا أن أصنع لك ذلك . . .  
أرد اليك ابنك أندريا ! »

فقال الضابط فى برود تام : « لقد حسبت ذلك . . . ولعله هنا ؟ »  
فقال الكونت : « نعم . . . ولكن ينبغي أن تتمالك عواطفك ريثما أعد  
الشاب للقائك ! »

. . . ثم مضى الكونت الى غرفة جانبية ، حيث كان يوجد شاب أنيق المظهر  
جليل الهيئة ، وصل منذ نصف ساعة . . . فخاطبه بقوله : « اعتقد أنى  
أتحدث الى الكونت اندريا كافالكانتى ؟ »

فكرر الشاب الاسم وراءه وهو ينحنى : « الكونت اندريا كافالكانتى ! »  
- وأنت تحمل خطاب تقديم موجه الى وموقع عليه بامضاء « السنديباد  
البحرى » ، أليس كذلك ؟ . . . انه صديق حميم لى . . . وهو ثرى انجليزى  
ذو شذوذ يبلغ حد الجنون ، واسمه الحقيقى اللورد ويلمور . . . فهلا تكلمت  
بأن تعطينى بعض المعلومات عن نفسك وأسرتك ؟

- بلا شك ، أنا الكونت اندريا كافالكانتى ابن البكباشى بارتلميو  
كافالكانتى سليل أسرة كافالكانتى التى ورد ذكرها فى الكتاب الذهبى  
لمدينة فلورنسا . . . وأسرتنا برغم أنها ما تزال تتمتع بالثراء وايراد أبى يصل

الى نصف المليون - الا انها عانت كثيرا من المتاعب والاحداث السيئة ، فآنا مثلا قد اختطفت في سن الخامسة بمساعدة معلمى الحائن ، بحيث انقضت على منذ ذلك التاريخ خمسة عشر عاما لم أر فيها الشخص الذى كان السبب المباشر فى وجودى ٠٠ ومنذ بلغت رشدى وصرت سيد نفسى لم أتوان عن البحث عن والدى بكل الوسائل ولكن دون جدوى ٠٠ حتى تلقيت أخيرا هذا الخطاب من صديقك المذكور وفيه أن أبى موجود فى باريس ، وأن على أن أتصل بك كى ترشدنى الى المعلومات الخاصة به !

- لقد أحسنت اذ نفذت تعليمات صديقى السندياد البحرى بدقة ، فان أباك موجود هنا حقا ، وهو يبحث عنك كما تبحث عنه !

- حقا ؟ ٠٠؟ هل أبى هنا حقا ؟!

- نعم ، أبوك البكباشى برتلميو كافالكانتى بعينه !

وعندئذ تبدد تعبير الرعب الذى كسا وجه الشاب لدى سماع النبأ لأول وهلة ، ثم قال : « آه يا سيدى ، لقد مضت سنوات طويلة منذ افترقنا ، بحيث لم أعد أذكر شكل أبى على الاطلاق ! »

- سوف تراه الآن ٠٠ انه مليونير ، ايراده السنوى ٥٠٠ ألف فرنك ، سوف يمنحك منها خمسين ألفا كل سنة طيلة مدة بقائك فى باريس ، على أن تتسلم نصيبك الشهرى منها من بنك ( دانجرل ) الذى هو من أكبر البيوت المالية الباريسية

- وهل يعتمزم أبى البقاء فى باريس طويلا ؟

- بضعة أيام فقط ، فان خدمته العسكرية لا تسمح له بالتفيب أكثر من أسبوعين أو ثلاثة على أكثر تقدير !

وهنا بدا على أندريا السرور بقرب رحيل أبيه ٠٠ بينما قال الكونت : « اننى لن أعوق لقاءكما المرتقب وقتنا آخر ، فهل أنت متأهب لمعانقة أبيك؟ ادخل اذن الحجر المجاورة أيها الصديق ، فترى أباك مشوقا الى رؤيتك » وانحنى اندريا للكونت محييا شاكرا ، ثم دخل الحجر ٠٠ أما الكونت فقد انتظر حتى أغلق الشاب الباب وراه ، واذ ذاك مضى هو الى صسورة كبيرة معلقة على الحائط فأزاحها فى رفق حتى انكشفت له وراها ثغرة خفية تسمح للناظر خلالها برؤية ما يدور فى الغرفة المجاورة ٠٠ فرأى الشاب يتقدم نحو الكهل قائلا بصوت عال - تعمد أن يسمعه للكونت فى الحجر الأخرى

- آه ، أبى العزيز ! أهذا حقا أنت ؟

فقال الضابط فى لهجة الجد : « كيف أنت يا ابنى العزيز ؟ »

وعندئذ أردف الشاب وهو يأخذ ذراع الضابط فم ذراعه كمن يعرفه منذ زمن : « أيها العزيز مستر كافالكانتى ، كم دفعوا لك كى تمثل دور أبى ؟ انى سأصارعك بسرى كى تصارحنى بسرك ، انهم يدفعون لى

خمسین ألف فرنك في السنة كي أكون ابنك !

ـ وأنا بدوري يدفعون لي مثل هذا المبلغ لأمثل دور أبيك !

.. واختار الكونت هذه اللحظة كي يدخل الحجره . فلما سمعا مقبض الباب يفتح ألقى كلاهما نفسه في أحضان الآخر وراحا يتبادلان القبلات .. وفي خلال عناقهما دخل الكونت فابتدئهما بقوله : « والآن أيها السيدان طاب يومكما ، فاني منصرف ! »

فتساءل كافالكانتي : « متى يكون لنا شرف رؤية فخامتك مرة أخرى ؟ » فأجابته : « يوم السبت . اذا شبتما .. وسوف أتناول العشاء في منزلي في ( أونوى ) شارع النافورة رقم ٢٨ . وقد دعوت كثيرين ، بينهم مسيو دانجلر . ويسرني أن أعرفكما اليه فهو الذي سيدفع لك يا أندريا مرتبك الشهري ! »  
وعندئذ انحنى الاثنان للكونت مودعين . ثم غادرا المنزل !

### وصية مشاول

مشي مكسمليان موريل الى خديفة دار مسيو دي فيلفور . وقد سادها السكون وحجبته اشجار الكستناء العالية المحيطة بها عن الانظار . ولبت بعض الوقت قلقا يترقب ظهور فالتنين دي فيلفور من بين الاشجار . ويرهب سمعه ليسمع وقع خطاها فوق الممشى المبروش بالخصى .. ولم تمض دقائق حتى أقبلت فالتنين للقاءه . ووقفت ازاءه يفصل بينهما سور الحديقة المرتفع ثم ابتدرته قائلة : « طاب مساؤك يا مكسمليان . أعلم أني تركتك تنتظر ، لكن أوجيني دانجلر كانت معي فعاقنتني . كانت تحدثني عن نفوذها من الزواج من مسيو دي مورسيرف . فصارحتنا أنا أيضا بنفوري من فكرة الزواج من مسيو ديبيناي ! »  
فسألتها : « هل الانسة دانجلر تنفر من الزواج بالمسيو مورسيرف لانها تحب شخصا آخر ؟ »

فأجابت : « كلا ! فقد ذكرت لي أنها لا تحب أحدا . وأنها تعارض الزواج ذاته ، وتفضل أن تعيش حرة بلا قيود .. حتى انها لتتمنى أحيانا أن يفقد أبوها ثروته كي تحترف الفن مثل صديقتها الانسة لويز دارميني .. لماذا تبتسم ؟ »

ـ دعنا من اصاعة وقتنا في الحديث عنها . فاني أريد أن نتحدث عنك أنت !

ـ هذا صحيح ، ويجب أن نسرع ، فليس أمامنا غير عشر دقائق نقضيها معا .. نعم أنت على حق ، فليست سوى صديقة فقيرة لك . وآية حياة أفرضها عليك يا عزيزي المسكين مكسمليان . أنت الذي خلقت للسعادة !  
اني لألوم نفسي لوما مريرا !!

— ما هذا الذي تقولين يا فالنتين ؟ وماذا يهيك من الأمر ما دمت أنا  
قائما بهذه الحال ، وما دمت شاعرا بأن لقاءك ولو لحسن دقائق ، وسماع  
بضع كلمات من فمك العذب يعوضاني حتى عن هذا الانتظار الطويل  
الواجب ؟ . انى لا اعتقد اعتقادا جازما أن السحباء ما كانت لتخلق قلبين  
متسجمين مثل قلبينا ، وتسمح لنا — بمعجزة — بأن نشأ معا ، لو أنها  
كانت تريد أن تفرق بيننا آخر الأمر !

— كلماتك رقيقة ومشجعة يا مكسمليان . . انها سوف تمنحني على الأقل  
سجادة جزئية !

— ولكن ما الذي يلجئك الى أن تفارقيني هكذا سريعا ؟

— لست أدري التفصيلات بالضبط ، وكل ما أعرفه أن مدام دي فيلفور  
قد أرسلت في طلبى لأمر يتعلق بجزء من ميراثي . . ليتهم يأخذون ثروتى  
فليست بى حاجة اليها . ولعلمهم لو أخذوها . يكفون عن ازعاجى ويتركوننى  
فى سلام وسكينة . . وانى لعلى يقين من أنك تحبني حينذاك مثلما تحبني  
اليوم ، أليس كذلك يا مكسمليان ؟

— انى أحبك دائما ! . . وماذا يهمنى من الغنى أو الفقر ما دامت حبيبتى  
فالنتين بجانبى ؟ . . آه كنت أوشك أن أذكر لك أنتى قابلت مسيو  
مورسيرف منذ أيام ، وكان قد تلقى خطابا من صديقه دابيناي يخبره فيه  
بأنه عائد توا

وهنا شحوب وجه فالنتين وانكأت بيدها على سور الحديقة قائلة :

— رباه . . لو كان الأمر كذلك . . . . . ولكن لا . . ان المفاوضات قد  
لا تاتى من طريق مدام دي فيلفور . فقد خيل الى أنها عارضت ذلك الزواج ،  
وان لم تشأ أن تصرح بذلك علانية !

— أظن أنها تعارض زواجك من مسيو دابيناي وحده . . أى أنها سترحب  
بأى اقتراح آخر ؟

— كلا يا مكسمليان . انها تعارض فكرة الزواج ذاتها . . وحين فكرت  
منذ نحو عام فى أن أعزل الدنيا وألجأ الى أحد الأديرة ، سمعت خفية الى  
تنفيذ هذه الفكرة ، بل لقد أقنعت أبى بقبولها ، ولولا توسلات جدى  
المسكين لنفدت عزمى يومذاك . . انك لا تستطيع أن تتخيل التعبير الذى  
يبدو فى عيني الشيخ الفانى حين ينظر الى . أنا المخلوق الوحيد الذى يحبه  
ويبادل له الحب !

— حبيبتى فالنتين . . انك ملاك كريم . ولست أدرى أى عمل طيب  
عملكه حتى أستحق منك حبك وثقتك ؟ . . ولكن حديتى بربك . أية  
مصلحة لمدام دي فيلفور فى أن تبقى أنت بغير زواج ؟

— ألم أقل لك منذ لحظة اننى غنية ، وغنية جدا . . لقد ورثت عن أمى

ما يدر على سنويا نحو خمسين ألف ريال ، فضلا عن ايراد مماثل سوف  
يتركه لى جدى وجدتى - لأمى - المركز والمركيزة دى سانت ميران ٠٠  
وفضلا عما يعتمزه مسيو نوارتييه - جدى لأمى - من جعلى وريشته الوحيدة  
٠٠ وهكذا يصبح أخى ادوار - الذى لن يرث شيئا عن أمه - فقيرا بالنسبة  
لى ٠٠ أما لو دخلت الدير فسوف تؤول كل ثروتى هذه الى أبى ، ثم الى أخى  
ادوار ، ابنها !

- ما أغرب أن تكون بهذا الطمع امرأة مثل مدام دى فيلفور !

- انها لا تحب المال لنفسها بقدر ما تحبه لابنها ٠٠ وما تعتبره أنت  
رذيلة يغدو فضيلة من وجهة نظر الحب الأموى ٠٠ هل تسمع ٠٠٩ انهم  
ينادوننى !

ثم سعدت فالتبتن فوق مقعد خشبى ومدت يدها الى جيبها من خلال  
السور ، فتلقى مكسمليان اليد الممدودة نحوه بغبطة ونشوة فائقتين ، ثم  
طبع عليها قبلة حارة تذكيها العاطفة ٠٠ واذ ذاك ارتدت اليد الى داخل  
السور ، ثم رأى الشاب محبوبته تهرع عائدة الى المنزل !



فى الوقت الذى جرى فيه ذلك الحديث بين فالتبتن ومكسمليان كان  
المسيو دى فيلفور وزوجته قد دخلا حجرة أبيه مسيو نوارتييه ٠٠ وبعد أن  
أوماً بالتحية الى الشيخ المسن المشلول ، وقفا بجانبه يتحدثان مع (باروا)  
الذى قضى فى خدمته خمسة وعشرين عاما

وكان المسيو نوارتييه قد انتهت حياته العامة والسياسية بوصفه من  
حزب نابليون منذ انفجر أحد الأوعية الدموية فى مخه ، فقضى عليه بأن  
يظل بقية حياته حبيس مقعده المريح ذى العجلات الذى كان يوضع طيلة  
النهار فى مواجهة امرأة كبيرة يستطيع المريض أن يرى أكثر أجزاء المسكن  
منعكسة على صفحتها ، كما يرى كل شخص يدخل الحجرة وكل شىء يدور  
حولہ !

وبرغم ان مسيو نوارتييه كان فى جلسته أشبه بالجثة الهامدة ، فقد  
ألقى على الداخلين نظرة سريعة ذكية ، أدرك بها من طريقتهما الحائرة فى  
تحيته أنهما جاءا ليتحدثا اليه فى أمور مالية ذات طابع هام ٠٠٠ ولم يكن  
قد بقى للمسكين من حواسه غير حاستى النظر والسمع ، اللذين تركز  
فيهما كل نشاطه وحدة ذهنه ، فصارت النظرة منه تغنى عن حركة الذراع  
ونبرة الصوت ومرونة الجسم ، فى التعبير عما يريد أن يفصح عنه ٠٠ ولو  
أن لغته هذه لم يكن يفهمها بوضوح غير أشخاص ثلاثة : ابنه دى فيلفور ،  
رحفيدته فالتبتن ، وخدامه باروا ٠٠!

وكان دى فيلفور قد أرسل ابنته الى الحديقة ثم أشار الى الخادم باروا



« ومدت فالتين يدها الى مكسمليان من خلال السور ، فطبع عليها قبلة حارة »

بمغادرة الحجرة ، وجلس بعد ذلك عن يمين أبيه المشلول ، بينما جلست زوجته الى يساره .. واستهل حديثه بقوله : « اننا تفكر في تزويج فالنتين يا أبى .. وسوف يتم الزواج فى مدى ثلاثة أشهر »

.. وهنا أضافت مدام دى فيلفور : « لقد كنا واثقين من أن هذا النبأ سوف يفزحك ، ولاسيما أنك تخص فالنتين بحبك وحنانك .. ولم يبق الا أن نذكر لك اسم الشخص الذى وقع عليه اختيارنا : انه شاب يملك الثروة الطائلة ، والمكانة الرفيعة فى المجتمع ، وكل الصفات الكفيلة باسعاد فالنتين .. وهو ليس بالشخص الذى تجهله أنت تماما ، انه فرانز دى كينيل ، بارون ديبيناي !

وبدا الغضب فى عيني نوازتيه، واحتبست فى حلقة صيحة حنق وحرز، بينما استطردت المرأة : « وهذا الزواج يصادف هوى من نفس المسيو ديبيناي نفسه وأسرته ، وأقرب الاحياء من أقربائه اليه هما عمه وعمته - فقد ماتت أمه عند ولادته وقتل أبوه سنة ١٨١٥ ، أى بعد سنتين من موت أمه - وهكذا يمكن القول بأن الفتى نشأ سيد نفسه وليس لأحد سلطان على رأيه أو اختياره لشريكة حياته »

وأردف فيلفور قائلا : « ان مصرع أبيه كان مأساة غامضة ، وقد نجنا القتلة من العقاب ، وان حامت الشبهة حول أكثر من واحد ! »  
ثم عادت الزوجة فقالت : « والآن يا سيدى أستأذنك فى الانصراف .. هل تريدنى أن أرسل اليك ادوارد ليؤنسك بعض الوقت ؟ »

فحرك الشيخ المشلول أهداب عينيه مرات ، علامة الرفض .. وعندئذ سألته المرأة : « اذن .. هل أرسل اليك فالنتين ؟ » فأغمض عينيه ، علامة القبول !

وهنا انحنى له الزوجان وغادرا الغرفة ، بعد أن أوصيا الخدم باستدعاء فالنتين تلبية لرغبة جدما ، وكانا يعلمان أنها ستجد عناء كبيرا فى تهدئة تأثرته !..

دخلت فالنتين بعد خروج أبيها وزوجته من الحجرة بقليل ، وأدركت من أول نظرة الى جدما أنه قلق ، وأن فى ذهنه كلاما كثيرا يريد أن يفضى به اليها .. فصاحت جزعة : « جداه ! ماذا حدث ؟ هل حدثناك عن تزويجى ؟ »

فأجابها الرجل بنظرة غاضبة : « نعم »

- أنك لا تحب مسيو ديبيناي ؟

فأجبتها عيناه : « لا ، لا ، لا !.. »

وعندئذ ارتمت الفتاة على ركبتيها وأحاطت رقية جدما بذراعيها قائلة : « وأنا أيضا لا أحب ! .. فلمعت فى عيني الشيخ نظرة فرح !

ثم سألته : « هل تعتقد أنك تستطيع مساعدتى يا جدى العزيز ؟ »



فأغمض عينيه مرات يعنى أنه يستطيع هذه المساعدة ، ثم رفع بصره الى السماء اشارة الى أنه يريد شيئاً ، فسألته فالتنن : « ماذا تريد يا جدى العزيز ؟ » . ثم راحت تردد على مسمعه الاشياء التى رجحت أن تكون مبتغاه ، لكنه أجابها عن كل منها باشارة الرفض من عينيه . ففكرت فى تجربة طريقة أخرى ، وبدأت تسرد عليه الحروف الابجدية بالترتيب ، حتى أبدى حركة الموافقة عند نطقها بحرف « الميم » . فقالت جذلة : « اذن فالشيء الذى تريده يبدأ اسمه بحرف الميم . ترى : هل ميمه مفتوحة ؟ أم مكسورة ؟ أم مضمومة . واذا أدركت من نظرته أنه يريد شيئاً يبدأ بحرف الميم المضمومة ، نهضت وأحضرت قاموساً وراحت تنقل أصابعها بين كلمات الميم المضمومة فيه ، الى أن أوماً جدها بعينه موافقا عند كلمة « مسجل عقود » . فدفقت الفتاة الجرس وطلبت استدعاء أحد مسجل العقود . ! . .

وبعد ثلاثة أرباع الساعة ، دخل « باروا » وبصحبه مسجل العقود المطلوب . ثم دخل فى أعقابهما مسيو فيلفور ، وبعد تبادل التحيات التقليدية قال الابن يحدث المسجل :

— ها أنت ذا ترى الشخص الذى أرسل فى استدعائك . ان جميع أعضاء جسمه مصابة بالشلل ، حتى صوته . ونحن نجد صعوبة كبيرة فى فهم ما يريد أن يقول »

وهنا أوماً المريض الى حفيدته بنظرة آمرة ، فهمت قصده منها ، فقالت للمسجل على الفور : « سيدى ، انى أفهم كل ما يريد جدى أن يقوله »

فأجابها المسجل : « لكى تكون الوصية نافذة ، ينبغى أن أستوثق من رغبات موكلى . ان عجز الجسم لا يؤثر فى صحة التصرف ، اذا كان العقل سليماً ! »

فقالت له الفتاة : « سوف ترى يا سسيدي أن جدى مالك لجميع قواه العقلية ونشاطه الذهني . . . وفى وسعك أن تتفاهم معه بالطريقة التى أتفاهم بها أنا معه . انه فى مقام الموافقة يغمض عينيه ، وفى مقام الرفض يحرك أهدابه عدة مرات . . . والآن تستطيع أن تتفاهم معه بسهولة ! »

وهنا نظر الجد الى حفيدته نظرة شكر وامتنان لم تعب عن فطنة المسجل نفسه ، فقال يسأله : « لقد سمعت وفهمت ما قالت حفيدتك ، فهل توافق على مغزى الاشارتين اللتين تحدثت عنهما ، كوسيلة للتعبير عن آرائك ؟ » ولما أغمض الشيخ عينيه علامة الموافقة ، التفت المسجل الى المسيو دى فيلفور قائلاً :

— انها طريقة شاذة فى التفاهم ! . . .

فقال هذا منتهزاً الفرصة : « نعم ، وأعتقد أنها ستكون شاذة فى تسجيل الوصية ، فلست أفهم كيف يمكن ذلك بلا تدخل من فالتنن ، ولعل لها

مصلحة في الوصية تجعلها لا تصلح مفسرة لائحة للتعبير عن رغبات جدها الغامضة غير الصريحة ! »

وهنا حرك المشلول أهديه محتجا ، فسأله دي فيلفور : « ماذا تعنى يا أبى ؟ » اليس لفالنتين مصلحة في الوصية ؟ »

وأما الشيخ نافيا أن لها مصلحة فيها ، فقال مسجل العقود لدى فيلفور : « سيدى ٠٠ أن ما بدا لي مستحيلا منذ ساعة واحدة قد صار الآن ميسورا معقولا ، وسوف تكون الوصية شرعية نافذة اذا قرئت في حضور سبعة من الشهود وقرأها الموصى وسجلها المسجل أمام الشهود ! »

ثم التفت الى الشيخ الموصى وسأله : « هل تعرف مقدار ثروتك بالضبط ؟ » فلما أجاب باغماض عينيه دلالة على الموافقة واصل المسجل كلامه فقال :

— سأذكر لك عدة أرقام ، فاذا بلغت الرقم الصحيح فعليك أن تنبهني بإشارة الموافقة ٠٠ هل ثروتك ٣٠٠ ألف فرنك ، كلا ؟ ٠٠؟ اذن هي ٤٠٠ ألف ؟ ، تقول : كلا أيضا؟ ٠٠ اذن هي ٦٠٠ ألف ؟ ٧٠٠ ألف ؟ ٨٠٠ ألف ؟ ٩٠٠ ألف ؟

وهنا أشار المسيو نوارتييه اشارة الموافقة ، فكرر المسجل سؤاله :  
— هل تملك ٩٠٠ ألف فرنك ؟ حسنا ٠٠! وهل هي عقارات ؟ كلا ؟ اذن أسهم وسندات ؟ حسنا يا سيدى ، وهل الاسهم في حيازتك ؟  
وهنا نظر نوارتييه الى خادمه ( باروا ) نظرة فهم الاخير معناها فخرج من الحجره ثم عاد بعد حين يحمل صندوقا صغيرا ٠٠ فسأل المسجل الموصى :  
« هل تسمح لنا بفتح هذا الصندوق ؟ »

فأغمض المشلول عينيه علامة الموافقة ٠٠ فلما فتحوا الصندوق وجدوا فيه أسهما وأوراقا مالية قيمتها ٩٠٠ ألف فرنك بالضبط ، فقال المسجل :  
— واضح أن المسيو نوارتييه محتفظ بقواه العقلية ونشاطه الذهني كاملا !

ثم التفت الى الموصى يسأله : « الى من تريد أن تترك هذه الثروة ؟ »  
٠٠ فقالت مسدام دي فيلفور مقاطعة : « أوه ! ليس ثمة شك كبير في هذا الصدد ، فان مسيو نوارتييه يحب حفيدته الأنسة دي فيلفور  
وهنا التفت المسجل يسأل نوارتييه : « اذن فأنت تترك هذه الثروة لحفيدتك الأنسة دي فيلفور ؟ »

وتأهب المسجل لان يسجل موافقة الموصى على ذلك ٠٠ وكانت فالنتين خلال ذلك قد انزوت في أحد أركان الغرفة وأطرقت تبكي ٠٠ فنظر جدها اليها نظرة تفيض رقة وعطفا ٠٠ ثم حرك أهديه مرات ، علامة الاجابة عن سؤال المسجل بالنفى !

وكانت مفاجأة ٠٠ بدها سؤال المسجل للموصى : « اذن ، هل تبغى

ترك ثروتك لحفيدك ادوار دى فيلفور ؟ »  
لكن الشيخ حرك أهدابه أيضا بما ينم عن الرفض البات !  
فعاد المسجل يسأله : « أترفض ذلك أيضا ٠٠؟ اذن ربما يكون قصدك  
الايضاء بثروتك لابنك مسيو دى فيلفور ٠٠؟ ولا هذا أيضا ؟ »  
وهنا انتقلت نظرة المشلول بسرعة من فيلفور وزوجته ، الى حيث  
استقرت على يد فالنتين ٠٠ فسألته فى دهشة :  
- يدى ٠٠؟ نعم ٠٠؟ ثم صاحت الفتاة : « آه ، فهمت ٠٠ أنت تقصد  
زواجى ، أليس كذلك يا جدى العزيز ؟ »  
فكر الجداشارة الموافقة ثلاث مرات ، وهو ينظر الى حفيدته نظرة  
عرفان بالجميل لكونها فهمت مراده ٠٠ بينما قال فيلفور : « حقا ان هذا  
أمر شاذ للغاية ! »  
فأجاب المسجل : «اسمح لى يا سيدى أن أقول ان الأمر على العكس ،  
فالمنى الذى يقصده المسيو نوارتييه واضح تماما فى نظرى ، وفى وسعى  
أن أربط تسلسل الافكار التى تدور فى ذهنه بسهولة ! »  
وهنا سألت فالنتين جدتها : «أنت تريدنى ألا أتزوج من مسيو ديبيناي؟»  
فأجابتها ايماءة عين جدها مؤمنة على كلامها  
وعندئذ استطراد المسجل يسأله : «وأنت تبغى تجريد حفيدتك من الارث  
لانها خطبت الى رجل بلا موافقة منك ٠٠؟ حسنا ٠٠! هل اذا عدلت الفتاة  
عن الزواج من ذلك الرجل تصبح وريثتك الوحيدة ؟ »  
فأوسا الشيخ المشلول موافقا !  
ثم ساد صمت عميق ، قطعه المسجل مستطرادا :  
- كيف تبغى أن توزع ثروتك فيما لو أصرت الانسة دى فيلفور على  
الزواج من مسيو فرانز ٠؟ هل تريد تخصيصها للاعمال الخيرية ؟ نعم ٠٠؟  
لكنهم قد يشيرون نزاعا حول تنفيذ الوصية بعد وفاتك ؟ كلا ؟  
وهنا تدخل فيلفور فى المناقشة قائلا : « ان أبى يعرفنى ويثق من أن  
رغباته سوف تعتبر مقدسة فى نظرى ٠٠ ثم انه يدرك تماما أنى بحكم  
مركزى لا أستطيع اتخاذ موقف عدائى نحو الطبقات الفقيرة ! »  
وهنا ومضت عيننا نوارتييه ببريق الانتصار ٠٠ فسأل المسجل دى  
فيلفور : « وماذا تعتزم اذن يا سيدى ؟ » فأجاب هذا : « لا شىء ٠ لقد  
اتخذ أبى قرارا وأنا أعلم أنه لا يغير رأيه مطلقا ، فلم يبق أمامى غير الازعان  
٠٠ ثم غادر دى فيلفور الغرفة على الأثر ، مصحوبا بزوجته ، تاركين  
للمشلول أن يفعل ما يشاء ٠٠!  
وفى اليوم نفسه سجلت الوصية بحضور الشهود ، وأقراها الموصى ،  
وختمت أمام الجميع ثم سلمت الى مسيو «ديشان» المشرف على تنفيذ وصايا  
الأسرة

## مناورات في البورصة

غادر الكونت دي مونت كريستو باريس في اليوم التالي لتسجيل الوصية، متخذاً الطريق المؤدى الى « أورليان » ، فبلغ برج « مونتيري » الواقع في أعلى بقعة من السهل المعروف باسمه .. وعند سفح التل ترجل الكونت وبدأ يتسلق ممراً ملتوياً يؤدي الى حديقة صغيرة .. حتى وجد نفسه وجهاً لوجه أمام رجل في نحو الخمسين من عمره يقطف ثمار « الفراولة » ويضعها على أوراق العنب .. فابتدره الكونت قائلاً وهو يبتسم ابتسامته تنم عن الشعور بالعطف : « هديء من روعك يا صديقي .. أنى لست مفتشاً، بل سائحاً حضر مدفوعاً بفضول يكاد يأسف الآن عليه اذ يراك توشك ان تضع جانباً من وقتك معه »

فقال الرجل : « هل حضرت يا سيدي لتري البرقية ؟ »  
فقال الكونت : « نعم .. اذا لم يكن ذلك مخالفاً للقواعد .. لقد قيل لى انك انت نفسك لا تفهم دائماً الاشارات التي تكررهما . »  
فاجاب الرجل وهو يبتسم : « هذا صحيح يا سيدي ، وهذا ما افضله ، لانه يريحنى من المسئولية ويجعلنى اشبه بالآلة لا أكثر ولا اقل .. وما دمت اعمل فلن يطلب منى أحد شيئاً آخر ! »  
وصعدا الى غرفة البرق ، في الطابق الثالث ، فنظر الكونت الى المقبضين الحديدين اللذين تدار بهما الآلة ، ثم قال : « هذا امر مسل للغاية ، وهل انت حقاً لا تفهم شيئاً من هذه الاشارات ؟ »  
فقال الرجل : « هناك اشارات توجه الى خاصة . وهى دائماً تتكرر ، دون تغيير ما ، ونصها : (لا جديد .. أمامك ساعة .. او غداً) .. وهكذا ترى انى لا يمكن ان افهم شيئاً مطلقاً من هذه الاشارات ؟ »  
فقال الكونت : « هذا امر بسيط ، ولكن انظر .. ألا يخاطبك مراسلك الآن ؟ .. ماذا يقول ؟ هل فهمت شيئاً ؟ »

فقال الرجل : « انه يسألنى انا مستعد ؟ . ومتى اجبته بالاشارة التى تنبىء باستعدادى ، فان مراسلى - الذى الى اليمين - يفهم ذلك ايضاً، بينما مراسلى الذى الى اليسار ياخذ أهفته بدوره ! »  
فقال الكونت : « انه ابتكار ينم عن الذكاء الخارق ! »  
فقال الرجل مزهواً : « سوف ترى .. انه سيتكلم خلال خمس دقائق »  
وهنا حدث مونت كريستو نفسه قائلاً : « امامى اذن خمس دقائق .. »

انها اكثر مما يلزم .. « ثم استطرد يسأل الرجل :  
— هل أنت شغوف بفلاحة الحدائق يا سيدي ؟ ، وهل يسرك أن يكون لك  
بدلا من هذه الحديقة التي طولها عشرون قدما بستان مساحته فدانان ؟ »  
فقال الرجل : « انى لكفيل بأن اجعل منها جنة ارضية ! »  
فقال الكونت : « اذن .. أنت توافق لقاء هذا على تغيير بسيط أرده في  
رسالة مراسلك ؟! »

فتساءل الرجل : « ماذا تعنى يا سيدي ؟ .. ان هذا لا يمكن أن يحدث  
ما لم تقهرنى على القيام به ! »  
فقال الكونت : « اعتقد أن في وسعى أن أقهرك ! »

ثم أخرج ما جيبه ظرفا ، مديده به الى الرجل قائلا :  
— هالك خمسة وعشرين الف فرنك ، تستطيع أن تشتري بخمسة آلاف  
منها منزلا صغيرا جميلا تحيط به أرض مساحتها فدانان ... وبقية المبلغ  
تدر عليك ايرادا سنويا قدره الف فرنك !  
— منزل له حديقة مساحتها فدانان ؟ . وماذا يطلب منى أن افعل مقابل  
ذلك ؟

— لا شيء سوى ان ترسل هذه الاشارات الى وزير الداخلية !  
وأخرج مونت كريستو من جيبه ورقة كتب عليها ثلاث اشارات موضع  
امام كل منها رقم ترتيبها بالنسبة الى الاشارتين الاخيرين !  
وبعد حوار قصير ، نفذ الرجل ما طلب منه وقد احتقن وجهه وتصيب  
العرق من جبهته ، وارسل الاشارات الثلاث الى وزير الداخلية كما طلب  
الكونت !

وبعد وصولها الى الوزير بخمس دقائق ، أمر سكرتيره « دبراى » باعداد  
عربته وهرع الى منزل « دانجلر » .. وحين لم يجده في البيت سأل زوجته  
البارونة : « هل يملك زوجك أسهما اسبانية ؟ »  
فقالت : « اعتقد ذلك .. وأذكر ان عنده منها ما قيمته ستة ملايين من  
الفرنكات !

— اذن يجب أن يبيعها فوراً بأى سعر ، فلقد فر « دون كارلوس » من  
« بورج » وعاد الى اسبانيا !

وهرعت البارونة الى زوجها ، الذى هرع بدوره الى وكيله . وأمره ببيع  
تلك الاوراق المالية فوراً بأى ثمن .. وحين رأى في البورصة ان دانجلر يبيع  
ما عنده هبط سعر الاسهم الاسبانية في الحال .. وقد خسر دانجلر في البيع  
خمسائة الف فرنك ، ولكنه تخلص من جميع أسهمه الاسبانية .. وفي  
الليلة نفسها ، نشرت جريدة « لوميساجير » النبأ التالي :

« من مراسلنا بالبرق : غافل الملك دون كارلوس حراسه في «بورج» وعاد  
الى اسبانيا مخترقا حدود قطلونيا ، فهبت برشلونة لمؤازرته ونصرته ! »

وفي تلك الامسية لم يكن للناس من حديث غير بعد نظر دانجلر وحظه المواتى الذى جعله يبيع كل أسهمه الاسبانية قبل انهيار اسعارها بساعات ، فلم يخسر فيها غير خمسمائة الف فرنك ، بينما خسر الذين لم يبيعوا أسهمهم والذين اشتروا أسهمه خسارة مروعة تجعلهم في عداد المفلسين !  
وفي صباح اليوم التالى نشرت صحيفة « لومنتيور » التأكيد التالى :

— لم يكن للنبأ الذى نشرته « لوميساجير » أمس عن فرار الملك دون كارلوس من منفاه والثورة التى شبت في برشلونة أى نصيب من الصحة . . فالملك ما زال في « بورج » لم يبرحها ، وشبه الجزيرة ينعم بسلام وسكينة تامين . . وقد نتج الخطأ عن رسالة برقية أسوء تفسيرها بسبب الضباب الذى كان منتشرًا أمس !

وعلى اثر نشر هذا التأكيد عادت أسعار الاسهم فارتفعت الى أكثر مما كانت قبل الهبوط ، فبلغت خسارة دانجلر من البيع مليون فرنك !  
وما وافت الساعة الخامسة مساء حتى وصل الكونت دى مونت كريستو الى منزله الريفى في « أوتوى » ، يتبعه « على » خادمه العربى الامين . . وفي تمام الساعة السادسة سمع وقع حوافر جواد عند مدخل البيت . . وكان « مكسيميليان موريل » هو الفارس القادم !

وفي اللحظة نفسها وصلت عربة تجرها جواد مطهمة يحف بها جوادان آخران يمتطي صهوتهما رجلان ، هبط أحدهما — وكان « دبراى » سكرتير وزير الداخلية — وتقدم نحو باب العربة ففتحه ومد يده لراكبتها البارونة ، فأخذت يد الشاب بطريقة لم تغب عن فطنة الكونت دى مونت كريستو . ثم لاحظ الكونت ايضا أن البارونة دست في يد الشاب ورقة صغيرة ، وقد فعلت ذلك في يسر وسهولة ، شأن المرأة التى ألفت هذه المناورات !

وفي أعقاب البارونة هبط دانجلر من العربة وقد شحب وجهه كأنه خارج من قبره لا من عربته !

ثم أقت البارونة على الفناء المحيط بها وعلى واجهة المنزل نظرة استطلاع سريعة لم يغب مغزاها على الكونت ، وراحت تصعد السلم وهى تجمع انفعالها جاهدة !

وعلى اثر ذلك أعلن رئيس الخدم وصول « البكباشى بارتلميو كافالكانتى » و « الكونت اندريا كافالكانتى » . . ودخل الاثنان يختلان في ثيابهما الجديدة الابنية !

وفجأة شحب وجه « برتوشيو » وكيل الكونت دى مونت كريستو ، حين وقع بصره من خلال باب الدخول المفتوح على مصراعيه ، على المرأة التى تصعد السلم ، فهتف هامسا لسيدة : « رباه ! . . هذه المرأة ذات الثوب الابيض والجواهر الثمينة . . ! »

فساله سيده : « مالها ؟ . . انها مدام دانجلر ! »  
— لست أعرف اسمها ، لكنها هى بعينها العشيقة التى رأتها فى هذه

الحديقة بالذات ليلة الجريمة .. المرأة التي كانت تنتظر مولودا ، والتي رايتها  
من خلال السور تتمشى بين الاشجار في انتظار ...  
- في انتظار من ؟

وثقل لسان بورتشيو في حلقة ووقف شعر رأسه فرعا ، وهو يحملق في  
الداخلين ويشير نحو المسيو دى فيلفور كما يشير الى شبح قائم من بين  
القبور : « في انتظار هذا .. اذن فانا لم اقتله ؟ »

فقال له الكونت : « طبعاً ما دمت تراه حيا امامك الآن فانت لم تقتله ! .  
انك قد طعنته بين الضلعين السادس والسابع ، حسب ما لوف عادتكم ايها  
القرويون ، في حين كان ينبغي ان تطعنه في مكان يعلو أو يهبط قليلا عن ذلك  
الوضع .. فان هؤلاء المحامين يتشبثون بالحياة أكثر من سواهم ! .. والآن  
انظر الى المسيو اندريا كافالكاتى ، الشاب ذى السترة السوداء .. ! »

وكاد بروتوشيو يصرخ دهشة ، لو لم تسكته نظرة حازمة من سيده ،  
فاكتفى بأن غمغم « بنديتو ! » .. واذ ذاك قال له الكونت متجاهلا كل  
ما مضى : « الساعة الآن السادسة والنصف ، وقد امرت باعداد العشاء في  
هذه الساعة ، ولست أحب الانتظار ! » .. ثم تركه وعاد الى ضيوفه ، بينما  
استند بروتوشيو الى الجدار حتى تمالك نفسه فمضى متجها الى غرفة الطعام  
وبعد خمس دقائق فتح بروتوشيو باب القاعة المفضى الى الصالون على  
مصراعيه وصاح : « العشاء معد ! »

وهنا نهض الكونت دى مونت كريستو فقدم ذراعه الى السيدة  
دى فيلفور ، وقال يخاطب زوجها : « هل لك ان ترافق البارونة دانجلر  
الى المائدة ؟ »

وبعد الفراغ من العشاء الفاخر ، تناول الكونت دى مونت كريستو ذراع  
البارونة دانجلر وقادها ودى فيلفور الى الحديقة ، حيث وجدوا دانجلر  
يتناول قدحا من القهوة وقد جلس بين كافالكاتى الاب وكافالكاتى الابن ..  
فقال الكونت بعد أن مهد لحديثه :

- لكم ان تصدقوني او لا تصدقوا .. لكنى اعتقد ان جريمة ما قد ارتكبت  
في هذا المنزل ! »

فهتفت السيدة دى فيلفور : « خذ حذرک ، فان قاضى التحقيق هنا ! »  
فاجاب الكونت على الفور : « اذا كان الامر كذلك فسأنتهز فرصة  
وجوده كى اعلن ما عندي امام شهود .. تعالوا من هذا الطريق يا سادة ،  
تعال يا مسيو دى فيلفور ، فان ما سأعلنه ينبغي ان يعلن في مواجهة  
السلطات المختصة ! »

ثم أخذ ذراع دى فيلفور من ناحية ، وذراع البارونة دانجلر من الناحية  
الاخري ، وقادهما الى ظل احدى الاشجار الكثيفة ، فتبهما الباقون .. ثم  
قال الكونت فجأة وهو يديق الارض بقدمه :

- هنا .. في هذه البقعة بالذات ، كان يستانى يحفر الارض كى يزودها

بتربة جديدة خصبة تعين هذه الأشجار القديمة على الازدهار ، فعثر على هيكل صندوق صغير من الحديد ، بداخله بقايا جثة طفل وليد !  
وأحس الكونت دي مونت كريستو بذراع البارونة دانجر يتصلب ، وذراع دي فيلفور يرتجف ، بينما تساءل البكاشي كافالكاتني في براءة : « وبماذا يقضى القانون هنا على قتلة الاطفال الحديثي الولادة ؟ »  
فأجابه دانجر : « بالاعدام طبعاً ! »

وإذ رأى الكونت أن الشخصين اللذين أعد من أجلهما هذا المشهد يعجزان عن تحمل وطأته ، ورغبة منه في أن يتدارك الأمر عند هذا الحد مؤقناً ، قال في بساطة متقنة :

— هيا أيها السادة تناول القهوة ، لقد كدنا نساها !

ولم يتكلم أندريا الا قليلاً خلال العشاء ، فقد كان فتي ذكياً ، خشي أن ينطق بحماسة ما أمام هذا الجمع الحاشد من علية القوم ، الذين كان من بينهم رجل القانون والمالي الكبير . . . الخ — وكان دانجر قد ثقل بصره بين الأب والابن اللذين تبدو عليهما مظاهر الثراء الفاحش ، فخيّل اليه أنه في حضرة أمير من أمراء بلد شرقي بعيد قد أحضر ابنه ليتم تعليمه في باريس ! . . فلما انتهى العشاء راح دانجر يستجوب عميلي بنكهة الجديدين ، عن أسلوبهما في المعيشة ، بحجة التحدث في « الأعمال » . . فأبدى كلاهما من اللطف والدمانة في الاستجابة لفضوله ما أدهشه

وفي خلال الحديث خاطبه كافالكاتني الأب قائلاً في ادب مفرط :

— سوف يسرني أن أشرف غداً يا سيدتي بزيارتك بصدد بعض الاعمال فأجابه دانجر : « وسوف يسعدني أن أستقبلك »

ثم عرض عليه البارون أن يأخذه في عربته الى حيث يقيم بفندق « دي برانس » . . مالم يحرمه ذلك من صحبة ابنه . . فأجاب الضابط على هذه العبارة الاخيرة بقوله :

— ان ابني قد ألف ان يعيش بعيداً عني ، وان لكل منا عربته وجياده ، بحيث يستطيع ان يذهب ويجيء مستقلاً عن الآخر !

وهكذا استقل الأب عربة دانجر وجلس الى جواره

أما الابن فقد نادى حوذيهِ وراح يعنفه لانه وقف بعربته أمام الباب الخارجى لا الداخلى ، الامر الذى سيكلفه ان يعشى على قدميه ثلاثين خطوة حتى يبلغ مكانها ! . . واذا فرغ الشاب من هذا التأنيب وتأهب للركوب ، أحس يداً توضع على كتفه ، فلما التفت طالعه وجه رجل قد لوحته الشمس ذى لحية كثة وعينين براقيتين وأسنان حادة مديبة كأسنان الذئب أو ابن آوى ، وقد ربط رأسه بمنديل أحمر ، وارتمى ثياباً قدرة ممزقة لا تكاد تستر عظامه النحيلة الشبيهة بهيكل عظمى . . وكانت يده التي وضعها على كتف الشاب بالغة الضخامة ، فذعر لرؤيته وتراجع متسائلاً : « ماذا تريد مني ؟ »



فأجابه الرجل ذو المنديل الأحمر :

— أغفر لي يا صديقي أزواجي أياك ، لكنني أريد أن أتحدث اليك ، وأن  
تجنبني مشقة العودة إلى باريس على قدمي ، أنني جائع جدا . . ! ولم أتناول  
عشاء فإخرا مثلك ! وهانذا لا أكاد أقوى على الوقوف . . ومن ثم أريد أن  
تحملني معك في عربتك . . فهل فهمت يا سيد « بنديتو » ؟  
ولدى سماع هذا الاسم فكر الشاب في الأمر لحظة ، ثم اتجه إلى حوزيه  
قائلا :

— هذا رسول كلفته بمهمة وقد جاء ليبلغني أنباءها . . . فاذهب أنت  
بأية وسيلة أخرى وارتكنا في العربية وحدنا  
وانسحب المحوذي متعجبا ، بينما انطلق الرجلان بالعربة ، حتى غادرا  
حدود « أوتوى » ، وإذ ذاك تلفت الشاب حوله ليستوثق من أن أحدا  
لا يمكن أن يراه أو يسمعه ، ثم عقد ذراعيه فوق صدره وابتدر الرجل  
الغريب قائلا :

— لماذا جئت تزعج حياتي ؟

فقال الرجل : « دعني أسالك أولا لم خدعتني ؟ . . لقد ذكرت لي عند ما  
افترقنا في (بون دي فار) أنك ذاهب إلى أقليمي (بيدمونت) و (توسكاني) . .  
لكنك بدلا من ذلك جئت إلى باريس ! »

فقال له الشاب : « اذن أنت تنجس على حرثاتي ؟ . . دعني أحذرك  
يا سيد (كادروس) من مغبة ذلك . . والآن حدثني ماذا تريد مني ؟ »  
فقال كادروس : « أعتقد أنني أستطيع العيش بمبلغ مائة فرنك في الشهر ،  
لكنني لو حصلت على مائة وخمسين أكون أسعد حالا »

وهنا مد إليه الشاب يده بمائتي فرنك وقال له : « في وسعك أن تمر  
على وكيلى في بداية كل شهر فيعطيك مثل هذا المبلغ . . والآن وقد حصلت  
على مبتغاك ، وصرنا متفاهمين . . اقفز من العربية واغرب عن وجهي ! »

□

في اليوم التالي أمر دانتجر حوزيه بأن يحمله في عربته إلى المنزل رقم  
٣٠ بشارع الشانزليزية ، حيث يقيم الكونت دي مونت كريستو. وهناك  
استقبله مرحبا وقال له :

— أنك تبدو متعبا محطما يا عزيزي البارون ، بحيث يزعجني أمرك . .

— لقد طاردني سوء الحظ خلال الأيام الأخيرة ، فتوالت على الأنساء  
السيئة . . وقد بلغني اليوم تبا جديد ، هو أن ماليا آخر في « تريسته »  
قد أشهر أفلاسه !

— حقا ؟ ترى هل يكون هذا المالى « جاكوبو مانفريدى » ؟

- هو بعينه! .. هل تصدق ان بفلس مالى مثله كان طيلة السنوات  
الطويلة التى تعاملت معه خلالها مثالا للانتظام فى الدفع ، دون أى ملاحظة
- اذن فقد خسرت ما يقرب من المليونين هذا الشهر ؟
- نعم ، ولهذا المناسبة حدثنى عما يطلب منى أن افعله لسيو كافالكانتى ؟
- اذا كان أحد قد أوصاك به وكانت التوصية موثوقا بها ، فلا بأس بأن  
تعطيه ما يطلب من مال
- لقد قدم لى هذا الصباح صكا بمبلغ أربعين ألف فرنك مسحوبا عليك  
ومحولا منك الى ، وهو بتوقيع « بوزونى » .. وقد صرفت قيمته له فوراً  
بالطبع .. ولكن هذا ليس كل شيء ، فقد فتح عندى حسابا لابنه هذا  
الصباح أيضا !
- هل لى ان أسالك كم يعطى ابنه من المال ؟
- خمسة آلاف فرنك شهريا !
- أى ستين ألفا فى السنة ؟ .. لقد صدق ظنى فى مبلغ تقبیر الرجل  
وشحه .. كيف يعيش شاب مثله بخمسة آلاف فرنك فى الشهر ؟
- ولكن فى وسع الفتى اذا اراد أن يحصل على بضعة آلاف أخرى !
- اياك ان تدفعها له ، فلن يسددها الأب لك .. انك لا تعرف هؤلاء  
الأثرياء المحدثين ، انهم غاية فى البخل !
- الا تشق بكافالكانتى ؟
- أنا ؟ .. انى أدفع ستة ملايين من الفرنكات بضمان توقيعه لا غير !  
فقال دانجلز فى عدم مبالة : « آه ، ان النبلاء يتزاجون فيما بينهم ، فهم  
يحبون ان يوحّدوا ثرواتهم ! »
- هذا طبيعى ، بلا شك .. ولكن كافالكانتى مبتكر ، لا يفعل ما يفعله  
الآخرون .. وقد أحضر ابنه الى فرنسا لينتقى له زوجة !
- آه ، اذن فسوف يجد له اميرة من بافاريا او بيرو ، فهو يطمع فى تاج  
او ثروة طائلة !
- كلا ، بل ان هؤلاء السادة العظام الذين يعيشون فى الجانب الآخر من  
الألب غالبا ما يتزوجون من اسرات بسيطة . ولذا لا أحسبك تفكر فى  
الآنسة دانجلر ، الا اذا أردت ان يموت اندريا مدبوحا بيد البرت المسكين !
- فقال دانجلر وهو يهز كتفيه : « البرت ؟ . آه .. انه لن يعبأ بالأمر كثيرا  
فيما اعتقد ! »
- كيف ؟ . اليس مخطوبة له ؟
- لقد تحدثنا فى الأمر ، أنا وابوه المسيو دى مورسيرف .. لكن مدام  
دى مورسيرف والبرت ..
- لا أحسبك تعنى انها لن تكون صفقة موفقة !

– انى افضل مسيو أندريا كافالكانتى على مسيو البرت دى مورسيرف ،  
فرغم أنى لم اولد يارونا من النبلاء ، فان اسمى الحالى هو اسمى الأصلى  
الحقيقى على آية حال ، اما هو فليس اسمه مورسيرف .. ان مورسيرف  
كان صيادا حقيرا يدعى فرناند مونديجو !

– اذن لماذا فكرت فى اعطائه ابنتك ؟

– لأن كلا من فرناند ودانجلر قد صار نبىلا وغنيا ، مساويا للآخر فى  
مركزه الأدبى ، فيما عدا ان هناك بضعة أشياء تقال عنه ولا تقال عنى أنا  
مثلا !

– هذا الذى تقوله يذكرنى بانى سمعت اسم فرناندو مونديجو يقرن  
فى بلاد اليونان باسم على باشا !

– هذا هو السر الذى انا على استعداد لان ادفع اى ثمن فى سبيل  
الوقوف عليه !

– الأمر غاية فى السهولة .. اكتب اذا شئت الى وكيلك فى « بانينا »  
واساله عن الدور الذى لعبه فرنسى يدعى فرناند مونديجو فى كارثة على  
باشا !

فقال دانجلر وهو ينهض مسرعا : « انت على حق .. ساكتب اليه  
اليوم ! »



اقتيدت مدام دانجلر خلال مهر خاص نحو مكتب مسيو دى فيلفور ،  
فوجدته جالسا فى مقعده يكتب ، وظهره الى الباب .. ولم يتحرك حين  
سمع الباب يفتح والحاجب يقول للزائرة : « تفضلى بالدخول يا سيدتى » .  
ثم يفلق الباب من جديد .. لكن خطوات الحاجب لم تكذ تبعد حتى نهض  
قاضى التحقيق فأغلق خشب النوافذ والستائر وفحص كل ركن فى الغرفة ،  
ثم قال :

– مضى زمن طويل منذ كانت لى متعة التحدث اليك على حدة يا سيدتى  
.. وانه ليحزنتى أننا لم نلتق اليوم الا لتبادل حديثا مؤلما ، فاستجمعى  
كل شجاعتك يا سيدتى ، فانك لم تعرفى بعد غير طرف من الموضوع ! »

وكانت البارونة تعرف مبلغ هيدوء دى فيلفور الطبيعى فى الأحوال  
العادية ، فافزعها ما بدأ من أفعاله بحيث فتحت فاهها لتصيح ، لكن  
الصيحة اختنقت فى حلقها .. بينما استطرده هو فقال :

– أرايت كيف بعث ماضينا الرهيب من مرقدته فى أعماق ضمائرنا حيث  
دفن .. كى يمثل أماننا الآن مثل الشبح فيجتل وجوهنا بالعار ويكسوها  
شحوب الأموات ؟ »

فقالت له هرمين : « انها المصادفة ولا شك ! »

– المصادفة ؟ . كلا يا سيدتى !. لا يوجد شيء اسمه المصادفة !

— بل يوجد .. أليست المصادفة التي كشفت كل ذلك ؟. أليست هي التي جعلت الكونت دي مونت كريستو يتناع هذا البيت بالذات ، ويحفر أرض الحديقة في ذلك الموضع بالذات ، فيعثر على الطفل التعس مدفونا تحت الشجرة ؟ .. ذلك المخلوق البريء المسكين الذي ولد منى ولم أستطع حتى أن أقبله مرة واحدة ، والذي طالما بكينه بدموعي الحارة ؟ »

فأجابها دي فيلفور في صوت أجوف : « كلا يا سيدتي .. وهذا هو النبأ الرهيب الذي أصارك به اليوم .. لم يوجد شيء مدفونا تحت الشجرة ، لم توجد جثة طفل .. أنك لا ينبغي أن تبكى ، بل يجب أن ترتجفي هلعاً .. ! »

— أذن فأنت لم تدفن طفلي المسكين هناك ؟. لماذا إذن خدعتني ؟. أين وضعتَه ؟ قل لي .. أين ؟

— هناك ! ولكن اصغى الي .. ولسوف ترئين لحال شخص حمل العبء الثقيل وحده طيلة عشرين عاما .. العبء المفجع الذي يوشك أن ييوج لك بسره الآن ، دون أن يلقي أبسط جزء منه على عاتقك ! فمئذ عدت الي وعيى بعد أن شفيت من طعنة ذلك الكورسيكي اللعين ، جعلت همى أن أبحث عن جثة الطفل ، فعمدت الي الاستفسار فوراً عن مصير البيت الذي كنا نلتقى فيه ، وحين علمت أن أحداً لم يقطنه منذ تركناه هرعت اليه من فوري ، فلم ادع موضعا من الحديقة لم أضربه بفاسي ، آملاً أن تصطدم الفأس بسطح الصندوق الحديدي ، ولكن دون جدوى ! .. لم أعثر بشيء ! .. فجعلت اسائل نفسي : « ما الذي يجعل ذلك الرجل يأخذ جثة الطفل ؟ ان الأجسام الميتة لا تفتنى بل تعرض على قاضي التحقيق كي يستقى منها الأدلة التي يريدونها ثم تدفن .. لكن شيئاً من هذا لم يحدث ! »

فتساءلت هرمين وهي ترتعد في عنف : « أذن ما الذي حدث ؟ »

— شيء أفظع وأقسى عاقبة .. قد يكون القاتل وجد الطفل حياً فأنقذه !  
وهنا أطلقت البارونة دانجلر صيحة ثاقبة وامسكت يد دي فيلفور هاتفة :

— ابني كان حياً ؟ .. هل دفنته حياً ؟ دفنته دون أن تستوثق من موته ؟. رياه !

— لست ادري ، وانما انا افترض ذلك ، كما افترض اي فرض آخر .. !

وزاغت عينا الرجل ، ودلت نظرتة على أن عقله الثاقب قد بلغ حافة اليأس والجنون .. وراح يغمغم : « اذا كان الأمر كذلك ، وصح هذا الفرض فانتنا نكون قد هلكنا .. يكون الطفل ما يزال على قيد الحياة ، ويكون هناك شخص يعرف سرنا .. وما دام الكونت دي مونت كريستو قد تحدث أمامنا عن طفل وجد في الحديقة ، في حين أن ذلك الطفل لا يمكن أن يكون قد وجد .. أذن فهو الذي يقف على سرنا ! »

وبعد بضعة أيام كان دي فيلفور جالسا في بيته مكتئبا ، حين سمع صوت عجلات تدنو من الباب ، ثم تلاه وقع خطوات تصعد السلم .. وفتح الباب بعد ذلك ، فدخلت منه عجوز تحمل معطفها على ذراعها وقبعتها في يدها . وكان منظرها مؤلما بشعرها الأبيض ؟ وجبينها الأصفر ، وعينيها اللتين غضنتهما الشيخوخة وكادتا تختفيان وراء أجفانها التي قرحها البكاء !

وهتفت المرأة في لوعة : « أواه يا سيدى ! .. أبة كارثة حلت بى ! .. اننى ساموت حزنا بلا شك ! »

فنهض دي فيلفور وخف لاستقبال حماته - الاولى - متسائلا : « ماذا حدث ؟ . ما الذى أزعجك ؟ . هل مسيو دي سانت ميران معك ؟ »

فأجابت المركيزة العجوز دون مقدمات ودون أى تعبير على وجهها ، من فرط ذهولها : « ان مسيو دي سانت ميران قدم مات »

فتراجع دي فيلفور وهو يضم يديه صائحا : « مات ؟ .. هكذا فجأة ؟ »

فقالت المركيزة : « منذ اسبوع خرجنا معا في العربة بعد الغداء . وكان زوجى متوعل الصحة منذ أيام ، لكن فكرة رؤية عزيزتنا فالتين مرة أخرى أمدته بالشجاعة ، فأغفل أمر مرضه .. وعلى بعد ستة فراسخ من مرسيليا ، بعد تناول الأقراص التى ألف تناولها ، نام نوما عميقا الى درجة شعرت معها أنه نوم غير طبيعى .. لكنى ترددت مع ذلك في انقاظه ، ولو انى لاحظت احتقانا في وجهه وعنفا غير عادى في نبضات عروق صدغه ! .. ولم البث أن أغفيت أنا بدورى ، ثم صحوت بعد حين على حشرجة كالتى تصدر من شخص يتألم من كابوس .. وفجأة القى رأسه الى الخلف بشدة ، فاستعملت الأملح التى تزيل الإغماء .. لكن كل شيء كان قد انتهى ! ولم نصل الى « ايكس » حتى كان جثة هامدة ! »

وكان دي فيلفور يصفى الى القصة وقد ففر فاه من فرط ذهوله .. ولم ينطق بحرف !



وفي مساء اليوم التالى غادر دي فيلفور المنزل ومعه الطبيب .. وقال للقاضي لمرافقته : « أواه يا عزيزى ! . لقد أعلنت السماء الحرب على بيتى ! .. يا لها من ميتة فظيمة ، أبة كارثة ! لا تحاول مواساتى ، فما من شيء يستطيع أن يخفف من فداحة حزنى ، ان الجرح عميق وحديث ! »

فأجابه الطبيب : « يا عزيزى دي فيلفور ، ما صحبتك الى هنا كي أواسيك ، بل على العكس ، فان وراء الخطب الذى أصابك خطبا آخر أمر وادهى . لقد ماتت المركيزة دي سانت ميران من جرعة قوية من «بروسين الستركنين » لعلها قد أعطيت لها خطأ »

فتناول دى فيلفور يد الطبيب وقال : « هذا مستحيل .. لا بد انى  
احلم ! »

— هل للمركيزة دى سانت ميران اعداء ؟

— لست اعلم ان لها اى اعداء

— الا يحتمل ان يكون الخادم باروا قد اخطأ فاعطاها جرعة نانت معدة  
لسيده ؟

— لا ادرى .. ولكن كيف يكون دواء مسيو نواتييه ساما للمركيزة ؟

— هذا امر غاية فى البساطة ، فهناك سموم تغدو ادوية للعلاج فى بعض  
الحالات ، ومنها حالة الشلل .. وقد وصفت لمسيو نواتييه فى آخر زيارة  
ست جبات من البروسين ، وهى جرعة يحتملها هو لانه اخذ من المادة  
جرعات سابقة صغيرة ، لكنها لو اعطيت لأول مرة لاي انسان لقتلته فورا !

— ولكن ليس هناك يا عزيزى اى اتصال بين جناح مسيو نواتييه وجناح  
المركيزة دى سانت ميران ، ولم يدخل باروا مخدج حمايتى قط !

— يا عزيزى دى فيلفور ، لو كان فى طاقة الطب ان ينقذ المركيزة دى  
سانت ميران لانقذتها ، لكنها قد ماتت .. وواجبى الآن ينحصر فى حماية  
الأحياء ، فلندفن هذا السر الرهيب فى اعماق اعماق قلوبنا ، وأنا على  
استعداد — فيما لو ارتاب احد فى الأمر — ان اعزو سكوتى عن التبليغ الى  
جهلى .. وفى اثناء ذلك عليك ان تشدد رقابتك ، فلعل الشر لا يقف عند  
هذا الحد . وحين تكتشف المجرم — اذا عثرت عليه — سأقول لك : « أنت  
قاضى تحقيق وأعرف بواجبك ! »



## سر مصرع الجنرال

على أثر الجنائز المزدوجة للمركز والمركيزة دي سانت ميران ، عاد دي فيلفور بصحبة فرانز دييناي الى حى سانت أونوريه ، فمضى القاضى الى مكتبه مباشرة ، دون أن يعرج على حجرة زوجته أو ابنته .. وهناك قدم للشاب مقعدا وهو يقول له :

— مسيو دييناي ، اسمح لى أن أذكرك فى هذه اللحظة بأن الفقيدة قد أعريت ، وهى على فراش الموت ، عن رغبتها فى الايتاخر زفاف فالتنين عن موعده . وليس فى هذا الأمر ما يجافى الذوق كما قد يبدو لأول وهلة ، فان تنفيذ رغبات الموتى اول ما يجب لهم على الأحياء !  
فقال الشاب : « كما تشاء يا سيدى ! » . وواصل دي فيلفور كلامه فقال :

— اذن أرجو أن تتكرم بالانتظار نصف ساعة ريثما تهبط فالتنين من غرفتها .. وسأرسل فى استدعاء مسيو « ديشان » كى نقرأ عقد الزواج ونوقع عليه قبل أن نفترق .. ولسوف تصحب السيدة دي فيلفور فالتنين الليلة الى ضيعتها على أن تلحق بهما بعد أسبوع !

وحين حضر مسجل العقود ابتدر فرانز بقوله : « ينبغي أن أخبرك يا سيدى ، بنساء على طلب مسيو دي فيلفور ، بأن زواجك المرتقب من الأنسة دي فيلفور قد غير عواطف مسيو نوارتييه نحو حفيدته ، فجردها من ثروته التى كانت سترتها ! . واضيف الى ذلك أن الموصى — الذى لا يملك غير حق التصرف فى جزء من ثروته فقط — قد تصرف فى ثروته كلها ، الأمر الذى يجعل الوصية قابلة للطعن والالغاء ! »

وهنا أردف مسيو دي فيلفور : « نعم ، لكنى أبادر فأنبه مسيو دييناي الى أن وصية ابنى لن يتارع فيها خلال حياتى ، فان مركزى يحول دون تجريحها ! »

ولم يكد الشاب يفرغ من هذا القول حتى فتح الباب وبرز على عتته « باروا » وقال : « سادتى . ان مسيو نوارتييه يرغب فى أن يتحدث الآن الى مسيو فرانز دييناي ! »

فالتفت دي فيلفور الى ابنته وقال لها : « فالتنين .. يجب ان تذهبي لتبحتى هذه النزوة الجديدة من جانب جدك ! »  
فنهضت الفتاة على لعجل وأسرعت نحو الباب مغتبطة ، ولكن صوت

أيها ما لبث أن لاحقها إذ غير رأيه فقال : « انتظري .. سأذهب معك ! »  
وكان نوارتييه متأهبا للقائهم ، فلما دخل الأشخاص الثلاثة الذين كان  
ينتظرهم ، نظر إلى الباب .. فأغلقه خادمه وأذ ذلك همس دي فيلفور  
في أذن ابنته ، التي عجزت عن إخفاء فرحتها : « أصغى إلى .. إذا أراد  
مسيو نوارتييه أن يتخذ أى إجراء يؤخر موعد زواجك فاني أمنعك من أن  
تفهمي اشارته ! »

وأوما نوارتييه إلى فالتين كي تقترب ، وأدركت هي من أول اشارة أن  
جدها يريد مفتاحا .. ثم استقرت عيناه على درج في خزانة صغيرة تقع  
بين التوافذ ، ففتحت الدرج ، ووجدت مفتاحا ، وهنا أدار الشيخ المشلول  
عينيه نحو منضدة مكتب صغيرة مهملة منذ سنوات ، بحيث ما كان أحد  
ليعتقد أنها تضم أوراقا ذات قيمة .. ففتحتها الفتاة وأخرجت منها  
حزمة من الأوراق مربوطة برباط أسود ، تناولها فرانز وقرأ على غلافها  
هذه العبارة : « تسلم عقب وفاتي إلى الجنرال « دوران » ، الذي سوف  
يوصي بالحزمة إلى ابنه بعد أن ينبهه إلى ضرورة المحافظة عليها باعتبارها  
تضم مستندات هامة ! »

ثم فض فرانز الحزمة وقرأ بصوت مسموع وسط سكون الحجره :  
« صورة من محضر جلسة نادي أنصار بونايرت الكائن بشارع سان جاك ،  
يوم ٥ فبراير سنة ١٨١٥ »

وعندئذ توقف فرانز عن القراءة وقال : « ٥ فبراير سنة ١٨١٥ .. انه  
اليوم الذي قتل فيه أبى ! »

فلم ينبس دي فيلفور أو فالتين بكلمة ، بينما أوما الشيخ المشلول إلى  
الشباب كي يواصل القراءة .. لكن هذا قال وكأنه يحدث نفسه : « لقد  
اختفى أبى عند مغادرته هذا النادي ! » .. فلما استحثته عين المريض ،  
قرأ :

« يعلن الموقعون على هذا المحضر أنهم قد تلقوا يوم ٤ فبراير خطابا من  
جزيرة ( البيا ) يوصى بأن يضم النادي إلى عضويته ( الجنرال فلافيان دي  
كينيل ) الذي خدم الأمبراطور من سنة ١٨٠٤ إلى ١٨١٤ وما زال يخص  
بعواطفه أسرة نابليون ، بغض النظر عن لقب البارون وضيعة داينباي اللتين  
منحه إياهما لتوه الملك لويس الثامن عشر ! .. ومن ثم طلب المجتمعون إلى  
المرشح الجديد أن يحضر الجلسة التي تعقد في اليوم التالي - ٥ فبراير -  
فلما حضر بدأ الحاضرون يستجوبونه عن عواطفه السياسية ، لكنه اكتفى  
بالقول انها واضحة من الخطاب المرسل من جزيرة البيا .. فحاول الرئيس  
أغراءه بأن يتكلم بمزيد من الوضوح والتحديد .. وحين شدد المجتمعون  
عليه الخناق قال : ( لم تمض أيام على اعلاني ولائي للملك لويس الثامن  
عشر ، بحيث يصعب على أن أحنث بعهدي فانضم إلى الأمبراطور  
السابق ! ) .. وكان الرد من الوضوح بحيث لا يدع مجالاً للشك في حقيقة



عواطف الرجل .. فنهض الرئيس وقال يخاطب الجنرال : ( سيدى ان كلامك يدل بوضوح على ان سلطات جزيرة البيا خدمت فيك وخدمتنا ، ونحن لن نجبرك على أن تساعدنا ضد ضميرك ، لكننا سترغمك على أن تتصرف تصرفا كريما ! ) . فأجاب الجنرال : ( تقصدون أن أقف على مؤامرتكم ولا أبلغ عنها ؟ أتى أسمى هذا اشتراكا معكم فيها .. وهكذا ترون أنى أكثر صراحة منكم ! ) .. فأجاب الرئيس : ( ان أحدا لم يرغمك على حضور هذا الاجتماع ، وأنت من الفطنة بحيث تدرك موقفنا الحالي . وصراحتك تملئ علينا الشروط التى ينبغى ان نفرضا عليك ! ) .. فنظر الرجل فيما حوله فى قلق ثم تدرع بكل صلابة وقال : ( انى لن أقسم بيمين الولاء ) .. وعندئذ قال له الرئيس فى هدوء : ( اذن يجب أن تموت ! ) .. ونهض الرئيس فأشار الى ثلاثة من الأعضاء كى يتبعوه ، ثم ركب الجميع العربة مع الجنرال بعد أن عصبوا عينيه .. حتى بلغوا ذلك الجزء من رصيف ( اورم ) الذى يقود سلمه الى النهر ، وهناك وضع المصباح على الارض ووقف المحصمان متواجهان .. ثم بدأت المباراة .. وبرغم أن الجنرال دبيناي كان من أبرع رجال الجيش فى المباراة ، فإنه سقط ميتا بعد خمس دقائق .. وعندئذ القيت جثته فى النهر وعاد الشهود من حيث أتوا . وهكذا تبين أن الجنرال مات فى مباراة شريفة وليس فى كمين غادر كما أشيع ، وقد حررنا هذا المحضر وذيلناه بتوقيعاتنا اثباتا لهذه الحقيقة خشية أن يجيء اليوم الذى يتهم فيه أحد ظلما بقتل الرجل عمدا أو بخرق قواعد الشرف وأصول المباراة التوقيعات : بورير .. ديشامبى .. ليشاربال »

وهنا قال ديبيناي يحدث نوارتييه : « سيدى ، ما دمت على علم بكل هذه التفصيلات التى يقرها شهود شرفاء ، وما دمت تهتم بأمرى - برغم أنك اظهرت هذا الاهتمام فى صورة عكسية سببت لى مزيدا من الآسى - فلا تضن على باجابه مطلب واحد آخر . أذكر لى اسم رئيس ذلك النادى ، حتى أعرف على الأقل اسم قاتل أبى »

ثم التفت الى فالنتين وقال لها : « آنتسى ، ضمى جهدك الى جهدى كى نكتشف اسم الرجل الذى جعلنى يتيما فى سن الثانية من عمرى ! »

لكن فالنتين بقيت جامدة صامته ، بينما نظر نوارتييه الى القاموس ، فتناوله فرانز وهو يرتحف فى عصبية وراح يكرر على مسمع المريض جميع الحروف الأبجدية على التتابع حتى أوقفه هذا عند حرف « ا » ثم عند حرف « ن » ثم حرف « ا » .. وهى الحروف التى تكون كلمة « أنا » . فهتف فرانز مذعورا : أنت ؟ . أنت يا مسيو نوارتييه الذى قتل أبى ؟ «

فأجاب نوارتييه وهو ينظر الى الشاب نظرة ذات جلال :

- « نعم ! » واذ ذاك تهالك فرانز على مقعد هناك خائر القوى ، بينما فتح دى فيلفور الباب ولا بالفرار ، فقد راودته فكرة اخماد البقية الباقية من الحياة فى قلب الشيخ المسن الرهيب !

## في سوق الرقيق

جلس الكونت دي مونت كريستو وألبرت دي مورسيرف - بعد عودتهما من حفلة استقبال في بيت دانجلر - يتناولان الشاي في صالون منزل الكونت ، ثم تطلع مورسيرف نحو الباب الذي كانت تنبعث من ورائه أصوات تشبه أنغام الفيثارة . فقال له الكونت كريستو :

- لقد قسم لك يا عزيزي الفيكونت أن تسمع الكثير من الموسيقى هذا المساء . فانك لم تكذب تنجو من بيانو الانسة دانجلر حتى لاحقتك قيثارة « هايدى » !

فقال ألبرت : « هايدى ؟ يا له من اسم ساحر ! هل هناك حقا نساء يحملن اسم هايدى ، في غير شعر بيرون ؟ »

- بلا شك . ان اسم هايدى اسم نادر في فرنسا ، لكنه شائع منتشر في « ألبانيا » وجزيرة « ابروس » . وقد ولدت واثرة لكنوز لا تعد كنوز « ألف ليلة وليلة » بالقياس اليها شيئا مذكورا !  
- لابد اذن انها أميرة ؟

- أنت على حق ، بل انها من أعظم أميرات بلدها !

- اذن كيف صارت جارية لك وهي أميرة عظيمة ؟

- انها نتائج الحرب يا عزيزي الفيكونت ، وتقلباتها ونزواتها

- وهل اسمها الكامل وشخصيتها سر من الاسرار ؟

- هل تعرف تاريخ علي باشا والى يانينا ؟

- علي باشا ؟ . . . أوه ، نعم . . . انه الوالى الذى كون أبى ثروته وهو فى خدمته

- هذا صحيح ، لقد نسيت ذلك . . . اذن فلتعلم أن هايدى هي ابنة على باشا من الحسنة « فاسيليكي »

- وكيف صارت جارية لك ؟

- لقد اشتريتها ذات يوم وأنا مار فى سوق القسطنطينية

- هذه مصادفة رائعة . . . ولهذه المناسبة هل لى أن أطعم فى أن تقدمنى لها ؟

- أقبل ذلك بشرطين : أولهما ألا تبوح يوما لأحد بأنى منحتك هذه

الفرصة .. والثانى ألا تخبرها قط بأن أبالك كان يوماً فى خدمة أبيها !

— حسنا ! .. انى أقبل هذين الشرطين !



جلست هايدى فى انتظار زائريها فى الحجره الاولى من جناحها ، وهى حجره الاستقبال .. وكانت عيناها الواسعتان تفيضان دهشة وترقبا ، فقد كانت هذه هى المرة الأولى التى يسمح فيها الكونت دى مونت كريستو لانسان بزيارتها ! وكانت جالسة على أريكة فى زاوية من الحجره ، وقد عقدت ساقيها تحتها على الطريقة الشرقية

وقال ألبرت بالاطالية : « يا مضيى العزيز ، وسيدتى السنيورة ، اغفرا لى غيائى الظاهر ، فانى جد حائر .. ومن الطبيعى أن أكون كذلك ، فأنا الآن فى قلب باريس ، ومع ذلك أحس كأنى نقلت فجأة الى الشرق .. لا كما رآته عيناي ، بل كما رسمه خيالى .. آه يا سنيورة لو أننى كنت أستطيع أن أتكلم باليونانية ، لكان حديثك الطلى ، بالاضافة الى المناظر الساحرة الخيالية التى تحيط بى ، يمنحنى سهرة ممتعة يستحيل على أن أنساها !

فأجابت هايدى فى هدوء : « انى أعرف قليلا من الايطالية يتيح لى أن أجادبك الحديث بها .. واذا كنت مولعا بكل ما هو شرقى فسوف أبذل جهدى كى أتيح لك ما يرضى ذوقك أثناء وجودك هنا ! »

فقال ألبرت للكونت بصوت خافت : « اسمح للسنيورة يا كونت أن تسرد على طرفا من تاريخها ، لقد منعتنى من الاشارة الى اسم والدى على مسمع منها .. ولكن لعلها تشير اليه من تلقاء نفسها أثناء الحديث ، وأنت لا تستطيع أن تتصور كم يلد لى أن أسمع اسم أسرنا تنطق به هاتان الشفتان الجميلتان ! »

وهنا التفت الكونت الى هايدى ، ثم قال لها باليونانية ، وعلى وجهه تعبير أمر : « حديثنا بقصة مأساة أبيك ، ولكن دون أن تذكرى اسم الحائن ولا تفصيل الحيانة ! »

فتنهدت هايدى من قلب مكلوم ، وكست وجهها سحابة من الحزن .. ثم قالت : « تريدنى اذن أن أسرد تاريخ أشجاني الماضية ؟ حسنا ! .. كنت فى الرابعة من عمري حين أيقظتنى أمى فجأة ذات ليلة ، وكنا فى قصر يانينا ، فلم أكد أفتح عيني حتى رأيت عينيها مغرورقتين بالدموع .. ثم انزعتنى من الفراش الوثير الذى كنت نائمة عليه ، دون أن تنبس بكلمة ، كى نلوذ بالفرار .. وقد قيل لى بعدئذ : ان حامية قصر يانينا التى أضناها العمل المتواصل ، قد استسلمت لحورشيد باشا الذى أرسله السلطان للقبض على أبى .. وبعد قليل كنا جميعا فى ( الملجأ ) الذى أعده أبى من

قبل وأطلق عليه اسم «المخبأ» ، بعد أن أرسل الى السلطان كتابا مع ضابط فرنسى كان يوليه ثقته الكاملة !

فسألها ألبرت : « ألا تذكرين اسم هذا الضابط يا سنيورة ؟ »  
وهنا تبادل الكونت مع هايدى نظرة سريعة لم يلحظها الشاب ، فأجابت قائلة :

- لست أذكره الآن ، ولكن اذا تذكرته أثناء حديثنا فسوف أذكره لك!  
وهنا كاد ألبرت ينطق باسم أبيه ، لولا أن ذكره الكونت بوعده السابق بإشارة تحذير بسبابته ، فلاذ بالصمت ٠٠ بينما استأنفت الفتاة كلامها فقالت :

- كان المخبأ الذى لجأنا اليه جزيرة صغيرة تتوسط احدى البحيرات . وكان هناك كهف تحت الارض فأخذت اليه مع أمي وحاشيتنا من النساء ٠٠ وكان فى الكهف ستون ألف حافظة تحوى ٢٥ مليون جنيه من الذهب ، ومائتا برميل من البارود بها ثلاثون ألف رطل من البارود ٠٠ والى جوار البراميل وقف وكيل أبى الوفى المفضل « سليم » يحرس الكهف ليل نهار وفى يده حربة مزودة بثقاب دائم الاشتعال ٠٠ وكان لديه أمر بأن ينسف الكهف بكل من فيه وما فيه حتى ان كان أبى بداخله فى اللحظة التى يتلقى فيها الاشارة المتفق عليها من قبل !

« وذات يوم أرسل أبى يدعونا اليه ، وكانت أمي قد قضت ليلتها مؤرقة تبكى ، وهى فريسة لأشد حالات التعاسة ٠٠ فوجدنا الباشا هادئا ، ولكن أكثر شحوبا من المؤلف ٠٠ وابتدر أمي قائلا : ( تشجعي يا فاسيلكى ، فاليوم يصل المرسوم السلطانى الذى يقرر مصرى ٠٠ فاذا كان قد منحنى عفوا كاملا فسنعود منتصرين الى يانينا ٠٠ أما لو كانت الانباء مريبة ، فينبغى أن نفر الليلة ! )

« فقالت له أمي : ( وماذا نضنع اذا حال عدونا دون هذا الفرار ؟ ) ٠٠ فأجابها وهو يتسهم : ( لا تقلقى بشأن ذلك ، ففى هذه الحالة يتكفل سليم وحرينته بحسم الموقف . انهم سوف يسرون برؤيتى ميتا ، لكنهم لن يسروا بأن يموتوا معي ! )

« كان ذلك فى الساعة الرابعة بعد الظهر ، وبرغم أن النهار كان مشرقا فى الخارج ، كنا داخل الكهف فى ظلمة تامة ، فيما عدا بصيص من الضوء فى ركن منها ، ينبعث من حربة سليم ٠٠ كان أشبه بنجمة وحيدة فى سماء معتمة ٠٠ وفجأة سمعنا صيحات عالية ، تبينا فيها رنين الفرح ، وتجاوب الحراس فى الخارج باسم الضابط الفرنسى الذى أوفده أبى الى السلطان ، فأدركنا جميعا ان الرجل عاد يحمل ردا مرضيا

« وازداد الضجيج ، واقتربت خطوات تهبط السلم الى داخل الكهف ، وأعد سليم العدة لاشعال البارود فى حالة حدوث ما يستلزم ذلك . وعندئذ ظهر فى مدخل الكهف شخص لم يتبين وجهه بسبب الظلام ،

فصاح به : ( من أنت ؟ حذار أن تتقدم خطوة أخرى ! ) .. فأجابه الآخر هاتفا : ( عاش السلطان ! لقد منح جلالته على باشا وزيره عفوا كاملا .. ولم يرد اليه حياتها وحدها ، بل رد اليه أيضا ثروته وممتلكاته ! )  
« وهنا سأله سليم : ( باسم من تتكلم ؟ )

« فأجاب : ( باسم سيدنا على باشا )

« فقال له سليم : ( اذا كنت قادما من عند على باشا نفسه ، فأنت تعرف العلامة التي يجب أن تظهرها لي ؟ ! )

« وقال الضابط : ( نعم .. ها أنذا أحمل اليه خاتمه ! ) .. ثم رفع يده فوق رأسه ليظهر العلامة ، لكن المسافة كانت بعيدة والضوء أضعف من أن يسمح لسليم بتمييزها .. فقال له : ( لست أرى ما في يدك .. ولن أسمح لك بأن تقترب ، بل لن أقرب أنا منك قبل أن تضع الشيء الذي تحمله في الضوء الذي يشع هناك ، ثم تنسحب ريثما أفحصه )

« ووضع الرسول العلامة في المكان الذي عينه له سليم ، ثم انسحب .. فاقترب سليم من المكان ، وتناول العلامة وتأملها مليا ثم قبلها وهتف قائلا: ( انها هي .. انها خاتم سيدي ! ) .. ثم ألقي الشعلة من يده وداسها يقدمه فاطمأنا .. وعندئذ أطلق الرسول صيحة ظفر وصفق بيديه .. وسرعان ما ظهر فجأة أربعة من جنود ( خورشيد ) وسقط سليم على الفور مصابا بخمس طعنات ثم تقدم الضابط والجنود الأربعة والخوف يكسو وجوههم شحوبا ، وراحوا يفتشون أنحاء الكهف ليستوثقوا من زوال خطر الحريق والانفجار .. وعندئذ انقضوا على حقائب الذهب ينهبونها !

« وفي تلك اللحظة حملتني أمي بين ذراعيها ، ثم هرعت في سكون عبر ممرات وسرايب خفية لم يكن يعرفها غيرنا ، حتى وصلت الى سلم آخر يفضي الى مدخل مستقل من مداخل الكهف ، وهناك كانت تسود المكان ضجة واضطراب شديدان .. كان جنود خورشيد يملأون الحجرات السفلى .. وفيما كانت أمي توشك أن تفتح بابا صغيرا سمعنا صوت أبي يصيح مهددا فنظرنا من خلال فرجات بين الاخشاب ، واذا أبي يقول لبضعة أشخاص يحمل أحدهم في يده ورقة مكتوبة بأحرف من ذهب : ( ماذا تريدون ؟ ) .. فأجابوه : ( نريد أن نبلغك ارادة صاحب الجلالة .. هل ترى هذا الفرمان .. ان جلالة السلطان يطلب رأسك فيه ! ) .. وأطلق أبي ضحكة مدوية تخيفة ، ثم أطلق مسدسة فصرع اثنين من الجنود .. وفي هذه اللحظة بدأ اطلاق النار من الجهة المقابلة ، واخترقت الرصاصات الحوائط من كل جانب ، ورغم ذلك بدا أبي جليل المظهر وهو يكر على خصومه فيفرعهم ويلجئهم الى الفرار ، وكان في الوقت نفسه يصيح بحارسه : ( سليم .. سليم ! .. آد واجبك ! ) .. فأجابه صوت كأنه صادر من جوف الارض : ( لقد مات سليم ، وأنت قد ضعت يا علي ! ) .. وفي هذه اللحظة نفسها دوى المكان بانفجار قوى ، وتناثرت أرض الحجرة التي كان فيها أبي ، وكان الجنود يطلقون النار من

أسفل) . . . وعندئذ مد أبى أصابعه وهو يزار بشسدة الى الشغرات التي أحدثتها الطلقات فى أرض المكان وانتزع واحدا من الألواح الحشبية . وعلى الفور انطلقت من جوف الارض عشرون طلقة قوية وتدافعت ألسنة اللهب كأنما يقذف بها بركان فالتهمت محتويات الغرفة . . . وخلال هذا الضجيج المروع والصرخات المفزعة انطلقت طلقتان واضحتان تبعتهما صرختان حادتان جعلتا الدم يتجمد فى عروقى . . . فقد أصابتنا أبى ، ورغم ذلك ظل واقفا ، متشبثا بالنافذة . . . بينما حاولت أمى اقتحام الباب ، كى تموت بجانبه ، لكنة كان مغلقا من الداخل ! . . .

« وهنا تداعيت فجأة أرض المكان بأكملها ، فسقط أبى على احدى ركبتيه ، وفى اللحظة عينها امتدت نحوه عشرون يدا مسلحة بالخناجر والمسدسات . . . عشرون هجمة ركزت كلها ضد شخص واحد ، فاختفى والدى وسط اعصار من النار والدخان ، حتى لكأن الجحيم قد فغر فاه تحت قدميه . . . وشعرت بنفسى أسقط الى الارض ، بينما أغمى على أمى ! . . . وحين أفقت من اغماها كنا نمثل أمام خورشيد ، فهتفت به أمى : ( اقتل ، ولكن ابق لأرملة على باشا شرفها ! ) . . .

« فأجابها : ( لست أنا الذى ينبغى أن تلجئى إليه . . . بل ينبغى أن تلجئى الى سيدك الجديد ! ) . . . قال هذا وهو يشير الى شخص بجانبه كان قد ساهم أكثر من سواه فى قتل أبى ! »

ولاحظ ألبرت أن هايدى ازدادت لهجتها حدة وهى تنطق بهذه العبارة . ثم استطردت فقالت :

— على أن هذا الشخص لم يجرؤ على الاحتفاظ بنا ، وهكذا باعونا الى بعض تجار الرقيق المسافرين الى القسطنطينية ، فعبرنا بلاد اليونان حتى وصلنا الى أبواب عاصمة السلطان ونحن بين الموت والحياة . . . وكانت تحيط بالبوابة جمهرة من الناس أفسحت لنا طريقا لنمر . . . وفجأة حانت من أمى نظرة الى شىء كانوا جميعا يتأملونه ، فأطلقت صرخة مروعة وسقطت على الارض وهى تشير الى رأس كان معلقا فوق البوابة ، وتحته لوحة كتب فيها ( رأس على باشا والى يانينا )

« ولم أكد أقرأ ما فى اللوحة حتى صرخت فى مرارة ، وحاولت أن أرفع أمى عن الارض ، لكنها كانت جثة هامدة ! . . . ومن ثم أخذت الى سوق الرقيق حيث اشتراى ثرى أرمنى تولى تعليمى وتثقيفى فأحضر لى المعلمين والاساتذة ، فلما بلغت الثالثة عشرة باعنى الى السلطان « محمود »

وسكنت هايدى ، فقال الكونت متمما قصتها : « ومنه اشتريتها أنا ! »

أما ألبرت فبقى بعض الوقت مأخوذا مشدوها من كل ما سمع ، الى أن قال له الكونت : « هيا ، أفرغ قدح القهوة الذى أمامك . . . فقد انتهت القصة ! »

## شراب قاتل !

لو أتيتح لفالنتين أن ترى اضطراب خطوات فرانز والانفعال الذي بدا على وجهه حين غادر حجرة مسيو نوارتييه ، لأشقت عليه ، برغم كل شيء !

وكان دى فيلفور قد غمغم ببضع عبارات متقطعة ثم انسحب الى حجرة مكتبه ، حيث تلقى بعد ساعتين الخطاب التالى : « بعد الامور التي انكشفت هذا الصباح ، لابد أن يقدر مسيو نوارتييه دى فيلفور استحالة عقد أى صلة بين أسرته وأسرة فرانز ديبيناي . وانه ليدهش مسيو ديبيناي ويصدمه أن مسيو دى فيلفور - الذى ظهر أنه كان على علم بكل الظروف التي انكشفت أمرها هذا الصباح - لم يبادر الى اخطاره بها قبل الآن ! »

وفى اليوم التالى دعا نوارتييه مسجل العقود وجعله يلغى الوصية الاولى ويسجل بدلا منها وصية أخرى يترك فيها كل ثروته لحفيده فالنتين، بشرط ألا تنفصل عنه مدى حياته . . . وعندئذ شاع فى كل مكان أن الأنسة دى فيلفور وريثة المريكيز والمركيزة دى سان ميران ، قد استتردت رضا جدها ، وأنها سوف تصبح ذات ايراد يبلغ ثلاثمائة ألف ريال

وفى الساعة التاسعة من ذلك الصباح ارتدى ألبرت دى مورسيرف سترة سوداء ومضى فى خطوات سريعة مضطربة فى اتجاه دار الكونت دى مونت كريستو فى الشانزلزيه . . . وفيما هو يعبر شارع « ممر الأرامل » رأى عربة الكونت واقفة أمام حانوت لاسلحة الرماية هناك ، ثم خرج الكونت فى هذه اللحظة من الحانوت فابتدره الشاب من دون أن يؤدى له التحية المفروضة : « انى سوف أبارز اليوم ، وقد جئت أرجو منك أن تكون شاهدى ! . . »

فأجابه الكونت : « هذه مسألة أخطر من أن تناقش فى الطريق . . . فلندع الحديث فيها حتى نصل الى البيت ! »

ثم استقل كلاهما عربة الكونت الى منزله فيلغاه بعد دقائق . . . وهناك أخذ الكونت ضيفه الى حجرة مكتبه . . . وبعد أن جلسا قال له : « فلنتحدث الآن فى الأمر بهدوء . . . من الذى تعزم مبارزته ؟ »

- بوشان . . . فقد نشر فى صحيفته فى الليلة الماضية . . . ولكن انتظر واقرا بنفسك . . .

وأعطى ألبرت الصحيفة للكونت ، فقرأ فيها الفقرة التالية : « تلقينا من مراسلنا فى يانينا ما يكشف الستار عن حقيقة كنا نجهلها حتى الآن ،

وهي أن القلعة التي كانت تحمي المدينة قد سلمت الى الاتراك بواسطة ضابط فرنسي يدعى ( فرناند ) كان الوالى على باشا قد وضع فيه ثقته الكاملة !

وقال له الكونت بعد أن أتم القراءة : « ماذا يهمك من أن قلعة يانينا سلمت بواسطة ضابط فرنسي ؟ »  
فقال ألبرت : « ان أبى الكونت دى مورسيرف هو الضابط المقصود ، فان اسمه الاول فرناند ! »

فقال الكونت مهدئا ناثرة الشاب : « ما أظن أن فى فرنسا من يعرف أن الضابط فرناند والكونت دى مورسيرف اسمان لشخص واحد ؟ ثم من ذا الذى يعنى الآن بقلعة يانينا وقد سقطت سنة ١٨٢٢ أو سنة ١٨٢٣ ؟ ولم يعد أحد يذكر عن ذلك شيئا بعد مضي هذا الوقت الطويل ؟ »

ولكن الشاب بقى ناثرا وقال : « هذا يدل على حقارة القرية . لقد سكتوا كل هذا الوقت ثم جاءوا الآن فجأة فبعثوا الحوادث التي كانت قد تسيت ليتخذوها مادة للفضيحة يلطخون بها مركزنا الرفيع . انى ذاهب الى ( بوشمان ) الذى نشرت صحيفته هذا النبأ وسوف أصر على مطالبته بتكذيبه ! »

وتناول مورسيرف قبعته وغادر الغرفة الى حيث استقل عربته واتجه بها فورا الى مكتب الصحفي بوشان . فاستقبله هذا مرحبا وهو يطلق صيحة دهشة لرؤية صديقه يقذف بالصحف التي على المكتب الى الارض ويدوسها تقدمه فى افعال . . بينما استمر هو يصيح به وهو يمد يده لمصافحته « هيه ، هيه ، يا عزيزى ألبرت ، هل فقدت وعيك ؟ أم هل جئت لتتناول الافطار معى ؟ »

فأجابه الشاب : « بوشان ، لقد جئت أحدثك فى شأن نبأ نشرته صحيفتك أمس وينبغى أن تكذبه فورا . ولكن يبدو أنك تجهل تماما علاقتي بهذا الخبر »

— هذه هي الحقيقة وأقسم بشرفي

ثم أخذ بوشان يبحث عن نسخة من الصحيفة ، فقال له ألبرت : « اليك نسختي فقد أحضرتها معى ! »

فتناول بوشان الصحيفة وقرأ النبأ الذى أشار اليه صديقه ، فلما فرغ من ذلك سأله : « هل الضابط المشار اليه قريبك ؟ »

— انه أبى ، مسيو فرناند مونديجو — الكونت دى مورسيرف — الذى حارب فى عشرين معركة وحصل على أوسمة الشرف ، من الجروح والاصابات التي يحاولون الآن اعتبارها وصمات عار !

فهز بوشان رأسه أسفا وقال :

— أهو والدك ؟ هذا أمر آخر ! فى هذه الحالة أستطيع أن أفهم سبب



غضبك يا عزيزى البرت • لكن الخبر المنشور ليس فيه ما يدل على أن الضابط فرناند هو والدك !

فقال البرت وقد استبد به الغضب والحلق : « سوف أرسل اليك شهودى ، ولك أن تتفق وياهم على مكان اللقاء وموعده ونوع السلاح ! »  
فقال : « حسنا ! اننى أقبل أن أبارزك ، لكننى أطلب مهلة قدرها ثلاثة أسابيع ، وسوف أجيئك فى نهايتها لأقول لك : ( لقد كان النبأ كاذبا وسأكذبه ) •• أو لأقول : ان الخبر المنشور لا شك فى صحته •• ثم أستتل سيفى من غمده أو مسدسى من جرابه - حسبما تشاء - لأبارزك ! »  
فصاح البرت وهو ينهض لينصرف : « ثلاثة أسابيع •• انها سوف تمر كأنها ثلاثة قرون ! »

وقبل أن يغادر مكتب بوشان ، صب غضبه على كومة من الصحف راح يطوح بها فى أرجاء الغرفة بعصاه !

وفىما هو فى عربته لمح مكسمليان موريل يسير فى الطريق بخطى سريعة ونظرة مشرقة ، فحدث نفسه قائلا : « انه لسعيد ولا شك ! »  
ولم يخطيء فى رايه ، فقد كان مكسمليان سعيدا جدا فى تلك اللحظة ، اذ كان فى طريقه الى مسيو نوارتييه الذى أرسل يدعو له لسبب لا يعلمه! ••  
وحين وصل الى الدار أدخله الخادم باروا من مدخل خاص ، ثم أغلق عليه باب حجرة سيده ، وسرعان ما سمع الشاب حفيف ثوب يعلن قدوم فالتنين •• وابتدرته الفتاة قائلة :

- مسيو موريل •• لقد اعتزم جدى أن ينتقل من هذا البيت ، وقد شرع باروا يبحث له عن مسكن ملائم !

فسألتها : « وماذا تفعلين أنت يا آنسة دى فيلقور ، وهو لا غنى له عنك؟ »  
فاجابت بقولها : « انى لن أترك جدى ! هذا شيء مفهوم فيما بيننا ، ولسوف يكون مسكنى قريبا من مسكنه •• واذا وافق أبى على ذلك فسوف أترك البيت على الفور •• أما اذا لم يوافق فسوف أضطر الى الانتظار حتى أبلغ سن الرشد بعد نحو عشرة شهور ، وعندئذ أغدو حرة وتكون لى ثروة مستقلة أستطيع بفضلها ، وبموافقة جدى ، أن أنجز وعدى لك ! »  
ثم التفتت الى جدها وقالت له : « هل أحسنت التعبير عن رغبتك يا جداه ؟ »

فأوما المشلول موافقا ، بينما هتف الشاب وقد استبدت به رغبة فى أن يجثو على ركبتيه خاشعاً أمام نوارتييه وفالتنين : « رباه ماذا فعلت فى دنياى كى أستحق كل هذه السعادة !؟ »

وأشار نوارتييه الى ابريق يحوى شراب الليمون وبجانبه كأس فارغة ، وكان الابريق مملوءا حتى آخره تقريبا ، باستثناء القدر الذى شربه منذ حين •• فقالت فالتنين للخادم الوفى : « هيا يا باروا ، خذ بعض هذه

« الليموناة » فاني أراك تشتيهيها !

فأجاب باروا : « أعترف يا آنستي بأني أكاد أموت ظمأ ، وما دمت قد تعطففت فأذنت لي في ذلك فلست أزعم اني سأمانع في أن أشرب قليلا منها ، نخب صحتك ! »

وفيما كانت فالتنين ومكسمليان يتبادلان تحية الوداع في حضور جدها ، سمعا جرس الباب الخارجي يدق ، فنظرت الفتاة الى ساعتها ٠٠ وفي هذه اللحظة دخل باروا ، فسألته فالتنين : « من القادم ؟ »

فأجاب الخادم وهو يكاد يترنج كمن يوشك أن يسقط : « انه الدكتور دافريني ! »

واذ ذاك سألته سيده : « ماذا بك يا باروا ؟ » ٠٠ لكنه لم يجب ، بل حلق في سيده بعينين جاحظتين ، وهو يستند بيده الى قطعة من الاثاث كي يتجنب السقوط ! ٠٠

وازدادت حدة الاعراض التي بدت على الخادم بالتدريج ، فاستدار وخطا بضع خطوات ثم سقط عند قدمي نوارتييه

وفي هذه اللحظة أقبل مسيو دي فيلفور على صوت الضجيج ٠٠ بينما صاحت فالتنين بزوجة أبيها وهي تصعد السلم لملاقاتها : « تعال بسرعة ، وأحضري معك زجاجة الاملاح المنبهة ! »

فأجابتها السيدة دي فيلفور في صوت خشن غاضب وهي تهبط السلم وقد أمسكت بأحدى يديها مندبيلها ثمسح به وجهها ، وأمسكت باليد الأخرى زجاجة الاملاح المنبعة : « ماذا حدث ؟ » ٠٠ واتجهت بنظرتها الأولى لدى دخولها الغرفة نحو نوارتييه ، الذي كان وجهه - باستثناء الانفعال الذي لا بد يحدثه فيه مثل هذا الحادث - ينم عن اكتمال العافية ! ٠٠ وعندئذ نقلت المرأة بصرها الى الخادم المحتضر ، فشحبه ووجهها على الفور وعادت تنظر الى سيده ٠٠ !

وفي أثناء ذلك هتفت فالتنين بمكسمليان : « اذهب أنت بأسرع ما تستطيع ، وابق حيث أنت حتى أرسل في طلبك ٠٠ اذهب ! »

ونظر الشاب الى نوارتييه مستأذنا في الانسحاب ، فممنحه العجز اذنه وهو محتفظ بهدوئه المألوف ، فقبل الشاب يد فالتنين مودعا ، ثم غادر المنزل عن طريق السلم الخلفي ٠٠ وفي اللحظة التي ترك فيها الحجره دخلها فيلفور والطبيب قادمين من باب آخر ، وكان الخادم المصاب يبدو كأنما استرد بعض وعيه ، فاشترك الرجلان في حمله الى أريكة مريحة ٠٠ وهتف دي فيلفور :

— انظر ، انظر يا دكتور ٠٠ ها هو ذا يعود الى رشده ثانية ، اني لا أعتقد في الواقع أنه أمر ذو بال ! »

فأجابه الطبيب بابتسامة ساخرة وهو يستجوب المريض الذي أفاق :

« بماذا تشعر يا باروا ؟ ماذا أكلت اليوم ؟ »  
فأجاب باروا : « لم أكل بعد ، وإنما شربت قدحا من شراب الليمون  
الذى يخص سيدي ! »  
- وأين هذا الشراب ؟  
- لقد أعدته منذ لحظات الى المطبخ !

فهرع الطبيب نحو السلم الخلفى المؤدى الى المطبخ ، وكاد أثناء اندفاعه  
يصطدم بالسيدة دى فيلفور التى كانت بدورها متجهة الى المطبخ، فصاحت  
تستوقفه . لكنه لم يعبأ بها وهبط الدرجات الأربع الباقية فى قفزة واحدة  
ثم اقتحم المطبخ فوجد الابريق وقد بقى فيه نحو ربع الشراب ، فأخذه فى  
يده وعاد الى الغرفة التى كان فيها ، وأثناء عودته صادف السيدة فيلفور  
صاعدة الى غرفتها فى خطوات بطيئة !

وسأل الطبيب الخادم المصاب : « هل هذا هو الابريق الذى شربت منه ؟ »  
فأجابه : « نعم »

وصب الطبيب قطرات من الشراب فى راحة يده ثم تدفوقها وبصقها فى  
المدفأة . بينما صاح به باروا : « أغثنى يا دكتور ، النوبة ستعود ثانية »  
فأجابه الطبيب : « كلا أيها الصديق ! انك لن تلبث أن تستريح »

فقال الخادم التعمس : « آه ، انى أفهم ما تعنيه ، يا الهى ، ارحمنى ! »  
ثم أطلق صرخة مروعة وسقط على ظهره كأنما أصابته صاعقة ! فجدبه  
الطبيب من إبطيه الى غرفة مجاورة ثم عاد ليأخذ ابريق شراب الليمون  
وقال مخاطبا دى فيلفور : « تعال هنا »

وحين جلسا فى الغرفة التى رقد فيها المصاب سأله دى فيلفور :  
- هل النوبة مستمرة يا دكتور ؟

فأجاب : « بل انه قد مات . لكن هذا ينبغي ألا يدهشك ، فقد سبقه  
كل من المركيز والمركيزة سانت ميران الى مثل هذا المصير العاجل الغريب ! »  
فصاح هذا فى رعب وفزع : « ماذا ؟ ماذا ؟ أما زلت تحوم حول تلك الفكرة  
الرهيبية ؟ »

فأجابه الطبيب : « نعم يا عزيزى ، وسوف أظل كذلك دائما ، فان  
الفكرة لم تبرح ذهنى لحظة واحدة . ولكي تكون على ثقة من انى لم أخطئ  
هذه المرة ، أرجو أن تصغى جيدا لما سأقول : هناك نوع من السموم يقتل  
دون أن يخلف أثرا ، وأنا أعرفه جيدا وقد درستنه فى جميع أشكاله ووسائل  
تركيبه وآثاره . وقد تبينت وجود هذا السم فى حالة باروا التعمس ، كما  
تبينته فى حالة المركيزة دى سانت ميران ، وسوف أجزم بذلك أمام الله  
والناس ! »

فلم يجب فيلفور بكلمة ، واكتفى بأن ضم يديه وفتح عينيه الجاحظتين  
ثم غاص فى أقرب مقعد !

## الانتقام الالهى

انطلق الكونت دى مونت كريستو في طريقه الى داره الريفيه فى «أوتوى»  
يصنحبه تابعه « على » وبعض خدمه الآخرين ، كما أخذ معه بعض جياده  
الجديدة ليستوثق من قدرتها

وبعد حين دخل عليه خادمه « بابتستين » يحمل خطابا على طبق من  
الفضة ، وقدمه له قائلا : « رسالة هامة عاجله ! »

ففض الكونت الخطاب ، وقرأ فيه : « يهمنى أن انبه الكونت دى مونت  
كريستو الى أن رجلا سيتسلل الليلة الى بيته فى الشانزليزه بقية سرقة  
بعض الاوراق الهامة المفروض أنها فى منضدة مكتبه الصغير »

وكان أول خاطر جال بذهن الكونت لدى قراءة الرسالة انها خدعة  
مكشوفة يراد بها تحويل انتباهه الى خطر تافه فى سبيل تعريضه لخطر  
أعظم ! فكاذ يبلغ الأمر الى البوليس ، برغم نصيحة كاتب الخطاب . ثم  
خطر له أن السارق المجهول قد يكون خصما شخصيا له ، فحدث نفسه :  
« انه لا يريد أوراقي ، بل يريد قتلى . انه ليس سارقا ، وانما هو قاتل ! »

واذ ذاك نادى خادمه « بابتستان » وقال له : « عد الى باريس حالا واجمع  
خدمى جميعا وأحضرهم الى هنا ! »

ثم أعرب الكونت عن رغبته فى أن يتناول طعامه وحده والا يخدمه خلاله  
غير تابعه « على » . واذا فرغ من تناوله ، بهدوئه واعتداله المأثورين .  
أشار الى « على » كى يتبعه ، ثم خرج من باب جانبي فاستقل عربته الى غابة  
بولونيا ، وهناك استدار - دون خطة مرسومة - نحو طريق باريس . فلما  
حان الغروب وجد نفسه تجاه داره فى الشانزليزه !

ودلف الى مخدعه ، ثم أشار الى على كى يقف هناك ، ومضى هو وحده الى  
غرفة الزينة فححصها بدقة ، ووجد كل شىء فيها كما تركه ، ومنضدة المكتب  
التيمنية فى مكانها ، والمفتاح على درجها . فأغلقه بعناية وأخذ المفتاح عائدا  
الى باب المخدع ففتح مزلاجه المزدوج ودخل . وفى أثناء ذلك كان « على »  
قد جهز الاسلحة التى طلبها الكونت ، فتسلمها منه ثم وقف خلف نافذة  
من نوافذ المخدع موازية لنافذة غرفة الزينة ومطلّة على الشارع

وانقضت ساعتان على هذا المنوال ، ودقت ساعة الانفاليد مؤذنة  
بانقصاص الليل . ولم يكد صدى الدقة الاخيرة من دقائقها يتلاشى حتى خيل  
الى الكونت أنه سمع صوتا خفيفا صادرا من حجرة الزينة . ثم تكرر

الصوت مرة ثانية ، فثالثة ، فرابعة . . . وعندئذ أدرك الكونت أن يدا بارعة ذات خبرة تحاول كسر زجاج النافذة بماسة . . . وكانت تلك النافذة مواجهة للفتحة التي يستطيع الكونت أن يرى خلالها ، من مكانه ما يجري فى غرفة الزينة . . . ومن ثم ركن بصره على النافذة ، فرأى فى الظلام شبعا يمد يده من خلال الثغرة التي فتحتها فى الزجاج فيفتح النافذة ، من الداخل ثم يثب منها الى الغرفة . . . فهمس الكونت : « يا له من جرى ! »

وفى تلك اللحظة لمس « على » كنف سيده ، مشيرا له من خلال النافذة المظلة على الطريق ، الى شخص يقف فى الشارع فهمس الكونت : « اذن . . . هما شخصان . أحدهما يتسلل الى البيت والآخر يراقب مدخل الدار ! »

ثم أوصى على بالأ يدع الشريك الذى فى الشارع يغيب عن بصره ، واستدار هو ليرقب الشخص الذى دخل حجرة الزينة . . . فرآه يتجه الى منضدة الكتب ويحاول فتحها بطائفة من المفاتيح المصطنعة مستعينا على اختيار المفتاح المناسب بضوء ( بطارية ) ما ليث ضوءها الشاحب أن وقع على وجهه ويديه ، فحدث الكونت نفسه قائلا وهو يتراجع : « يا الهى ! »

وفى تلك اللحظة لمح الكونت تابعه « على » يرفع فى يده آلة حادة أشبه بالفأس فهمس له : « لا تتحرك ، ودع فأسك ، فلن يوحنا الأمر الى سلاح ! »

ثم همس له بوضع كلمات أخرى ، مضى هذا على أثرها دون أن يحدث صوتا ثم عاد بعد حين يحمل رداء أسود وقبعة مثلثة الأركان ! وفى أثناء ذلك كان الكونت قد خلع سترته وصداره وقميصه ثم ارتدى درعا من الفولاذ وفوقه رداء رجال الدين الكهنوتى الأسود ، وأخفى شعره تحت جمة من الشعر المستعار كالتى يرتديها القساوسة ، وحين وضع فوقها القبعة المثلثة الأركان تحول الكونت فى لحظة الى قسيس . . . ثم أخرج من أحد الأدراج شمعة أضاءها . . . وفيما كان اللص مستغرقا فى محاولة فتح القفل فتح الكونت الباب دون صوت وهو يحمل الشمعة بحيث يقع ضياؤها مباشرة على وجهه . . . فدعر اللص بينما قال له الكونت :

— طاب مسأوك يا عزيزى كادروس . . . ماذا تفعل هنا فى هذه الساعة ؟ فهتفت كادروس فى دهشة وذعر : « الأيب بوزوني ١٩ » . . . وأفلتت يده المفاتيح فسقطت على الارض ، وراح يتطلع حوالية باحثا عن وسيلة للهرب ، فلاحه الكونت قائلا : « أرى أنك ما زلت كما عهدتك دائما : قاتلا . . . ألم تقتل الجوهري الذى ابتاع منك الماسة التى أعطيتك اياها ؟ »

فأجاب فى صوت مرتجف : « نعم ، هذا صحيح يا سيدى القس ! »

فعاد يسأله : « من الذى أخرجك من السجن ؟ »

فأجاب : « اللورد ويلمور ! »

فسأله : « أكان ذلك الثرى الانجليزى يتولى حمايتك ؟ »

فأجاب : « لا . . . لم يكن يحمينى أنا ، بل كان يحمى شابا كورسيكيا

كان زميلي في السجن يدعى « بنديتو » .. وقد صار هذا الشاب الآن ابنا  
لثرى عظيم هو الكونت دي مونت كريستو الذى نحن فى بيته الآن ! »  
فقال له الكونت وقد أخذه العجب هو الآخر :

— بنديتو صار ابنا للكونت دي مونت كريستو ؟ كيف كان ذلك ؟  
فقال كادروس : « اعتقد ذلك ، فان الكونت قد أوجد له أبا زائفا ، وصار  
يعطيه راتبا شهريا قدره أربعة آلاف فرنك ، فضلا عن نصف مليون فرنك  
تركها له فى وصيته ! »

فقال الكونت وقد بدأ يفهم : « ما هو الاسم الذى يحمله ذلك الشاب  
الآن ؟ » .. أعنى أندريا كافالكانتى ذلك الشاب الذى استقبله صديقى  
الكونت دي مونت كريستو فى منزله ، والذى سيتزوج من الأتيسة دانجلر ؟ »  
فأوما كادروس موافقا ، بينما واصل الكونت كلامه قائلا :

— كيف تصدق ذلك أيها التعس ، وأنت تعرف حياته وجرأته ؟  
فقال : « لم أشأ أن أقب عقبة فى سبيل صديق من زملائي ! »  
فرد عليه الكونت قائلا : « أنت على حق ، واذن .. سأقول أنا لا أنت  
أبلاغ هذه الحقيقة الى البارون دانجلر .. سأكشف له كل شيء ! »  
وغمغم كادروس قائلا : « انك لن تفعل مثل هذا يا سيدي القس ! »

وفى مثل لمح البرق ، استتل كادروس خنجره وطعن به الكونت فى  
صدره ! .. وشد ما كان عجبه وفرعه حين ارتد الخنجر مكسورا بدلا من أن  
يشق صدر القس المزعوم . وفى اللحظة نفسها قبض الكونت ببسراه على  
معصم كادروس وضغط بقوة جعلت الخنجر يسقط من بين أصابعه المتقلصة .  
فأطلق صرخة ألم حادة ، لكن الكونت استمر يضغط معصم الشقى حتى  
اضطره الى أن يرتدى على الارض وهو يتأوه .. وعندئذ وطأ الكونت رأسه  
بقدمه قائلا : « لست أدري ما الذى يمنعنى من أن أسحق جمجمتك ! »  
فصرخ كادروس : « الرحمة .. الرحمة ! »

وإذ ذاك سحب الكونت قدمه وقال له : « انهض ، خذ هذا القلم والورق  
واكتب ما أملكه عليك »

فجلس كادروس وقد أذهلته قوة القس الحارقة ، وكتب :  
« سيدي .. ان الرجل الذى تستقبله فى بيتك ، والذى تعتزم أن  
تزوجه لابنتك ، هو قاتل فرمى من السجن المؤبد فى طولون ، وقد كان  
يعرف باسم بنديتو ، وكان رقمه ( ٥٩ ) بينما كان رقمى أنا ( ٥٨ ) . وهو  
يجهل اسمه الحقيقى لانه لم يعرف لنفسه أبيا ! »

واستطرد الكونت فقال لكادروس : « هيا .. وقع على الخطاب .. واكتب  
العنوان : (الى البارون دانجلر ، المالى الكبير ، شارع دي لاشوسيه دانتان)  
فكتب كادروس ما أملكه عليه ، وحين فرغ من ذلك صاح به الكونت وهو

يشير الى النافذة : « والآ غرب عن وجهي .

وحين خرج كادروس من النافذة وبدأ يهبط أدنى الكونت الشمعة منه ، كى يرى من فى الشارع أن شخصا كان يمسك الشمعة للص أثناء نزوله! . ثم تركه ومضى مسرعا الى مخدعه حيث أطل من نافذته ، فرأى كادروس يسير على الجدار متجها نحو الواجهة الجانبية للبيت - كمن يحاول الهروب من رفيقه الذى ينتظره فى أسفل - ثم ينزلق على الانابيب بعد أن استوثق من أن صاحبه لم يره . . . لكنه لم يكذب يبلغ الارض حتى تلقاه هذا بطعنة حادة فى ظهره ، فصاح مذعورا : « النجدة ! »

وعلى أثر ذلك فتح باب الدار الخلفى ، وظهر منه الكونت فى ثياب القس ، ومعه على خادمه يحملان مصباحين ، وما لبثا أن تقلا الجريخ الى احدى الحجرات حيث فحص الكونت جراحه الفظيعة وقال محدثا نفسه : « يا الهى ! ان انتقامك قد يتأخر أحيانا ، ولكن كى يتم آخر الأمر على أكمل وجه ! »

بينما نظر على الى سيده فى انتظار تعليماته ، فقال له هذا : « استدع فورا قاضى التحقيق مسيو دى فيلفور ، وهو يقطن فى شارع سمانت أونوريه . وعند مرورك بالمسكن أيقظ البواب وأرسله كى يحضر جراحا »

وحين فتح كادروس عينيه مرة أخرى قال للكونت : « لقد خذلتنى وقتلتنى بعد أن أعد خطة اقتحام هذا البيت ، أملا بلا شك أن أقتل الكونت فيصبح هو وارثه ، أو أن يقتلنى الكونت فيستريح هو منى الى الأبد ! »

فقال له : « تستطيع أن تملى على اعترافك ثم توقع عليه بنفسك ! »

فلمعت عينا الجريخ ارتياحا لفكرة هذا الانتقام السريع ، بينما كتب مونت كريستو هذه العبارة : « انى أموت مقتولا بيد الكورسيكى المدعو (بنديتو) رفيقى فى سجن تولوز ، رقم ٥٩ . تم أعطى الرتبة لكادروس ، فاستجمع هذا كل قواه ووقع عليها . . . ثم خر على فراشه وقد بدأ يحتضر

وهنا قال الكونت دى مونت كريستو وهو يقرب الضوء من وجهه : « انظر الى جيدا ! » . . . ثم خلع الشعر المستعار وترك شعره الطبيعي يسقط على رقبته . . . واذاك هتف كادروس كالمصعوق : « أوه ، لولا شعرك الاسود لقلت انك ذلك الانجليزى ، اللورد ويلمور ! »

فقال له : « كلا . . . لست اللورد ويلمور ، كما انى لست الأب بوزونى » ثم اقترب الكونت من الجريخ وانحنى فوقه هامسا : « أنا . . . أنا . . . فأجفل كادروس ولفظت شفثاه شبه المغلقتين اسما بصوت خافت . . . مذعورا وحاول أن يتراجع ، ثم ضم يديه ورفعهما الى أعلى ، وهو يهتف : « أواه يا الهى ! اغفر لى أننى أنكرتك . . . انك موجود ولا شك » . ثم تنهد تنهدة عميقة وسقط على ظهره . وما لبث أن لفظ نفسه الاخير !

## محاكمة في مجلس الشيوخ

استيقظ « البرت دي مورسيرف » ذات صباح فإذا خادمه يعلن اليه قدوم الصحفي بوشان ، ففرك عينيه وأمر خادمه بأن يقود الزائر الى حجرة الاستقبال التي في الطابق الأرضي .. ثم ارتدى هو ثيابه على عجل وهبط اليه فوجده يلدع الحجرة ذهابا وجيئة ، ثم توقف حين شعر بدخوله ، فابتدره قائلا :

- ان قدومك الى هنا بلا انتظار لزيارتي لك اليوم يبدو فالأ طيبا .. فهل ترى استطيع ان اصفحك قائلا : ( اعترف يا بوشان بانك قد أسأت الى ، واسترد صداقتي ) .. ام انك ستلجئني الى أن اقترح عليك اختيار السلاح الذي يروقك ؟ !

فقال بوشان : « يا عزيزي البرت .. اني عائد لتوى من ( يانينا ) وقد كان يسرنى يا صديقى أن أعتذر اليك ، لكن ذلك النبأ كان صحيحا مع الأسف ، وذلك الضابط الفرنسى فرناند ، الخائن الذى سلم قلعة الوالى وهو يعمل فى خدمته ، كان بعينه والدك .. واليك الدليل فى هذه الورقة ! »

ونشر البرت الورقة التى قدمها له صديقه ، وكانت اقرارا موقعا عليه من اربعة من كبار اهل يانينا البارزين ، يشهدون فيه بان الكولونيل فرناند مونديجو الذى كان يعمل فى خدمة على باشا والى المدينة قد سلم القلعة مقابل مبلغ مليونى ريال ! وكانت التوقيعات الأربعة صحيحة وشرعية !

ولم يكد البرت يفرغ من قراءة الورقة حتى ارتمى متهالكا على مقعد فى الحجرة ولم يعد لديه أى شك فى أن اسم أسرته قد لطمخ بالعار الى الأبد ! وبعد فترة صمت كئيبة طويلة فاض به الحزن فأطلق لدموعه العنان !

ونفض بوشان بعد قليل للانصراف تاركا لالبرت تلك الورقة فتناولها هذا بيد مرتعشة وأحرقها ثملقى بها فى النار !

وبعد ثلاثة أيام نشرت صحيفة أخرى الفقرة التالية : « ان الضابط الفرنسى الذى كان فى خدمة على باشا والى يانينا ، وأشارت اليه صحيفة ( امبارسيال ) منذ ثلاثة أسابيع ، لم تقتصر فعلته على تسليم قلعة المدينة ، بل أنه باع ولى نعمته للأتراك .. وقد كان اسمه وقتئذ فرناند ، لكنه أضاف اليه فيما بعد لقباً من القاب النبلاء فصار يدعى الآن الكونت دي مورسيرف ، وبات يعتبر فى مصاف الأمراء ! »

وهكذا بعث السر الرهيب من قبره فجأة كالشبح المخيف .. وفى اليوم



نفسه ثارت ضجة كبرى في مجلس الشيوخ بين الأعضاء الوقورين بطبعهم ، فحرص كل منهم على أن يصل الى المجلس قبيل الموعد المعتاد ، وتبادل الجميع الحديث في الحدث المروع الذي سوف يسترعى انتباه الجماهير نحو واحد من زملائهم الاعمىين . . وكان بعضهم يعيد قراءة النبا في الصحيفة ، والآخرين يعلقون عليه ويذكرون وقائع وملابس تزيد التهمة توكيدا

وبقى الكونت دى مورسيرف وحده يجهل تلك الأنباء ، فانه لم يكن قد طالع الصحيفة التى نشرتها ، بل انفق الصباح في كتابة الخطابات وفي تجربة جواد جديد . . . وهكذا وصل الى دار المجلس في الموعد المألوف وعلى وجهه سيماء المعتادة من العجرفة والوقاحة ، فهبط من عربته ، ومر خلال ممرات الدار ، ودخل قاعة الجلسة ، دون أن يلاحظ همهمة الحراس أو فتور زملائه نحوه . وكانت الجلسة قد بدأت منذ نصف ساعة ، وأمسك كل عضو في يده بصحيفة الاتهام . . ولكن كما هى العادة دائما - لم يشأ واحد من الأعضاء أن يأخذ على عاتقه مسئولية البدء بالمهاجمة . . وأخيرا نهض عضو له مكانته - وكان ألد خصوم مورسيرف - فارتقى المنصة في ضرامة توحى باقترب اللحظة الحاسمة ، ثم بدأ يتلو ما ورد في الصحيفة . . ولم يتنبه الكونت في البداية للمقدمة . . ولكن لم يكد المتكلم ينطق باسم ( يانينا ) واسم الكولونيل فرناندو مونديجو حتى شحب وجهه شحوبا مخيفا جعل كل عضو يتوجس سرا وهو يسلط عليه عينيه !

وأعقبت تلاوة الاتهام موجة من الضجيج والاضطراب ، والهرج والمرج . . وعلق الجميع أسماعهم بغم المتكلم وهو يعلق على النبا ويختم كلمته مطالبيا بتأليف لجنة تتولى اثبات الاتهام أو دحضه

وبلغ من مفاجأة مورسيرف بهذه الكارثة غير المتوقعة انه لم يحرج جوابا ، فلم ينطق بغير بضع كلمات مبهمة وهو ينظر حواله الى أعضاء المجلس في ذهول . . فعرض الرئيس أخذ الأصوات ، وأسفر الاقتراع عن الموافقة على وجوب التحقيق . . فسئل المتهم عن المهلة التى يطلبها لتحضير دفاعه ، فأجاب من فوره : « أنا اليوم تحت تصرفكم ! »

رأفت لجنة من اثني عشر عضوا لفحص أدلة الاتهام والنفى ، وتقرر أن تبدأ اللجة عملها في الساعة الثامنة من ذلك المساء . فطلب مورسيرف الاذن له في الانسحاب كي يجمع المستندات التى أعدها منذ زمن لمواجهة هذه العاصفة

وفي الموعد المحدد اجتمع أعضاء لجنة التحقيق ، ودخل الكونت دى مورسيرف يحمل في يده أوراقا . وكان هادىء الوجه ، حازم الخطى ، مفرط العناية بزينة العسكرية . وفي تلك اللحظة دخل حارس يحمل خطابا الى رئيس اللجنة ، فقال الرئيس وهو يفض الخطاب ، موجها كلامه الى الكونت دى مورسيرف : « لك أن تبدأ دفاعك يا مسيو مورسيرف »

فقدم الكونت مستندات تثبت أن والى يانينا كان يخصه بنفته الكاملة حتى آخر لحظة ، بحيث انه عهد اليه في مفاوضة السلطان بشأن حياته أو

موته ! .. ثم قدم الكونت الخاتم الذى كان على باشا يختم به أوراقه الرسمية وخطاباته ، وقد اعطاه اياه كي يمكنه من الدخول عليه في أية ساعة بالليل أو النهار ، حتى وهو في جناح الحریم ! .. ثم اوضح الكونت كيف أن مفاوضاته مع السلطان بشأن العفو عن الوالى قد فشلت ، فلما عاد ليذاع عن ولى نعمته ويدفع عنه الأذى وجده قد مات .. ثم قال الكونت :

— لقد بلغ من ثقة على باشا بى أنه وهو يودعنى قبيل سفرى عهد الى فى رعاية محظيته المفضلة وابنتها فى حالة وفاته ! »

وكان رئيس اللجنة قد فض الخطاب الذى سلم اليه ، وقرأه باهتمام ، مرة بعد مرة وهو يرمق المتهم بنظرات حادة ، ثم خاطبه قائلاً : « أنك ذكرت أن والى يانينا عهد اليك فى رعاية ابنته وزوجته ، فماذا تم فى أمرهما ؟ »

فأجاب مورسيرف : « مما يؤسف له يا سيدى أن سوء الجظ لاحقنى فى هذا الشأن كما حدث فى مناسبات أخرى ، فحين عدت كانت « فاسيليكى » وابنتها « هايدى » قد اختفتا ، وقد سمعت فيما بعد أنهما سقطتا فريسة لأحزانهما ، وربما لفقرهما .. ولما لم أكن غنياً ، وكانت حياتى معرضة لخطر دائم ، لم أستطع مواصلة البحث عنهما ! »

وهنا تجهم وجه الرئيس والتفت الى أعضاء اللجنة قائلاً :

— ايها السادة .. لقد سمعتم دفاع الكونت دى مورسيرف . وبقي أن نسأله هل يستطيع أن يقدم لنا شهوداً يثبتون صحة كلامه »

فأجاب الكونت : « الواقع يا سيدى ، أن جميع الذين كانوا يحيطون بالوالى أو الذين عرفونى فى بلاطه قد ماتوا أو اختفوا »  
وهنا استطرده الرئيس فقال :

— لعلك ترحب اذن بسماع شهادة شخص يعتبر نفسه شاهداً هاماً فى النزاع . انه ولا شك قد جاء ليثبت براءة الكونت .. وهانذا أتلو الخطاب الذى تلقيته منه وهو : « سيدى الرئيس .. فى استطاعتى أن أزود لجنة التحقيق بما يلقي الضوء على مسلك اللفتنانة جنرال الكونت دى مورسيرف فى « ايبروس » ومقدونيا ، فلقد حضرت وفاة على باشا ، وأعرف مصير فاسيليكى وهايدى ، ويسرنى أن أضع نفسى تحت تصرف اللجنة ، بل وأطالب بمنحى شرف سماع شهادتى .. وسوف أكون فى حجرة الانتظار بالجلس حين تسلم هذه الورقة اليكم ! »

وبعد خمس دقائق ظهر الحارس ومعه تلك الشهادة فنظر اليها الكونت دى مورسيرف فى دهشة ورعب .. وابتدراها رئيس اللجنة : « هل كنت شاهداً عياناً للأحداث موضوع التحقيق ؟ »

فأجابت الحسناء الجهولة بذلك الصوت العذب الرنان المأثور عن الشقيقات : « نعم ، كنت فى الرابعة من عمري ، ولكن لما كانت تلك الأحداث وثيقة الصلة بحياتى فقد وعيت جميع تفصيلاتها ! »

فسالها الرئيس : « من أية ناحية كانت الأحداث وثيقة الصلة بحياتك ؟ »  
فأجابت : « اننى انا هايدى بنت على باشا والى بانينا من زوجته  
فاسيليكي ! »

فقال الرئيس وهو ينحنى لها فى احترام عميق : « هل تستطيعين اثبات  
هذه الصفة التى تدعينها لنفسك ؟ »

فقالت : « نعم أستطيع ذلك .. فهذه شهادة ميلادى موقع عليها من  
ابن وكبار موظفيه الرسميين ، وهذه شهادة معموديتى - فقد أنشأتنى أمى  
على دينها - ثم هذا خطاب مختوم من رئيس وزراء مقدونيا وأبيروس ..  
وأخيراً - ولعله الدليل الأعظم - هذه وثيقة بيعى وبيع أمى الى التاجر  
الأرمنى ( الكوبر ) بواسطة الضابط الفرنسى الذى احتفظ لنفسه - فى  
مساومته الدنيئة مع الباب العالى - بزوجة ولى نعمته وابنته ثمنا لخيانته  
اياه ! .. وقد باعنا بمبلغ أربعمائة الف فرنك ! »

وأخرجت الفتاة الوثائق من حقيبة حريرية كانت تمسك بها تحت نقابها ،  
ثم سلمتها لرئيس اللجنة !

وغامت على وجه الكونت سحابة من الشحوب المخيف ، واندفع الدم الى  
عينيه ازاء هذه الاتهامات الفاضحة التى أصفى اليها أعضاء اللجنة واجبن ..  
بينما ظلت هايدى محتفظة بهدونها الذى بدأ أفسى من كل ثورة ثم شرع  
المرجم يقرأ بصوت مسموع ترجمة وثيقة البيع ، المكتوبة بالعربية !  
ولم ينطق إلكونت دى مورسيرف بكلمة اثناء تلاوة هذه الوثيقة ، وقد  
تجلت تعاسته على وجهه واضحة الخطوط !

وقال الرئيس يخاطب المتهم : « ان الكونت دى مورسيرف يعلم يقينا أن  
عدالة المحكمة من عدالة الله ، وهى لاتعرف غير وجه الحق ، وعلى هذا لن تدع  
خصومك يسحقونك دون أن تتيح لك فرصة الدفاع عن نفسك ! هل تطلب  
مزيدا من التحقيقات والأدلة ؟ هل نرسل عضوين من اللجنة الى بانينا لهذا  
الغرض ؟ .. تكلم ، أجب ! »

فقال الكونت بصوت خائر : « ليس عندى ما أجب به ! »

فقال له الرئيس : « هل تعنى أن ابنة على باشا صادقة فيما تقول ؟ »

ونظر الكونت حوالبه نظرة تلين قلوب الوحوش ، لكنها لم تستطع أن  
تنسى قضائه واجبههم .. وعندئذ شق سترته التى أحس أنها تخنقه ، وفر  
من القاعة كالمجنون لا يلقى على شىء !

وحين سكنت الجلبة التى أعقبت ذلك قال الرئيس يخاطب أعضاء اللجنة :  
« أيها السادة ، هل ترون ادانة الكونت دى مورسيرف باعتباره قد ارتكب  
جريمة الخيانة وما يلبسها من التصرفات التى تجعله غير مستحق لأن يكون  
عضوا فى هذا المجلس ؟ »

فوافق أعضاء لجنة التحقيق على ذلك بالاجماع !

## مبارزة لم تتم

حمل بوشان الى صديقه المحطم البرت دي مورسرف أبناء محاكمة ابيه ، فلما انتهى من سردها رفع الشاب وجهه الذي كسته حمرة العار وغسلته الدموع ، وامسك بذراع بوشان قائلا :

- يا صديقى .. ان حياتي قد انتهت! .. وبودي لو اعرف خصمى الذى يلاحقنى بهذه الكراهية العمياء لكى اقتله او يقتلنى! .. وانا اعتمد على صداقتك كى تساعدنى فى هذا البحث ، اذا لم يكن الاحتقار قد اقتلع هذه الصداقة من قلبك ! »

فقال له بوشان : « اذكر لك ما احجمت عن الاشارة اليه لدى رجوعى من يانينا! .. لقد توجهت اثناء قيامى بتحقيق الأمر هناك الى مدير البنك الرئيسى فى المدينة كى أسأله عن معلوماته .. وما كدت اشير الى الموضوع قبل ان اذكر اسم ابيك ، حتى بادرنى الرجل قائلا : « اننى اعرف الأمر الذى جاء بك الى هنا . فقد سألتى عنه منذ أيام عميل لى من رجال المال الباريسيين هو مسيو دانجلر »

فصاح البرت : « يا للشيطان .. آه ، انه هو حقا الذى طالما لاحق أبى بغيرته العمياء من المكآنة التى بلغها .. ثم هناك فسخ مشروع زواجى من ابنته دون سبب ، الأمر الذى يزيد المسألة وضوحا! .. اذا كان دانجلر هو المسئول فسوف يموت احدنا قبل ان تغرب شمس هذا اليوم ! »

فقال بوشان : « اذا كنت حقا تعنى ما تقول فينبغى ان تنفذ هذا القرار فوراً . اعنى ان تذهب الآن لمقابلة دانجلر »

وبعد قليل كان خادم البارون دانجلر يعلن سيده برغبة البرت فى مقابلته ، لكن دانجلر - اذ تذكر حوادث اليوم السابق - أبى ان يستقبله .. على أن رفضه هذا لم يجده فتيلاً فان البرت كان قد تبع الخادم الى قرب باب الحجره التى يجلس فيها سيده فلم يكذب يسمع كلمة الرفض حتى اقتحم الباب ، يتبعه بوشان .. فصاح به دانجلر : « سيدى .. اليس لى ان استقبل أو لا استقبل فى بيتى من اشاء ؟! ماذا تبغى منى ؟! »

فأجابه الشاب وهو يدنو منه : « ابغى أن اقترح لقاء فى مكان منعزل لا يزعجنا فيه أحد لمدة عشر دقائق ، هذا يكفى .. وبعدها لن يبقى على قيد الحياة سوى احدنا فقط ! »

فأجابه دانجلر وقد شحبت وجهه من الغضب والخوف :

— دعنى أحذرلك اذن ، فمن عادتى حيثما التقيت بكلب مسعور ان  
اقتله !.. هل هى غلطتى أن يجلب أبوك على نفسه العار ؟ »  
فقال البرت : « نعم أيها النذل التعس انها غلطتك !. من الذى كتب الى  
يانينا يستفسر عن الأمر ؟ »  
فقال دانجلر : « أنا الذى كتبت بلا شك !. واحسب ان من حق كل أب  
يعتزم تزويج ابنته من شاب أن يستفسر ما شاء عن أسرة ذلك الشاب  
وماضيه !.. وأنا اجزم لك بأنه ما كان ليدور بخلدى قط أن أسأل أهل  
يانينا من تلقاء نفسى ! »

— اذن فمن الذى حثك على الكتابة ؟  
— ليس غير صديقك الكونت دى مونت كريستو  
— وهل عرف الكونت الرد الذى تلقيته ؟  
— نعم ، لقد عرضته عليه !

وأحسن البرت أن دمه يصعد الى مخه ، ولم يعد لديه شك في أن الكونت  
دى مونت كريستو متحالف مع خصوم أبيه .. ومن ثم انتحى البرت  
بصديقه بوشان جانبا وصارحه بهذه الخواطر ، فقال له هذا :

— أنت على حق ! ان مسيو دانجلر لم يكن غير عامل ثانوى في هذه المسألة  
المحزنة .. أما المسئول الاول الذى ينبغى ان تطلب منه ايضاحا فهو  
الكونت دى مونت كريستو !

وهنا التفت البرت الى دانجلر قائلا : « فلتعلم اذن أن هذا ليس فراق  
نهائيا بيننا ، الا اذا ثبت لى صحة كلامك . وانى اهب الآن لأطلب ايضاحا  
عن الأمر من الكونت دى مونت كريستو ! »

وعلم البرت أن الكونت موجود في دار الأوبرا فقتضد الى هناك ، ولم يكده  
ينتهى الفصل الثانى حتى اقتحم مقصورة الكونت يتبعه شاهدها : بوشان  
وشاتو رينو .. فابتدره الكونت مرحبا : « طابت ليلتك يا مسيو دى  
مورسيرف »

فأجابه البرت : « نحن لم نأت الى هنا يا سيدى كي نتبادل التحيات  
القائمة على الرياء والنفاق ، والادب الزائف أو الصداقة المزعومة .. وانما  
جئنا لنطلب ايضاحا ! »

فقال الكونت في هدوء : « الحق انى لست أفهمك يا سيدى ، واذا كنت  
أفهمك فلا مفر لى من أن أنبهك الى أن صوتك مرتفع أكثر مما ينبغى ..  
فأنا المضيف هنا ، وأنا وحدى صاحب الحق في أن يعلو صوتى على صوت  
سواى .. فلتفادى مقصورتى حالا ! »

ثم أشار له نحو الباب ، في أروع مظاهر الوقار !  
فأجابه البرت وهو يضرب يده بغفازه : « حسنا !.. سأعرف كيف اجعلك  
تخرج من مكنك ! »

فقال الكونت في هدوء : « مرحى ، مرحى ، أرى أنك تريد أن تتشاجر معي ، لكنني سأعطيك نصيحة واحدة في هذا الصدد يحسن بك أن تعيها جيداً . انه لمن سقم الذوق أن تتظاهر بالتحدي ، فان التظاهر لا يخدع كل إنسان يا مسيو دي مورسيرف ! »  
وعلى كل حال لنتفق من الآن ، ولتكن المباراة بالمسدسات ، في الساعة الثامنة ، في غابة فنسين !

□

وبعد حين استقل الكونت عربته ، وكان هادئاً باسم ، فوصل الى منزله بعد خمس دقائق .. ولم يكده يدخل حتى نادى تابعه عليا وأبندره قائلاً :

— أحضر لي مسدساتي ذات الصليب العاجي ..

وحين أحضرها له تناول أحدها فصوبه نحو طبق حديدي كان يتخذه هدفاً يتدرب عليه ، وفي هذه اللحظة طرق الباب ودخل خادمه بابتستان .. وقبل أن ينطق بكلمة رأى الكونت في الغرفة المجاورة امرأة تضع على وجهها نقاباً مقبلة في أثر الخادم ، فلما رأت المسدس في يد الكونت والسيوف التي على المنضدة أمامه اندفعت داخله .. واذ ذلك خرج الخادم وأغلق الباب .. فدارت المرأة بعينها فيما حولها كأنما لتستوثق من أنهما وحيدان ، ثم انحنت كمن تتأهب للركوع ، وضمت يديها في توسل يأس وهتفت في ضراعة :

— ادمون ! .. أنك لن تقتل ابني يا ادمون !

فتراجع الكونت وأطلق آهة تعجب ، ثم ترك المسدس يسقط من يده وسألها :

— ما هذا الاسم الذي نطقت به يا مدام دي مورسيرف ؟

فصاحت وهي تزيج النقاب عن وجهها : « انه اسمك ! .. اسمك الذي أنا وحدي لم أنسه .. أن مدام دي مورسيرف ليست هي التي تتوسل اليك الآن .. بل مرسيديس ! »

فقال الكونت : « ان مرسيديس قد ماتت يا سيدتي ، ولست أعرف الآن امرأة بهذا الاسم ! »

فقالت : « كلا ! ان مرسيديس على قيد الحياة يا سيدي ، وهي ما تزال تذكر ، فهي وحدها التي عرفتك حين رأتك ، بل عرفتك بصوتك قبل أن تراك يا ادمون ! . ومنذ تلك اللحظة تمتعت خطاك وراقبتك ، وخشيت بأسك ، ولست في حاجة الى أن أسأل عن اليد التي أنزلت الضربة التي يترنح تحت وطأتها الآن مسيو دي مورسيرف .. بل ان ابني بدوره قد استنتج من تكون ، وقد عزا المصائب التي دهمت اباه الى تدبيرك ! »

— أنت مخطئة يا سيدتى ، فهى ليست مصائب ، وإنما هى عقاب ! ..  
ولست أنا الذى يضرب مسيو دى مورسيرف ، وإنما هى العناية الإلهية  
التي تعاقبه !

— ولماذا تمثل أنت العناية الإلهية ؟ لماذا تذكر أنت ما أرادت هى ان يطويها  
النسيان ؟ . ماذا يهمك من أمر ياتينا وواليتها ؟ . ادمون ! . أى اذى الحقه بك  
فرناند مونديجو بخيانتته لعلى باشا ؟

— آه يا سيدتى ، كل هذا امر يخص الضابط الفرنسى وابنة فاسيليكى  
ولا يخصنى أنا ، أنت محقة فى ذلك .. واذا كنت قد أقسمت لأنتقمم لنفسى  
فان هدف انتقامى لم يكن الضابط الفرنسى ، أو الكونت دى مورسيرف  
وإنما هو صياد السمك فرناند ، زوج مرسيديس سليلة عشيرة كاتالان ..

فصاحت الكونتيس : « آه يا سيدى ، يا له من انتقام رهيب من أجل  
غلطة كان القدر هو المسئول عن جعلى أرتكبها .. فالواقع اننى أنا المذنبة  
الوحيدة يا ادمون ، واذا كنت تبغى الانتقام من أحد فليكن انتقامك منى أذ  
التي لم يكن لى من قوة الخلق ما يمكننى من احتمال غيابك ووحدتى .. ! »  
— ولكن .. من كان السبب فى غيابى ، وفى دخولى السجن ؟

— لست أعلم .. وصدقنى !

— اننى أصدقك يا سيدتى ، أو هذا ما أرجوه على الأقل ! .. لكنى سأذكر  
لك السبب . لقد اعتقلت وسحنت لأنه فى اليوم السابق لموعد زواجى منك ،  
وفى مقهى ( لاريزرف ) ، كتب شخص يدعى دانجلر خطابا أرسله لصياد  
فرناند بنفسه الى الجهة الموجه اليها !

ثم مضى الكونت الى درج مكتبه ففتحه وأخرج منه ورقة حال لونها وبهت  
حبرها من طول الزمن ، فوضعها فى يد مرسيديس . ولم تكن سوى خطاب  
دانجلر الى قاضى التحقيق !

فقالت مرسيديس بعد أن قرأتها ، وهى تمر بيدها على جبينها المبلل  
بالعرق :

— يا للفضاعة ! .. وكانت نتيجة هذا الخطاب أن ..

— كانت نتيجته ما تعرفينه جيدا يا سيدتى ، من اعتقالى على المسائدة  
وأيداعى السجن .. لكنك لا تعرفين كم بقيت فى السجن . لا تعرفين أنى  
عشت أربعة عشر عاما فى زنزانة بقصر « أيف » ، على بعد بضعة  
كيلومترات منك ! .. لا تعرفين أنى قضيت تلك المدة أجدد القسم كل  
صباح على أن انتقم .. ولو أنى لم أكن أعلم وقتئذ أنك قد تزوجت من  
فرناند — جلادى — وأن أبى قد مات من الجوع !

فقالت مرسيديس وهى ترتجف : « هل يمكن ذلك ؟ »

فأجابها الكونت : « هذا ما عرفته عند خروجى من السجن .. وهذا  
ما جعلنى أحرص على الانتقام لنفسى من فرناند ، وقد فعلت !

ونكست المرأة التعسة رأسها ، وتركت ذراعها تسقطان الى جانبها ،  
وتخادلت ساقها تحتها . . ثم ركعت على ركبتيها متوسلة قائلة : « اصفح  
يا ادمون ، اصفح من اجلى انا التى ما زلت احبك ! »

فاندفع الكونت نحوها ورفعها عن الارض . . فلما جلست على مقعد  
نظرت الى وجهه المهيب الناطق بالرجولة ، وبالخزن والكرامية ولم تتكلم ،  
فسألها هو : « أتريدين الا اسحق تلك الشجرة اللعينة ، وأن اتناول عن  
هدق في اللحظة التى بلغته فيها ؟ . هذا مستحيل يا سيدتى . . مستحيل ! »  
فهتفت الام التعسة : « ادمون ! . عندما اتاديك باسم ادمون ، لم  
لا تناديني باسم مرسيديس ؟ »

– مرسيديس ؟ ! . . حسنا يا مرسيديس ! . أنت على حق ولا شك  
فما زال لهذا الاسم سحره القديم . . وانها المرة الاولى منذ زمن طويل التى  
انطق فيها به فى وضوح . . اواه يا مرسيديس ! لقد هتفت باسمك فى ظلمة  
اليأس والخزن والجنون . . مرسيديس ! . يجب ان انتقم لنفسى ، فقد  
تعذبت اربعة عشر عاما . . بكيت اربعة عشر عاما ، والآن اصارحك بانى  
ينبغى ان انتقم لنفسى !

– انتقم لنفسك يا ادمون ، ولكن دع انتقامك يحل بالمذنبين لا بالابرياء . .  
انتقم منه ، ومنى ، ولكن ليس من ابنى ! »

– مكتوب فى التوراة ان ذنوب الآباء تقع على الأبناء حتى الجيلين الثالث  
والرابع . . فاذا كان الله ذاته قد املى هذه الأحكام على نبيه ، فلماذا اكون  
انا ارحم من الله ؟

فاستطردت مرسيديس قائلة وهى تمد ذراعها نحو الكونت :

– ادمون ! . منذ عرفتك فى البداية عبتك اسمك واحترمت ذكراك . .  
ادمون يا صديقى ! . لا تلتطخ الصورة النبيلة النقية التى تنعكس على مرآة  
قلبى . . لو عرفت الصلوات التى رفعتها الى الله من أجلك وقت أن كنت  
احسبك حيا ومنذ رجعت انك مت ! . . لقد ظللت عشر سنوات احلم كل  
ليلة بحلم واحد هو انك حاولت الهرب من السجن بوضع نفسك فى كفن  
سجين آخر ميت ثم القيت من قمة قصر ايف فسقطت على الصخور  
وتحطمت جمجمتك ! . . ادمون ، اقسم لك براس ابنى الذى التمس الآن  
عفوك عنه انى لبثت ارى تفاصيل هذه الفاجعة المخيفة كل ليلة طيلة عشر  
سنوات ، واسمع صرختك المروعة ورأسك يصطدم بالصخر ، فكنت  
استيقظ من نومى ارتجف من الفزع وانا احس بقشعريرة كالبرد . .  
وهكذا ترى يا ادمون انى بدورى قد قاسيت آلاما مروعة . . والآن هانذا  
أرى من احببت على أهبة ان يقتل ابنى ! »

فاهت مرسيديس بهذه الكلمات فى لهجة اسى ويأس مريرة ، لم يستطع  
الكونت دى مونت كريستو ازاءها ان يقمع زفرة حسرة موجعة !  
ان الأسد روض نفسه والمتقم قد هزم ! . . ولم يلبث ان قال لها : « ماذا



تطلبين منى ؟ حياة ابنك ؟ حسنا ، انه سوف يعيش ! »  
وهنا اطلقت مرسيديس صيحة جعلت الدموع تلمع في عيني الكونت ،  
وقالت وهي تمسك بيده وترفعها الى شفيتها .  
- شكرا ! شكرا لك يا ادمون ! الآن حققت ظنى فيك ، في الرجل الذى  
احببت على الدوام .. دعنى اعترف بذلك الآن !  
- ليس في ذلك من بأس على كل حال ، فان ادمون المسكين لن يعيش  
طويلا كى يستمتع بحبك . ان الموت لن يلبث ان يعيده الى القبر ، شجحا  
يختفى في الظلام !

- ما تعنى يا ادمون ؟

- اعنى اننى ينبغى ان اموت ، فما احسبك تفترضين ان فى مقدورى  
مواجهة الحياة لحظة واحدة بعد ان اهنت امام الملأ من فتى سوف ينتشى  
بصفحى كما لو كان انتصارا له ! .. ان اول شيء احببته بعدك يا مرسيديس  
هو كرامتى ، وتلك هى القوة التى جعلتنى اسمو على الآخرين .. والآن جئت  
انت فسحقتنى بكلمة واحدة منك .. لذلك ينبغى ان اموت !

- لكنك تعدنى بشرفك ان المبارزة لن تتم ، اليس كذلك ؟

- بل انها ستتم ، ولكن بدلا من ان يسيل دم ابنك على الارض ، سوف  
يسيل دمي انا !

فشهقت مرسيديس ، واندفعت نحو الكونت ، لكنها توقفت فجأة  
وقالت : « ادمون ! ما دمت قد نجوت من كل ما مر بك ، وما دمت قد  
رايتك ثانية على قيد الحياة ، فهناك اذن اله تعلق ارادته ارادتنا .. وانا  
أومن به من صميم قلبى ، وفى انتظار معونته اركن الى وعدك بأن ابنى  
سيعيش ، اليس كذلك ؟

فأجاب الكونت وقد ادهشه تقبل المرأة لتضحيتها الميمية دون تردد :

- نعم يا سيدتى ، سوف يعيش !

- ادمون لم تبق لى غير كلمة واحدة اقولها لك : لئن كنت ترى ان وجهى  
قد ذبل ، وعينى قد انطفأتا ، وجمالى قد ذهب ، فلم تعد مرسيديس  
تشبه المخلوقة التى كانتها فيما مضى .. فانك سترى ايضا ان قلبى لم  
يتغير .. فودعا اذن يا ادمون ، ليس لى ما اطلبه من السماء اكثر مما  
حبتنى به . لقد رايتك ثانية يا ادمون ، ووجدتك نبیلا عظيما كعهدى بك  
فى الماضى .. فودعا يا ادمون ، ودعا .. وشكرا ! »

.. ثم فتحت مرسيديس باب حجرة المكتب واخترت قبل ان يفیق  
الكونت من الصدمة الموجهة التى أحدثها له حيوط انتقامه الرموق !

وحین دقت ساعة الانغالید ایدانا بحلول الساعة الاولى بعد الظهر ، كانت  
عربة مدام دى مورسیرف تبتعد بها فى طريق الشانزليزيه .. بينما رفع  
الكونت دى مونت كريسو رأسه وهتف محدثا نفسه كمن يفیق من حلم :

- يالى من غيبى! .. كيف لم امزق قلبى وعواطفى فى هذا اليوم الذى اعترمت فيه ان انتقم لنفسى؟



وفى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالى مضى الكونت وشاهده مكسمليان موريل الى مكان المبارزة ، حيث تقدم مكسمليان نحو «بوشان» و « شاتو رينو » شاهدى خصمه ، فانجنى الثلاثة بعضهم لبعض فى ادب ، ثم وصل البرت دى مورسيرف فقفز من جواده على بعد خطوات وانضم اليهم !

كان البرت شاحب الوجه غائر العينين ، شأن من لم يذوق طعم النوم طيلة الليل .. وبعد ان شكر الحاضرين على تحشمهم عناء الحضور قال :  
- عندى كلمة اريد ان اقولها للكونت دى مونت كريستو امامكم جميعا ! فتقدم الكونت منه فى هدوء واتزان بتناقضان مع اضطراب خصمه ، ووقف الاثنان تفصل بينهما ثلاث خطوات .. فقال البرت فى صوت مختلج :

- سيدى الكونت! .. لقد وجهت اليك اللوم على تصرفك بصدد مسلك مسيو دى مورسيرف فى « ابيروس » .. وكان من رايى بصرف النظر عن آثامه التى ارتكبها ان ليس لك حق فى مؤاخذته عليها! .. لكنى وقفت بعد ذلك على ما بدد رايى واقنعنى بانك تملك هذا الحق .. وليس غدر فرناند موندييجو بعلى باشا هو الذى من اجله التمس لك العذر ، وانما هو غدر الصياد فرناند بك انت ، والتعاسة البالغة التى لحقت بك بسببه .. وهانذا اقول علانية وعلى رؤوس الاشهاد أنك كنت محقا فى الانتقام لنفسك من ابنى .. وانى - بوصف كونى ابنه - اشكرك لانك لم تقس عليه اكثر مما فعلت ! »

ومد الكونت كريستو يده الى البرت وقد تندت عيناه بالدموع ، فصافحه هذا فى احترام وتوقير اقرب الى الخشوع! .. بينما غمغم الكونت : « حقا ان الله موجود .. الآن فقط اكتمل ايمائى بانى مبعوث من السماء للانتقام ! »



عاد البرت الى منزل ابيه فى شارع هلدر . وبعد ان القى نظرة ساهرة على كل اسباب الترف التى جعلت حياته منذ الطفولة سعيدة سهلة .. بدأ يجمع كل حاجياته مبتدئا بصورة أمه ، واسلحته ، وتحفه ، ثم ترك فى أحد الأدراج المفتوحة جميع النقود التى كانت فى جيبه ، وكشفا بكل الاشياء التى تركها فى الخزائن . وحين فرغ من ذلك سمع صوت عربة تقف أمام الباب ، ورأى أباه يستقلها ثم تسير مبتعدة به .. فاستدار



« ووقف الاثنان تفصل بينهما ثلاث خطوات »

الابن عن النافذة واتجه نحو حجرة أمه . وكأنما تحرك الاثنان بوحى فكرة واحدة ، فقد وجد أمه تفعل مثلما كان يفعله هو منذ برهة ! رأى كل ثيابها ومجوهراتها ونقودها مرتبة في أدراجها ، وهي تجمع مفاتيحها . . . ففهم البرت مغزى ذلك ، وهتف بأمه وقد كاد تأثره يعجزه عن الكلام « أوه يا أمي ، لا يمكن أن تكوني اعترمت مثل ما اعترمته . . . لقد جئت لأودع بيتك ، وأودعك ! »

فأجابته قائلة: « أنا أيضا ذاهبة ! » وقد وطنت نفسى على أنك ستراقبنى فهل ترانى خدعت فى ظنى ؟ »

— سأنفذ جميع رغباتك يا أمي العزيزة ، وما دام عزمك قد استقر على هذا القرار فلنتصرف بحكمة . لقد خرج أبى منذ صهيبة ، والفرصة الآن سانحة كي نذهب دون أن نقدم له ايضاحا ! »

— أنا على أتم استعداد يا ابني !

وخرج البرت ليستدعى عربة ، وقد أعد فى ذهنه خطة الانتقال إلى مسكن مفروش متواضع فى شارع «دى سانت بير» . . . وحين عاد بالعربة وهبط منها لينادى أمه اقترب منه شخص مجهول وسلمه رسالة قائلا « انها من الكونت » ثم اختفى « برتوشيو » من حيث أتى !

ولم يكد الشاب يقرأ الرسالة حتى لمعت فى عينيه الدموع ، ودون أن ينطق بحرف سلم الرسالة إلى أمه ، فقرأت فيها : « عزيزى البرت . . . لقد اكتشفت خططك ، وأرجو أن أقنعك بوجهة نظري . أنت حر فى أن تغادر بيت أبيك وتأخذ أمك إلى بيتك ، ولكن أذكر يا البرت أنك مدين لها بأكثر مما يستطيع قلبك المسكين النبيل أن يبذل لها . فاحتفظ بالصراع لنفسك واحتمل جميع الامك ، ولكن جنب أمك محنة الفقر التى لا بد ستقترون بمحاولتك ، ولو فى البداية . . . فهى لا تستحق شيئا من النكبة التى حلت بها اليوم ، والله لا يجب أن يتألم البرىء من أجل المذنب ! . . . أنا أعلم انكما قد اعترمتما مغادرة منزل شارع دى هيلدر دون أن تأخذا شيئا من أموالكما أو متاعكما . لا تسألنى كيف علمت بذلك ، وانما حسبك انى علمت به وكفى ! . . . »

□

وكان الكونت دى مورسيرف قد توجه بعربته إلى دار الكونت دى مونت كريستو ، حيث أمر رب البيت بإدخاله إلى الصالون . وفيما كان هذا يذرع الحجر للمرة الثالثة ، دخل مضيفه ، قائلا فى هدوء :

— أهذا أنت يا مسيو دى مورسيرف ؟ حسبت انى أخطات السمع !

فقال دى مورسيرف وشفته تختلجان فى انفعال عاقه عن الاستمرار فى الكلام : « نعم ، انه أنا ! »

— وهل لى أن أعرف سبب تشرفى بزيارتك فى هذه الساعة المبكرة ؟

— جئت لأقول لك : اننى بدورى أنظر اليك باعتبارك عدوى .. جئت لأقول لك انى أمقتك بوحى الغريزة ، بحيث يخيل الى أننى طالما عرفتك ، وطالما كرهتك .. وبالأخصار ، ما دام شباب اليوم لن يبنارزون ، فقد بقى علينا أن نفعل .. هل أنت مستعد ؟ .. أنت تعلم أننا سنظل نقتتل حتى يموت أحدنا !

فأوما الكونت دى مونت كريستو موافقا ، وواصل دى مورسيرف كلامه فقال :

— اذن فلنبداً ! .. لسنا فى حاجة الى شهود !

— هذا صحيح ، فنحن نعرف أحدنا الآخر تمام المعرفة ..

— بل بالعكس ، فنحن لا يكاد أحدنا يعرف عن الآخر شيئاً يذكر !

وهنا شحب وجه الكونت دى مونت كريستو شحوبا مخيفا ، ولمعت عيناه ببريق كاللهب ، ثم اندفع نحو غرفة مجاورة وعاد بعد لحظات مرتديا سترة لبحار وقبعة ينسدل من تحتها شعره الأسود الطويل ، وقد عقد ذراعيه فوق صدره وتقدم من غريمه شامتا ، بينما اصططت أسنان هذا وارتنجفت قدماه تحته فأخذ يتراجع فى فزع حتى اصططم بمنضدة فاستند اليها .. بينما صاح به الكونت دى مونت كريستو :

— فرناند ! .. من بين المائة اسم التى أطلقها على نفسى لست فى حاجة الى أن أذكر لك غير اسم واحد ، لعلك عرفته الآن من هيئتي .. فاننى برغم الأحزان والعذاب الذى قاسينته أطالعك اليوم بوجه ترد اليه سعادة الانتقام والتشفى شبابه القديم ! .. وجه لا بد أنك رأيت مرارا فى أحلامك منذ زواجك من مرسيديس ، خطيبتى !

ومد الجنرال يديه مستنجدا من الرعب الشديد الذى اعتراه ، ومضى يتلمس الجدار حتى بلغ الباب فانسحب منه وهو يطلق هذه الصرخة اليائسة : « ادمون دانتيس ؟ ! » .. وما بلغ الباب الخارجى حتى ارتدى بين ذراعى حوذيته الذى عاونه على ركوب العربة ، وعاد به الى البيت !

.. وأمام البيت كانت تقف عربة متواضعة — لم تر من قبل أمام بيت نبيل مثله — فدخل الجنرال الى الداخل ، بينما كانت زوجته وابنه يهبطان السلم ، والفتى يخاطب والدته :

— تشجعى يا أماه ، فلم يعد هذا بيتنا !

فاختفى الأب وراء احدى الستائر فى آخر لحظة وهو يشهق شهقة مروعة لم يصدر مثلها يوما من صدر انسان .. شهقة رجل تهجره زوجته وابنا فى يوم واحد !

وحين بلغ مخدعه أطل ليلقى نظرة أخيرة على العربة وهى تتعد حامله أعز من له فى الوجود .. وفى اللحظة التى كانت العربة تختفى فيها عن ناظريه سمعت طلقة ناربة تصاعد على أثرها الدخان من خلال ثغرة فى زجاج النافذة أحدثها الانفجار !

## سم ينقذ من سم

كان مكسمليان موريل قد عاد من مكان المباراة الى منزل أسرة فيلفور ، حيث كانت فالنتين في انتظاره في غرفة جدتها ٠٠ وأثناء حديثها عن اعتزام جدتها الانتقال بها الى مسكن مستقل بسبب عدم ملاءمة طقس ذلك الحى لصحتها ، قالت له :

— الواقع أنى فقدت شهيتى وصرت أحس كأن معدتى تجاهد كى تألف شيئاً ما !

فسألها مكسمليان : « وأى علاج تستعملين لمداواة هذه الحالة ؟ !

— أبتلع كل صباح ملعقة صغيرة من المزيج الذى أعد من أجل جدى ٠٠ أعنى أنى بدأت بملعقة واحدة والآن أتناول أربع ملاعق ٠٠ وهو مزيج من الطعم الى أقصى حد !

شحب وجه نوارتبيه وهو يصغى الى كلام حفيدته ، كأنما أدرك خطورته ، فأشار لها كى تحضر القاموس لأنه يريد أن يتكلم ٠٠ وفى تلك اللحظة اندفع الدم الى وجنتى الفتاة ، وصاحت وهى تترنج قليلا : « أوه ، هذا غريب ! ٠٠ لست أدرى ، لكن الشمس تسطع فى عيني ! »

واستندت الى النافذة ، فهرع مكسمليان نحوها منزعجا ، لكنها ابتدرته مطمئنة : « لا تقلق ، انه عارض طارىء ، وقد زال ٠٠ ولكن ، أليس هذا صوت عربة تقف أمام الباب ؟ »

وفتحت الباب وأطلت ، ثم قالت : « نعم ، انها مدام دانجلر وابنتها ، جاءتا لزيارتنا ٠٠ الى اللقاء ، فانه ينبغى أن أذهب قبل أن ترسلا فى طلبى ٠٠ ابق مع جدى يا مكسمليان ، والى اللقاء ! »

لبث الشاب يراقبها وهى تهبط السلم المؤدى الى جناح مدام دى فيلفور وجناحها هى ٠٠ وما كادت تنصرف حتى أشار الشيخ المشلول الى مكسمليان كى يحضر القاموس ويترجم اشاراته ، وكان الشاب قد عرف طريقة التفاهم معه هكذا من فالنتين

وقال نوارتبيه للشباب : « احضر الابريق والكوب اللذين فى غرفة فالنتين ! »

فدق الشاب الجرس للخادم ، وأمره باحضار الاتيتين ، وكانتا فارغتين تماما ، فسأله سيده :

— كيف ذلك فالتنتين قالت انها لم تشرب غير نصف محتويات الابريق؟  
وأجاب الخادم بأنه لا يدري ، ولعل الخادمة أفرغت الباقي  
وأشار اليه سيده أن يسأل الخادمة ، فأوماً مطيعاً ثم انصرف وعاد بعد  
حين يقول : « كانت الانسة دى فيلفور تعبر غرفتها الى غرفة زوجة أبيها ،  
حين أحسست بالظماً فشربت ما تبقى في القدرح ، أما الابريق فقد أفرغه  
السيد ادوارد كى يصنع بحيرة تمرح فيها بجعاته ! »

وفى أثناء ذلك كانت مدام دانجلر تنهى الى مضيفتها بشرى خطبة الأمير  
كافالكانتى لابنتها ، وأثناء الحديث التفتت الضيفة الى فالتنتين قائلة :  
« ماذا بك يا ابنتى ؟ لقد تعاقب الشحوب والاحمرار على وجهك أربع مرات  
فى دقيقة واحدة ؟ »

وانتهزت مدام دى فيلفور الفرصة فقالت للفتاة : « يحسن أن تذهبي  
لتستريحى يا فالتنتين ، فانك لست على ما يرام ، ولتشربى قدحاً آخر من  
الماء ، فهو ينفعك ! »

وعلى أثر انصرافها قالت المرأة لضيفتها : « ان أمر هذه الفتاة يزعجنى  
وأخشى أن تكون مصابة بمرض خطير ! »

وأثناء عودة فالتنتين الى حجرة جدتها غامت على عينها سحابة جعلتها  
تنزلق من السلم وتسقط على الارض ، فلحق بها مكسمليان ورفعها بين  
ذراعيه .. وطفرت من عينى نوارتيه صرخة رعب شلت على فمه .. ثم أقبل  
دى فيلفور فهرع نحو ابنته وأخذها بين ذراعيه وصاح قائلاً : « طيب ..  
طيب .. مسيو دافورنى .. أو لعل الأفضل أن أدعوه بنفسى » . وخرج  
على عجل ، بينما خرج مكسمليان من الباب الآخر !

وحين عاد مسيو فيلفور وبصحته الطيب ، كانت فالتنتين قد عادت الى  
وعبها ، لكنها ظلت عاجزة عن الحركة أو الكلام . وبعد أن فحصها وكتب  
لها العلاج مضى الى غرفة نوارتييه وأغلق الباب وراءه .. ثم قال له :  
« أتعتقد أن اليد التى أصابت باروا هي التى تهاجم فالتنتين الآن ؟ » .  
فأوماً موافقاً ، ثم ابتسم وهو ينظر الى زجاجة المزيج الذى يتناول منه كل  
صباح .. فهتف الطيب :

— حسناً ! .. فهمت يا سيدى .. انك جعلت جسمها يألف هذا السم  
بالتدرج قبل أن تعطى الجرعة القاتلة .. ولولا هذا الاحتياط لماتت فالتنتين  
قبل أن تتمكن من اسعافها !

وفى الوقت الذى عاد فيه الطيب الى مخدع فالتنتين ، برفقة أبيها ،  
استأجر راهب ايطالى يدعى السنيور جياكومو بوزونى المنزل الملاصق  
لبيت فيلفور !



فى الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم نفسه كان البارون دانجلر

يذرع حجرة صالونه فى قلق ظاهر ، فى انتظار دخول ابنته التى طلبت أن تتحدث اليه على أفراد فى تلك الغرفة بالذات . ولم تلبث أوجيني أن دخلت مرتدية ثوبا من « الساتان » الأسود ، وقد صفقت شعرها وأمسكت قفازيها كما لو كانت ذاهبة الى دار الأوبرا !

وسألها أبوها : « ماذا تريدين أن تقولى لى ؟ »

فأجابته فى لهجة حازمة جعلته يقفز من مقعده كالمندوع :

— أريد أن أقول باختصار : انتى لن أتزوج الكونت أندريا كافالكانتى !

— ماذا ؟ اصغى الى يا ابنتى، ولسوف أهدئك بالصراحة التى تحبينها .

انتى حين طالبتكم باتمام هذا الزواج كنت أنظر الى هدف خطير من ورائه !

— تعنى أن مركزك المالى مهدد ؟

— نعم يا بنيتى ، وأنا أريد تزويجك من الكونت كافالكانتى لأنه سوف

يضع بين يدي ثروته الطائلة البالغة ثلاثة ملايين من الجنيهات

فقال الفتاة باحتقار : « هذا عظيم ! »

— انت تخشين أن أحرمك من هذه الثروة ؟ ولكن هذه الملايين الثلاثة

سوف تدر ربعا قدره عشرة ملايين أو اثنا عشر مليونا ، بفضل مشروع

امتياز للسكك الحديدية حصلت عليه بالاشتراك مع زميل لى ٠٠ ومطلوب

منى أن أودع خلال أسبوع أربعة ملايين ، مقدار حصتى فى المشروع ، على

أن زواجك نفسه من هذا الثرى كفييل بأن يرد لى سمعتى المالية

— هل تعدنى بأن تسترد مركزك المالى باستغلال هذه السمعة ، دون أن

تمس مبلغ الثلاثة الملايين ذاته ؟ وأن تدفع مهرى البالغ نصف مليون فرنك

عند الزواج ، وأن تترك لى حريتى الشخصية كاملة ؟

— أعدك بذلك !

— إذن سأتزوج مسيو كافالكانتى !

وحددت الساعة التاسعة من مساء اليوم نفسه موعدا لتحرير عقد الزواج ،

فارتدت العروس ثوبا بسيطا أنيقا . بينما جلست أمها تترثر مع بوشان

وشاتو رينو ودبراى ٠٠ وجلس دانجلر يتحدث الى نفر من رجال المسال

المدعويين عن مشروعات الضرائب التى يعتزم تنفيذها اذا عيّن وزيرا ٠٠ ثم

تحدث الكونت أندريا كافالكانتى عن ألوان الترف التى قرر ادخالها على

المجتمعات الرفيعة بفضل إيراده السنوى الضخم !

وفى الساعة التاسعة أعلن وصول الكونت دى مونت كريستو ، وقد

دخل بينما كانت مدام دانجلر تضع توقيعها على عقد زواج ابنتها ، قائلة

لصدقتها مدام دى فيلفور : « أليس من سوء الحظ أن يحول حادث سرقة

دار الكونت دى مونت كريستو ، دون حضور صديقنا مسيو دى فيلفور ؟ »

وهنا قال الكونت دى مونت كريستو ، الذى كان قليل الكلام بحيث

كانت كل كلمة ينطق بها تلتق الاسماع :



- أخشى أن أكون أنا المتسبب بلا قصد فى اعاقه مسيو فيلفور عن الحضور  
.. ولقد عثر خدمى اليوم على سترة السارق الذى قتلته شريكه عند هبوطه  
من نافذة دارى ، وكانت قد فقدت أثناء فحص رجال البوليس والاسعاف  
لجراحه .. وبتفتيشها وجدت فيها ورقة تتضمن خطابا موجها الى البارون  
دانجلر !

وهنا هتف دانجلر متعجبا : « لى أنا ؟ ! »

فقال الكونت : « نعم ! ولما كانت هى والسترة هما الدليل المادى فى  
الجريمة فقد أرسلتهما الى قاضى التحقيق ، خشية أن تكون هناك مؤامرة  
مدبرة ضدك ! »

فقال-دانجلر : « هذا معقول !.. ألم يكن السارق القتييل قاتلا من  
« خريجى » الليمان ؟ »

- نعم .. وهو يدعى « كادروس » !

وهنا شحب وجه دانجلر قليلا ، بينما تسلل الكونت أندريا كافالكانتى  
فى سكون الى خارج الغرفة .. فقال الكونت دى مونت كريستو :

- أرى أن قصتى قد أثارت جوا من الانزعاج ينبغى الاعتذار بسببه  
للبارونة والآتسة دانجلر .. فهل لكم أن تتابعوا اجراءات العقد ؟ »

وكانت البارونة قد فرغت من التوقيع ، وردت الريشة لمسجل العقود ،  
فصاح هذا مناديا : « الامير كافالكانتى .. الامير كافالكانتى !.. أين سمو  
الامير ؟ »

وفى تلك اللحظة اقتحم الصالون نفر من جنود البوليس يتقدمهم ضابط  
اقرب من البارون دانجلر فى حركة مريبة ، فأطلقت البارونة صرخة  
وسقطت مغشيا عليها ، بينما بدا على وجه دانجلر رعب شديد !

وتساءل ضابط البوليس : « أيكم يا سادة يدعى أندريا كافالكانتى ؟ »  
فساد المكان هرج ومرج ، وراح الكل يبحثون عن الامير المختفى ، بينما  
هتف دانجلر مستفسرا : « لماذا تبحثون عنه ؟ »

فأجاب الضابط : « انه مجرم هارب من ليمان طولون ، وهو متهم الآن  
بقتل زميله السابق فى الليمان ، المدعو كادروس ، أثناء فراره من دار  
الكونت دى مونت كريستو ! »

لكن أندريا كان قد لاذ بالفرار .. !

□

دقت الساعة الحادية عشرة ، وفالنتين راقدة فى فراشها تغالب الحمى ،  
بعد أن انصرفت الممرضة منذ عشر دقائق .. وكانت الحمى قد هيأت  
للمريضة ألوانا من الأخيلة والهواجس والرؤى المتتابعة المختلفة .. وكان  
المصباح يرسل ضوءه الضئيل المرتعش ، الذى يرسم أشكالاً وأشباحا  
تزيد فى هواجس المحبومة . وفجأة خيل الى فالنتين أنها ترى باب غرفتها  
يفتح على مهل فى سكون ، ويتسلل منه الى الداخل شبح يقترب من فراشها

متلصصا . وتذكرت فالنتين أن خبر وسيلة لتبديد تلك الرؤى هي أن تشرب  
جرعة من الدواء الذى أعده لها الطبيب ، فمدت يدها لتلمسه . . . وفي هذه  
اللحظة هرع الشبح نحوها كأنما ليمنعها من أن تشرب ، فاستتردت هي  
ذراعها مذعورة ، بينما تناول هو الكأس فسكب فيها ملعقة من دواء كان  
معه . . . ثم همس لها :

– الآن يمكنك أن تشربى !

كادت فالنتين تصرخ مذعورة ، لولا أن وضع الشبح يده على فمها ،  
فغمغمت وقد تبينت شخصيته : « الكونت دى مونت كريستو ؟ »  
فأجابها : « اصغى الى . أو بالأحرى انظرى الى شحوب وجهى واحمرار  
عيني ! . . اننى منذ أربع ليال لم يغمض لى جفن ، كى أسهر على حمايتك ،  
من أجل مكسمليان ! »

فغمغمت فالنتين وقد عاودها الاطمئنان : « هل حدثك بما كان ؟ »  
فقال الكونت لها : « نعم لقد ذكر لى كل شيء ، وأكد أن حياتك عنده  
أثمن من حياته ، وقد وعدته بأنك ستعيشين ! »

– تقول انك سمهت على حمايتى . . . لكنى لم أرك !  
– قضيت معظم وقتى مختبئا خلف هذا الباب ، الذى يقود الى المنزل  
الملاصق ، وقد استأجرته خصيصا لهذا الغرض . . . وأثناء مراقبتى الطويلة  
رأيت الاشخاص الذين يزورونك ، والطعام والشراب الذى يعد لك . وكنت  
كلما وضع لك سم قاتل استبدلت به شرابا صحيا منعشا !  
– سم قاتل ؟ . . ما هذه الاشياء المرعبة التى تحدثنى عنها ؟

– لم تكونى أولى من تعرض لهذا الخطر هنا . . هل نسيت ما حدث  
للمركيز والمركيزة دى سان ميران ، ولذلك الخادم الامين ( باروا ) . . . لقد  
سقطوا جميعا صرعى بالطريقة نفسها ! . . وكان المنتظر أن يلقى المسيو  
نوارتييه مثل هذا المصير فيموت بالسم أيضا . لولا أن العلاج الذى يتعاطاه  
منذ ثلاث سنوات أعطاه مناعة ضده !

– يا للسما . . اذن فهذا هو السبب الذى جعل جدى يسقينى من  
دوائه طيلة الشهر الاخير ؟

– انه دواء مر مذاق ، أليس كذلك ؟ اذن فجدك يعلم أن قاتلا يعيش  
تحت سقف هذا البيت ، ولعله يرتاب فى شخصه . . وقد حرص على أن  
يحصنك – وأنت مجبوته – ضد ذلك السم . ولكن حتى هذا التحصين  
لم يكن لينقذك من سلاح آخر مميت استعمل ضدك خلال هذه الايام الاربعه  
الآخيرة !

– ولكن من يكون هذا القاتل ؟

– ألم ترى أحدا يدخل غرفتك أثناء الليل ؟

– لقد طالما رأيت أشباحا تقترب ثم تبتعد ، لكنى حسبتها من خيالات  
الحواس ، كما حسبتك أنت فى البداية !

- اذن تدرعى بكل شجاعتك ، وارهفى سمعك لكل صوت ، وراقبى كل شيء جيدا خلال تظاهرك بالنوم .. وعندئذ ترين كل شيء !  
فأمسكت فالنتين بيد الكونت وهمست : «أعتقد أنى أسمع صوتا يقترب .. اتركنى الآن ! »  
- الى اللقاء اذن

ومشى الكونت على أطراف أصابعه الى الباب الذى دخل منه ، فاخفى وراءه .. ومرت عشرون دقيقة ، بطيئة ، رهيبة ، ثم فتح باب غرفة فالنتين دون صوت .. ولمحت شبحا يقترب من فراشها ، ثم يهمس : «فالنتين ! .. فالنتين ! » فلما لم تجب ، سمعت سائلا يصب فى الزجاجة التى تشرب منها . واذ ذاك بذلت جهدها كى تفتح أحنائها قليلا وتنظر من خلالها .. فرأت امرأة تصب فى الماء سائلا من قارورة معها .. ولم تكن هذه المرأة سوى زوجة أبيها ، مدام دى فيلفور !

ولم تفق فالنتين من ذهول المفاجأة الذى استمر دقائق بعد خروج المرأة الآتية الا حين فتح الباب المقابل فى سكون ودخل منه الكونت دى مونت كريستو وقال لها : « تنزعجى من أى شيء يحدث لك ، حتى لو شعرت بأنك فقدت النظر أو السمع أو الوعي .. أو حتى لو صرحت فوجدت نفسك داخل نعش مغلق ! .. وانما قولى لنفسك عندئذ : ( هناك صديق ، بمثابة أب ، يعيش من أجل سعادتى وسعادة مكسمليان ، وهو سيحمنى ) .. ذلك لاننى وحدى من يستطيع انقاذك ، وسأفعل ! »  
ثم أخرج من جيبه حبة فى حجم الحمصة وقدمها لها ، فابتلعتها .. واذ ذاك قال لها : « الآن يا طفلى المحبوبة ، وداعا الى حين » .. ثم اختفى !  
وفى الصباح استبطأت المريضة يقظة المريضة فدخلت لتنوقظها .. فلما رأتها هامدة ، بيضاء الشفتين صرخت مدعورة .. فدخل على صوت صرختها الطبيب دافرينى وقال : « ماذا ؟ أهى الأخرى أيضا ؟ رباہ ! »



سبط الكونت دى مونت كريستو من عربته أمام منزل البارون دانجلر ، واستقبله هذا بابتسامة حزينة قائل :

- أجنث تعزبنى ؟ لقد تكاثرت المصائب فى بيتى ، فقد فرت ابنتى وهجرتنى ، بعد فضيحة كافالكانتى !

فقال الكونت فى هدوء : « ان أى حادث من النوع الكفيل بتحطيم من لا يملك كنزا غير ابنته ، يصبح محتملا فى نظر من يملك الملايين ! »

فقال البارون دانجلر : « اذا كان الثراء يجلب التعزية فينبغى أن أتعزى فانى ثرى .. وفى اللحظة التى دخلت فيهاكنت قد فرغت من توقيع صكوك بمبلغ خمسة ملايين من الفرنكات ! »

فسأله الكونت : « هل هي مستحقة الدفع فوراً ؟ » . واذ أوماً موافقاً قال له :

- اذن سأقبل المغامرة ! لقد فتحت عندك حساباً بستة ملايين من الفرنكات ، لم أسحب منها حتى الآن الا تسعمائة ألف فرنك ، أى أن لى عندك خمسة ملايين ومائة ألف ، لكننى سأخذ هذه الصكوك التى تساوى خمسة ملايين وأعطيك ايضالاً بأنى تسلمت كل حسابى ٠٠! انى فى حاجة الى هذا المبلغ اليوم !

وسارع الكونت الى وضع الصكوك فى جيبه ، فبدا الفزع على دانجلر وقال له : « ولكن ٠٠ ولكنى مدين بهذا المبلغ لجهة ما ، وقد وعدت بدفعه اليوم ! »

- اذن تدفع لى المبلغ بأية وسيلة اخرى غير هذه الصكوك ٠٠ ولو أنى كنت سأفأخر بأن بنك دانجلر قد دفع لى خمسة ملايين من الفرنكات فى اللحظة التى طلبتها فيها ٠٠ انه أمر يدعم الثقة فيك !

وظافت بذهن دانجلر فكرة مفاجئة ، فرضخ لطلب الكونت

وفيما كان الكونت دى مونت كريستو يتأهب للانصراف دخل ممثل الجهة التى تدين دانجلر بالخمسة الملايين ، فقال له البارون :

- لقد سبقك الكونت دى مونت كريستو فأخذ من حسابه مبلغ خمسة ملايين من الفرنكات ، ولو أنى حررت فى يوم واحد صكوكاً بعشرة ملايين لأحدث ذلك هزة فى السوق ، فهل لك أن تحضر ظهر غد ؟

فوافق الرجل على ذلك وانصرف ، بينما همسن دانجلر لنفسه :

- فى هذا الموعد سوف أكون فى مكان بعيد !

أما فالتين فدفنت فى مقبرة «الأب لاشيز» ، وأغرق أبوها نفسه فى العمل ، لكنه عجز مع ذلك عن أن ينساها ٠٠ فدخل ذات يوم جناح زوجته ، وكانت جالسة تقلب بعض الصحف والمجلات ، وقد ارتدت ثيابها وقفازيها تأهباً للخروج ٠٠ وبادر فيلفور فأحكم اغلاق الباب بالرتاج ثم وقف بين زوجته وبين الباب ، فسألته وهى تحاول أن تقرأ أفكاره : « ماذا هناك ؟ »

فقال لها : « سيدتى ٠٠ أين تحتفظين بالسم الذى تستعملينه ؟ »

فانطلقت من المرأة صرخة أو شهقة مكتومة ، وشحب وجهها شحوب الاومات ، وأجابته متلعثمة : « انى ٠٠ انى لا أفهم ماذا تعنى ! »

- لقد سألتك أين تخفين السم الذى قتلت به صهرى وحماتى وخدام

أبى ثم ابنتى ؟

- ما هذا الذى تقول ؟

- ليس لك أن تسأل بل عليك أن تجيبى فقط !

- هل أجب القاضى أم الزوج ؟

- القاضى يا سيدتى ٠٠ القاضى !

فأخفت المرأة وجهها بين يديها وغمغت : « أواه يا سيدي ! أتوسل اليك .. لا تصدق الظواهر ! »

- يا. لك من جبانة ! لقد طالما لاحظت جبن أمثالك من الذين يقتلون بالسلم . ولكن فاتك وأنت تعددين سمومك وتزيلين آثارها ببراعة تبلغ حد الإعجاز ، أن تقدرى النهاية التى سوف تقودك إليها آثامك . ولكن لعلك قد احتفظت ببقية من سمك العجيب الفعال كى ينتجيك من العقاب الذى تستحقينه ! ..

فركمت الزوجة الشابة على ركبتيها ومدت اليه يدها مناشدة، فقال لها: « أرى انك تعترفين بجرائمك، لكن الاعتراف للقاضى فى آخر لحظة لا يخفف من شدة العقوبة . على أن زوجة القاضى الاول فى العاصمة ينبغى ألا تموت على المشنقة فتلطف بضرية واحدة سمعة زوجها وابنها . سيديتى ، انه لتصرف حكيم منك أن تموتى بذلك السلم نفسه !

وارتمت عند قدمى زوجها وهى تطلق ضحكة هستيرية مخيفة ، فقال لها وهو يهم بمغادرة الغرفة : « فكرى فى الأمر يا سيديتى ، وسأخرج الآن فإذا وجدت عند عودتى أن العدالة لم تأخذ مجراها فسوف أبلغ صدك بلسانى ، وأقبض عليك بيدي ! »



تمكن البوليس من القاء القبض على المجرم الهارب اندريا كافالكانتى - أو « بنديتو » - ثم قدم للمحاكمة بفضل الجهود التى بذلها مسيو دى فيلفور قاضى التحقيق، وقد افتتن فى صياغة تقرير الاتهام بأسلوبه القوى الصارم . وفى الجلسة نودى المتهم وتليت عليه التهمة ثم سأله القاضى :

- اسمك ولقبك ؟

- اسمح لى يا سيدي أن أجيب عن أسئلتك غير الترتيب التقليدى المتبع، والا فلن أجيب على الاطلاق !

فنظر القاضى الى المحلفين فى دهشة . ونظر هؤلاء بدورهم الى فيلفور . بينما ظل المتهم محتفظا بهدوء عجيب !

- سنك ؟

- سوف أبلغ الحادية والعشرين بعد أيام قلائل . فقد ولدت ليسلة ٢٧ سبتمبر سنة ١٨١٧ فى صاحية أوتوى القريبة من باريس !

وهنا رفع فيلفور رأسه عن الاوراق التى كان يكتب فيها ، وشحب وجهه لدى ذكر تاريخ الميلاد ومكانه . . . بينما مسح المتهم شفثيه بمنديل فأخر ! وعاد فيلفور يسأله : « مهنتك ؟ »

فأجاب : « فى البداية كنت مزيفا ، ثم صرت لصا ، وأخيرا أصبحت قاتلا ! »

وأحدثت هذه السخرية ضجة في صفوف المحلفين والنظارة ، ونظر الجميع الى المتهم الوقح باشمئزاز ، بينما احمر وجه فيلفور وتامل في مقعده كمن يبغي هواء يتنفسه . . . فسأله المتهم وهو يتنسم : « هل تبحث عن شيء يا سيدي المحقق ؟ »

ولم يجب فيلفور ، فتابع الرئيس استجواب المتهم :

- والآن ، هل لك أن تذكر اسمك ؟

- لست أستطيع ذلك ، لاني لا أعرفه . . . لكنني أعرف اسم أبي . وفي وسعي أن أذكره لكم !

وهنا تساقطت قطرات العرق من جبين فيلفور على الاوراق التي أمسكها بيده المتقلصة . . . بينما استطرده المتهم فقال في هدوء :

- ان ابي يشغل منصب قاضي تحقيق !

فتساءل الرئيس ذاهلا ، دون أن يلحظ الانزعاج البادئ على فيلفور :

« قاضي تحقيق ؟ . . . تقول قاضي تحقيق ؟ »

- نعم ، واذا أردتم معرفة اسمه فسأذكره لكم . . . انه يدعى « فيلفور » !  
واذ ذاك انفجرت بين النظارة العاصفة التي حاولوا في البداية قمعها توقيرا للمحكمة . . . وشخصت العيون جميعا نحو فيلفور ، وكان كأنما حولته الصدمة الى جثة هامدة . . . بينما تابع المتهم اعترافه في صوت قوى فقال :

- أيها السادة . . . اني مدين لكم بالبراهين المثبتة لأقوالى . . . لقد ولدت في المنزل رقم ٢٨ شارع « النافورة » في حجرة مبطنة بالحريير الاحمر . . . ثم أخذني ابي بين ذراعيه ، بعد أن ذكر لأبي أنني ولدت ميتا ، ولغني في منشفة عليها حرفا « هـ ن » ثم حملني الى الحديقة حيث دفنني حيا !

وسرت بين المحلفين قشعريرة رهيبية ، بينما تابع الرئيس أسئلته :

- كيف وقفت على كل هذه التفاصيل ؟

- كان هناك شخص أخذ على نفسه أن ينتقم من ابي ، فكمن له في الحديقة في تلك الليلة ، حتى رآه يدفن صندوقا في الارض ، فطعنه بسكينه ثم أخرج الصندوق الذي حسبه يحوى كنزا ، فلما وجدني حيا أخذني الى ملجأ اللقطاء في باريس حيث بقيت به ثلاثة أشهر حتى أخرجتني منه زوجة أخيه وعادت بي الى بيتها في ( كورسيكا ) . . . وهناك نشأت في رعاية أولئك القوم الطيبين . . . لكن الوضع المقلوب الذي صاحب مولدى طغى على الفضائل التي حاولوا بنها في قلبي . . . فتموت في الرذيلة حتى صرت مجرما . . . وذات يوم كنت ألعن الاقدار التي خلقتني شريرا فقال لي منقذى : ( لا تجدف على الاقدار أيها الفتى التعس ، فالجريمة جريمة أبيك الذي نذكر للبحيم حين دفنك حيا كي تموت خاطئا ، قبل أن يدركك غفران الله )

« ومنذ ذلك اليوم كفت عن التجديف على خالقي ، وصرت ألعن ابي ! »

ولهذا نطقت الآن بهذه الاقوال التي ملأت قلوبكم اشمئزازا .. فاذا كنت قد ارتكبت بذلك جريمة اضافية فعاقبوني، واذا شعرت معي بأني منذ يوم مولدى لاحقتنى الاقدار بالأسى والمرارة والبؤس ، فارتوا الحالى ! »

وسأله الرئيس : « وأمك ؟ »

فأجاب : « أمى بريئة .. فقد حسبتهى ميتا .. لذلك لم أعبا حتى بأن أعرف اسمها ، ولست أعرفه ! »

وعندئذ انطلقت من بين صفوف النظارة صرخة ثاقبة صادرة من امرأة كانت تغطى وجهها بنقاب .. فلما أجهشت بالبكاء فى نوبات هستيرية سقط النقاب عن وجهها فعرف الجميع فيها « مدام دانجلر » .. ولم يكذبصر فيلفور يقع عليها حتى هب من مقعده واقفا دون وعى منه .. وتابع الرئيس أسئلته للمتهم قائلا :

— الأدلة .. الأدلة .. تذكر يا هذا أن هذه الاقوال المروعة يجب أن تستند الى أدلة حاسمة !

فأجاب بنديتو ضاحكا : « تريدون الأدلة ؟ .. انظروا اذن الى وجه مسيو دى فيلفور ثم طالبونى بالأدلة ! »

واتجهت جميع الانظار الى قاضى التحقيق ، الذى عجز عن مواجهة آلاف العيون المسلطة عليه .. فنهض من مقعده وسار مترنحا مشعث الشعر وقد بدت على وجهه خدوش أطافره ، فانطلقت من الجميع غمغمة دهشة .. وخاطبه المتهم قائلا :

— أبى ! انهم يطالبوننى بالأدلة ، فهل تريدنى أن أقدمها ؟

وهنا قال فيلفور : « كلا .. لا فائدة من ذلك ! »

فصاح به الرئيس : « ماذا تعنى ؟ »

فقال : « أعنى أنني أشعر باستحالة مقاومتى لليد الجبارة المميته التى تسحقنى .. اننى الآن بين يدى اله منتقم جبار ، ولستم فى حاجة الى أدلة ، فان كل ما ذكره هذا الشاب صحيح ! .. وانى منذ هذه الساعة أضع نفسى تحت تصرف ممثل الاتهام الذى سيخلفنى ! »

ثم سار نحو الباب كمن يمشى نائما ومضى الى منزله حيث دخل غرفة زوجته ، وصاح بها : « هيلويز ! .. هيلويز ! .. هيلويز ! »

ووجدتها واقفة فى وسط الغرفة شاحبة الوجه غائرة العينين ، فهتف بها : « هيلويز ، ماذا حدث ؟ »

فأجابت فى حشجة بدت كأنها تمزق حلقيا :

— لقد تم لك ما أردت .. ماذا تبغى بعد ذلك ؟ !

ثم سقطت بكل ثقل جسمها على الارض .. فهرع فيلفور نحوها وأمسك بيدها التى كانت متقلصة على قنينة صغيرة ثم هتف : « رباه ! .. لقد ماتت ! »

واندفع كالمخبول الى خارج الغرفة وهو يصرخ : « ادوارد .. ادوارد .. !  
أين ابني ؟ يجب ابعاده عن البيت حتى لا يرى ! »  
فأجابه الخدم : « السيد ادوارد في غرفة والدته .. لقد اسندعته منذ  
نصف ساعة ولم يخرج ثانية ! »  
وأسرع عائدا الى تلك الغرفة فانطلقت من صدره صرخة مروعا وهو يلمح  
جثة ابنه في ركن قصي وعميم : « انها يد الله ! » .. ولم يستطع البقاء في  
رفقة حثتين ، وكانما أراد ان يجد شخصا يقص عليه أحزانه ويبكي الى  
جواره .. فمضى الى غرفة ابنه !

وهناك وجد نوارتييه يصغى بانتباه الى الأب « بوزوني » ، الذي كان  
عادثا باردا كعادته .. فقال له فيلفور : « هل أنت هنا يا سيدي ؟ ..  
أولا تظهر الا في صحبة الموت ؟ »

فالتفت الأب بوزوني اليه ، واذ رأى هيئة فيلفور أدرك أن القضيحة التي  
دبر أمر اثارها في المحكمة قد تمت طبقا لحطته المرسومة . فأجاب : « لقد  
جئت لأصلي على جثمان ابنتك .. ولا أقول لك انك قد دفعت دينك بما فيه  
الكفاية ، وانتي منذ هذه اللحظة ساصلي الى الله كي يغفر لك ، كما أغفر لك  
انا أيضا ! »

فهتف فيلفور وهو يتراجع الى الخلف مفرعا : « يا للسماء ! .. ليس  
هكذا صوت الأب بوزوني ! »

فابتسم هذا وأوما موافقا ، ثم خلع عباءته وشعره المستعار ، وأسدل  
شعره الطبيعي على عنقه .. فصاح دي فيلفور مرتاعا : « الكونت دي مونت  
كريستو ! »

— انك لست مصيبا تماما يا سيدي القاضي .. ينبغي أن ترجع بذاكرتك  
الى الوراء أكثر من ذلك لكي تعرف مواطنك القديم ادمون دانتيس  
وجن جنون دي فيلفور ، وانطلق يعدو حتى بلغ الحديقة ، فأخذ يحفر  
الارض بفأس في يده وهو يصيح :  
— انه ليس هنا .. ليس هنا ! لكنني سوف أجده .. سوف أجده ولو  
ظلمت أحفر الى الأبد !

وكانما خشى الكونت أن تنطبق عليه جدران البيت المشؤوم فاندفع الى  
الشارع وهو يسائل نفسه لأول مرة عما اذا كان قد أصاب أم أخطأ فيما  
فعل .. ! « أوه ، كفى .. كفى .. فلأنقذ الاخيرة ! »

وحين بلغ منزله وجد مكسميليان في انتظاره ، فقال له وهو يتبسّم :  
أعد نفسك للسفر يا مكسميليان .. فسوف تغادر باريس غدا ! »  
— ليس عندك ما تفعله هنا بعد الآن ؟

— كلا ! فالله يشهد أنني فعلت أكثر مما ينبغي !  
وفى اليوم التالي رحلا . يرافقهما من الخدم « بابتستان » وحده . فقد



أخذت هايدى عليا معها ، وبقي « برتوشيو » مع نوارتييه !



دخل البارون دانجلر بعربته مدينة « روما » من طريق بوابة « ديل بوبولو » . ثم اتجه بها الى اليسار حتى أمر الحوذي بالوقوف أمام باب « فندق أسبانيا » . وهناك دخل فتناول وجبة شهية وسأل عن عنوان بنك « تومسون وفرنس »

وحين غادر الفندق بصحبة الدليل انسل من جمهرة المتسكعين عند الباب شخص تبع البارون ودليله بخفة رجال البوليس السري وبراعتهم . . . ولما دخلا البنك تبعهما الى الردهة الداخلية حيث كلف دانجلر أحد الكتيبة بإبلاغ المدير نبأ حضوره ، ثم أدخل الى حجرة المدير بعد قليل ، بينما جلس مراقبه على أحد المقاعد بالردهة أمام الكاتب الذى انصرف عنه نحو خمس دقائق . ثم رفع رأسه عن أوراقه ، واذا اطمان الى أن أحدا لا يسمعه غير ذلك المراقب قال يحدثه : « أهذا أنت يا بينو ؟ »

فرد عليه هذا هامسا : « لعلك وجدت فى هذا السيد صيدا دسما ؟ »

فقال الكاتب : « كيف لا ، وقد جاء ليسحب خمسة ملايين من الفرنكات بايصال من الكونت دى مونت كريستو ؟ »

وسأله المراقب : « كيف عرفت كل ذلك ؟ »

فأجاب : « لقد أخطرنا به من قبل ! »

ثم خرج دانجلر متهلل الوجه ، فودعه المدير حتى الباب . . . ثم تبعه « بينو » بعد ذلك !

وفى الصباح استيقظ دانجلر متأخرا ، فتناول افطاره ثم أمر بإعداد العربة للسفر . معتزما الرحيل الى البندقية ، حيث يتسلم جانبا من ثروته التى بقيت له ، ثم يتابع السفر الى فينا ، حيث يتسلم بقيتها ويقيم هناك على أنه لم يكدهم يقطع بعربته ثلاثة فراسخ بعد روما حتى أوقفت عربته فجأة وفتح بابها ، وأطل منه أربعة من رجال العصابات المسلحين ، أمره أحدهم بالهبوط ، ثم عصبوا عينيه وقادوه الى مغارة فى قلب الصخر ، حيث أدخلوه زنزانا خالية نظيفة تقع تحت سطح الارض بعشرات الامتار ، وفى ركن منها فراش من القش مغطى بجلد الماعز . . . ثم أغلقوا عليه الباب !

ومر يوم كامل ، ذاق فيه المليونير السجن آلام الجوع ، وتذبه أخيرا على حركة بقرب الباب ، فاذا « بينو » يجلس خارج الزنزانة بعد طعاما شهيا وقد وضع الى جواره زجاجة من النبيذ وسلية من العنب . . . فسأل لعاب دانجلر ، وطرق الباب بخفة ، فأقبل عليه اللص يسأله : « هل فحامتك جائع ؟ »

فقال له : « عجباً ! كيف لا وأنا لم أتناول طعاماً منذ ٢٤ ساعة ؟ »  
نعم يا سيدي ، اني جائع ٠٠ جائع جدا ! «  
فسأله ببيئو : « ماذا تحب من ألوان الطعام ٠٠ اننا هنا جميعاً رهين  
إشارة فخامتك ! »

— أريد دجاجة ، وسمكا ٠٠٠ أى شيء ٠٠ المهم ان آكل !  
وعندئذ نهض اللص وصاح كما يفعل النذل في المطاعم : « دجاجة محمرة  
إصاحب الفخامة ! »

ولم تمض لحظات حتى أقبل شاب نصف عار يحمل على رأسه صينية  
بها الطبق المطلوب ، فوضعه اللص أمام السجين ٠ ولم يكده هذا يتناول  
السكين والشوكة ويهم بقطع الدجاجة حتى استوقفه « ببيئو » قائلاً :  
— العادة هنا أن تدفع قبل الأكل ، فقد لا يعجبك الطعام !

وقال دانجلر لنفسه : « لقد سمعت أن الدجاج رخيص هنا في إيطاليا ،  
حتى ان الدجاجة لا يزيد ثمنها على ١٢ سنتيماً ، ولن أدعهم يخدعوني ! »  
ثم أخرج من جيبيه ليرة قذف بها الى اللص ، فتناولها هذا ولكنه استوقف  
السجين عن : « كل مرة أخرى قائلاً في هدوء :

— فخامتك مدين لي الآن بمبلغ ٤٩٩٩ ليرة !

ففتح المليونير فاه ذاهلاً ثم قال ساخراً : « كم أنت لطيف ! يا لها من  
دعابة ! ٠٠ البك ليرة أخرى ودعني آكل ! »

فأخذ اللص الليرة الجديدة في عدم مبالاة وقال : « يبقى لي في ذمتك الآن  
٤٩٩٨ ليرة ٠٠ سأحصل عليها في الوقت المناسب »

فقال دانجلر وقد ساءه أن الدعابة طالته : « انك لن تحصل عليها على  
الإطلاق ٠ اذهب الى الشيطان انت ودجاجتك ما دمت لا تعرف مع من  
تتعامل ! »

وهنا أشار ببيئو الى الشاب نصف العاري ، فرفع المائدة ورجع بها من  
حيث أتى ، بينما عاد اللص الى تناول طعامه خارج الباب !

وارتمى دانجلر على جلد الماعز ، وانقضت ثلاثون دقيقة بدت له قرناً من  
الزمان ، فلما عجز عن تحمل آلام الجوع ، نهض واتجه الى البساب وهتف  
قائلاً : « تعال هنا يا سيدي ٠٠ لماذا تدعني أموت جوعاً ؟ ٠٠ قل لي ماذا  
يطلبون مني ؟ »

فأجاب : « انك أنت يا سيدي الذي ينبغي أن تطلب ٠٠ مر ونحن ننفذ ! »

— اذن افتح الباب فوراً ٠٠ اسمع يا هذا ٠٠ أريد شيئاً آكله ، أفقههم ؟

— أى لون من الطعام تفضله ؟

— قطعة من الخبز الجاف ، ما دام الدجاج يباع في هذا المكان اللعين بسعر

جنونى !

— خبز ؟ حسناً ! اذن تدفع أربعة آلاف وتسعمائة وثمانية وتسعين ليرة ،

فقد دفعت فخامتك ليرتين مقدما ٠٠! ان كل ألوان الطعام هنا سواء في الثمن ! وفخامتك تملك خمسة ملايين وخمسين ألف فرنك ، أى ثمن خمس دجاجات ونصف دجاجة ٠٠!

وهنا ارتعد دانجلر ، اذ انكشفت الحقيقة لعينيه ، وأدرك مدى الخطر الذى يهدده ، فصاح باللص :

— انكم تريدون تجريدى من كل شيء ٠٠ الأفضل من ذلك أن تنهشوا لحمى وعظامى ! أين هو كبيركم ؟ أريد أن أراه حالا !

وفى اللحظة التالية ظهر « لويجى فامبا » أمام الباب فسأله دانجلر :  
« كم تطلب فدية لى ؟ »

— لا شيء غير الملايين الخمسة التى تحملها !

فازدرد دانجلر لعابه وقد شعر برعب لا مثيل له ، وقال : « ولكن ، هذا المبلغ هو كل ما بقى لى من ثروة ضخمة ، فاذا حرمتنى منه فالأولى أن تأخذ حياتى أولا ! »

— نحن ممنوعون من أن نريق دمك ! هنا رئيس أعلى منى !

واستمر تصميم دانجلر على عدم الدفع يومين ، عرض بعدهما مليون فرنك ثمنا لوجبة طعام ٠٠ فأرسلوا اليه عشاء فاخرا وأخذوا منه المليون ! ٠٠ ومنذ تلك اللحظة اعتزم السجين ألا يرضن على نفسه بشيء ، وفى نهاية اليوم الثانى عشر تناول عشاءه الشهى ثم حسب حسبته ٠٠ فاذا المبلغ الباقى معه لا يجاوز الخمسين ألف فرنك !

وهنا حدث أمر غريب ، فان الرجل الذى فرط فى الخمسة ملايين لم يتحمل التفريط فى الخمسين ألفا ٠٠ بل اعتزم أن يحتفظ بها ولو مات جوعا !

وانقضت ثلاثة أيام على هذا المنوال ، وفى اليوم الرابع كان قد أصبح حطام انسان ، هيكلا باليا ٠٠ حتى لقد راح يقات من فتات الجير والحصير الذى يكسو بلاط الحجرة ! ٠٠ وأحيانا كان يهدى ٠٠ ثم عرض على بيينو ألف فرنك ثمنا للقمّة واحدة من الخبز ، لكن اللص لم يجب !

وفى اليوم الخامس جر جسمه جرا الى الباب ، وركع على ركبتيه مناشدا اللص قائلا : « ألستم مسيحيين ؟ أتريدون قتل شخص هو فى نظر السماء أخ لكم ؟ » . وهنا سمع دانجلر صوتا عميقا رزينا يسأله : « هل شعرت بحاجتك الى التوبة والتكفير عن ذنبك ؟ »

فجعل الصوت شعر رأسه يقف ! ٠٠ وحاولت عيناه الضعيفتان أن تميزا الأشياء ، فرأى وراء اللص شخصا ملتفعا بعباءة ، تكاد تحجبه الظلال ، فسأله وهو يرتعد فرقا :

— اكفر عن أى ذنب ؟ ٠٠ ماذا تعنى يا سيدى ؟

— عن الشر الذى ارتكبته !

— انى أكفر عن كل شرورى يا سيدى لعلى أنال الغفران !

— اذن فانا اصفح عنك !  
ثم خلع الرجل الغريب عباءته ، وتقدم نحو النور .. فهتف دانبجلر  
— الكونت دى مونت كريستو ؟ !  
فقال له : « انت مخطىء ، اننى لست الكونت دى مونت كريستو ؟ »  
— اذن من أنت ؟

— أنا الرجل الذى بعته وانتزعت منه خطيبته وسحقته ، كى تصل على  
جثمانه الى المجد والثراء ! .. أنا الرجل الذى قتلت أباه جوعا ، وعرضته  
هو للموت جوعا .. ومع ذلك فهو يغفر لك ، لأنه يطمع فى أن يغفر الله  
له ! .. أنا ادمون دانتييس !  
وعندئذ اطلق دانبجلر صرخة مروعة وخر على ركبتيه .. فصاح به  
الكونت : « انهض .. فحياتك فى امان ، الأمر الذى لم يتح لشركائك ..  
فأحدهم جن . والثانى مات .. احتفظ بالحسمين ألف فرنك لك . انى  
أمنحك أياها .. أما الملايين الخمسة التى سرقتها من المستشفيات فقد ردتها  
ليها يد أمينة ! »  
ثم التفت الى فامبا قائلا : « حين يفرغ من طعامه .. أطلق سراحه ! »



كانت الساعة السادسة مساء ، حين انزلق اليخت الفاخر على صفحة  
البحيرة الكبرى المتعدة بين جبل طارق والدردييل ، وبين تونس والبنديقية ،  
حاملا على ظهره مكسميليان موريل ، فى طريقه الى جزيرة الكونت دى مونت  
كريستو حيث واعدته الكونت على اللقاء هناك  
وحين هبط الشاب وجد الكونت فى انتظاره ، وأخذته هذا الى كهوفه  
المفروشة بالدمقس والحريز وأفخر الطنافس والرياش ، ثم قال له :  
— اصغ الى يا صديقى .. أنت تعلم أنه ليس لى أهل ، وأننى قد اتخذتك  
بمنابة ابن لى ، وسوف أوريثك المائة مليون فرنك التى أملكها .. فاستمتع  
بها ، انها تفتح لك أبواب المجد والسعادة وكل شىء !  
فأجابته الشاب فى لهجة التصميم : « كلا ، لى يعوضنى ذلك عن فقد  
ملاكى الجميل .. أريد أن أموت كى ألحق بفالتين .. لتسد وعدتنى بأن  
تمنحنى الموت . بطريقتك السهلة المريحة .. فأنجز وعدك ! »  
واذ رأى الكونت تصميم الشاب ، سقاها جرعة من مادة كان يحتفظ بها  
فى زجاجة صغيرة محلاة بالأحجار الكريمة .. فبدأ مكسميليان يفقد حواسه  
بالتدريج ، حتى خيل اليه أنه يرى أبواب السماء تفتح لاستقباله ، وفالتين  
تختن لفقائه .. ثم غاب كل شىء عن ناظره .. ورقد بلا حراك !  
وبعد قليل أحس أنه يفيق ، فتململ فى رقدته حتى استرد شيئا من

وعيه ، ثم هتف : « آه . لقد خدعنى الكونت ! ما زلت على قيد الحياة !! »  
ومد يده ليختطف سكيننا كانت على منضدة قريبة ، كى ينهى بها حياته  
٠٠ واذ ذاك سمع صوت فالنتين يهتف به : « أفق يا حبيبي ، وأنظر الى ! »  
كان الكونت دى مونت كريستو قد سقى فالنتين ليلة زارها فى مخدعها  
مخدرا يجعلها تبدو فى هيئة الميتة ، فلما دفنت وانصرف المشيعون أخرجهما  
من نعشها السدى كان قد ترك به ثقبا يمر فيه الهواء ، ثم سقاها سائلا  
أعادها الى وعيها ٠٠ ونقلها الى جزيرته كى يمهد الطريق الى لقائهما مع  
حبيبها مكسمليان

وأثناء اغفاء الشاب أدخلها الى حيث يرقد ، ولبت الاثنان يرقبان بقطة  
النائم . وقال الكونت يحدث الفتاة : « فالنتين ٠٠ لا شئ سوف يفصلكما  
على الارض ، بعد أن دفع مكسمليان نفسه الى أحضان الموت كى يلقاك ٠٠ ! »  
يكفينى سعادة انى جمعت بينكما ٠٠ فليسعدكما الله ! »  
وبعد لحظات أفاق الشاب من تأثير المخدر ، فلم يكذب يصدق عينيه ٠٠  
وركم جائيا على ركبتيه أمام حبيبته التى ردت اليه !  
وفى الصباح التالى كان الحبيبان يتنزهان على شاطئ البحر ، حين اقترب  
منهما قبطان اليخت وسلم الى الشاب رسالة من الكونت دى مونت كريستو  
هذا نصها :

« عزيزى مكسمليان ٠٠ سوف يحملكما اليخت الى حيث ينتظر نوارتيه  
حفيدته الغالية ، كى يباركها قبل الزواج ٠٠ أما كهوفى التى فى الجزيرة ،  
وقصرى فى الشانزليزية وقصرى الآخر فى « تريبور » فهى هدايا الزواج  
التي يهبها ادمون دانتييس لابن سيده القديم موريل ، ورجائى أن تشاركك  
زوجتك اياها ٠٠ أما ثروتها التى ورثتها عن أبيها الذى جن ، وأخيها الذى  
مات بين أحضان أمه ، فانى أطمع فى أن تتنازل عنها للفقراء ! »

« وقل للملاك التى ستشاركك حياتك أن تصلى بين حين وآخر من أجل  
رجل حسب نفسه - كما فعل إبليس من قبل - فى مرتبة الله ، لكنه يعترف  
الآن فى خشوع ومذلة أن الله وحده هو الذى يملك الإرادة العليا والحكمة  
اللانهاية ٠٠ فلعل هذه الصلوات تخفف من وخذ الضمير الذى يشوب  
حياته ٠٠ أما أنت يا موريل فالنتى ، وانا هناك مقارنة بين حالة وأخري ٠٠ ومن  
سعادة مطلقة و شقاء مطلق ، وانا هناك مقارنة بين حالة وأخري ٠٠ ومن  
ذاق الألم والعذاب كان أقدر الناس على أن يحس السعادة الحقيقية ٠٠ »

وينبغى أن نعرف الموت كى نقدر متي بالخطا  
« فلنعش يا عزيزى ، ولنشبع مع بكلى فالنتين ٠٠ وياك أن تنسى يوما  
أن حكمة البشرية جمعاء تتلخص فى هاتين الكلمتين : « انتظر ، وتدرع  
بالأمل ! »  
صديقك

ادمون دانتييس

أو

الكونت دى مونت كريستو

القصص العالمية للجيمع

اسكندر ديماس

مارغريت ميتشل

چون شتاينبك

سومرست موم

مكارسيل موريت

جورج سيمنون

بيرل باك

سير والتر سكوت

شارل ديكنز

فيكتور هيغو

يوهان جوته

ارنست همغواي

اجاتا كريستين

ء

ء

ء

ء

جيمس هيلتون

الفرسان الثلاثة "بزوين"

الكونت دي مونت كريستو

ذهب مع الريح "بزوين"

رجال ونساء .. ذهب

ليلة غرام

كنت هاسورا

غادة الكامليا

جريمة في الريفيلا

الأرض الطيبة

عذراء المعبد

ايقان هو "أوالفارس للأورد"

رائيد كوبرفيلد

أهدب فوتردام

الام ثرتر

العوز والبعمر

سوف تشرق الشمس

الكأس الذهبية

عذالة السماء

القاتل الغني

الرجل الفاضل

غادة طيبة

عذراء وثلاثة رجال

